هدية ١٨ كتاباً إلى مكتبة جامعة أم القرى

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة التفسير

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٠٨٤٥

حديث القرآن

عن غزوات بني النضير وبني المصطلق والأحزاب

إعداد الطالب
محمد بن بكر بن ابراهيم عابد

٠٠٢٨٢٦١
جامعة أم القرى مكة المكرمة - عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
٨٤٥

لنيل شهادة العالمية
(الماجستير)

إشراف
فضيلة الشيخ أ. د. محمد سيد طنطاوي
رئيس شعبة التفسير بالدراسات العليا

١٤٠٤هـ

المملكة العربية السعودية
الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليـــا
" شعبة التفسير "

((حديث القرآن))
عـــن
:: غزوات بني النضير وبني المصطلق والاحزاب ::

اعداد الطالـــب

محمد بن بكر بن ابراهيم عابـــــــــــد

لنيـــــل

شهادة العالميـــــــة

(الماجستير)

اشـــــراف

فضيلة الشيخ أ . د . محمد سيد طنطاوى
رئيس شعبة التفسير بالدراسات العليـــــا

١٤٠٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

((الاهـــداء))

الى والدى الحبيبين .. اليهما اهدى باكورة عملى ونتـــاج دراستى .

فهذا ياأبى ثمرة عملك الصالح ، حيث كنت ومازلت توصيـــنى بالتمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة نبيه صلى الله عليه وسلـــم ، فكنت خير معين لى وخير موجه .

وهذا ياأمى ثمرة دعائك الصالح وحنانك الغامر فجزاكما اللـه خير مايجزى به عباده الصالحين ، ولاحرمنى من رضاكما .. انـــه سميع مجيب .

*

* * *

:: شكر وتقدير ::

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد :

فقد من الله علي بالانتهاء من اعداد هذه الرسالة فالشكر لله وحده أولا واخيرا على نعمه وتوفيقه .

ثم اني أرى من الواجب علي - اعترافا بالجميل لأهله - أن أتقدم بشكري الى كل من وقف بجانبي ، وساعدني لاتمام بحثي هذا .

وأخص منهم بالذكر فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد لما بذله في خدمة طلاب العلم ولما خصني به من العناية والرعاية فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أشكر أستاذي الفاضل الشيخ محمد سيد طنطاوي الذي تفضل بالاشراف على رسالتي ، وكان لي نعم المعين في انجاز هذا البحث ، وكان يشاركني مشاركة فعالة فيه ، بكل ماتتضمنه المشاركة من معنى ، فجزاه الله خير الجزاء ، وشكر له سعيه ، وأسأل الله ان يوفقه لما يحبه ويرضاه .

كما أنني أشكر القائمين على شؤون الجامعة الاسلامية الذين يسروا لنا الدراسة في هذا الصرح العلمي الشامخ سائلا المولى أن يوفقهم الى ما فيه الخير والصلاح .

وفي الختام أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم ونافعا للاسلام والمسلمين .. وصلى الله على سيدنا محمد وآله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

المقدمة

:: المقدمــة ::

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا "من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له " .

وأشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعـد :

١ - فان القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى لمقاصد سامية وحكم جليلة فهو دستور الخالق لاصلاح الخلق ، وقانون السماء لهداية الأرض .

ومن أهم المقاصد التى أنزل الله ـ تعالى ـ القرآن من أجلها أن يكون هداية للناس الى الصراط المستقيم .

وأن يكون معجزة ناطقة فى فم الدنيا بصدق النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغه عن ربه .

وأن يتقرب الناس بتلاوته الى الله تعالى . قال عز وجل :"ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، يرجون تجارة لن تبور " (سورة فاطر ، الآية ٢٩) .

٢ - والذى يتدبر القرآن الكريم يراه قد اشتمل على مايسعد الناس فى دينهم وفى دنياهم . وأنه لم يترك بابا من أبواب الخير الا وبينه لهم ، ولم يترك بابا من أبواب الشر الا وحذرهم منه . وأنه قد اشتمل على مايصلح عقائدهم ، وأخلاقهم ، ومعاملاتهم وكل شئونهم .

٣ - ومن الأمور التى لا تخفى على القارئ للقرآن الكريم أنه قد فصل الحديث عن كثير من الغزوات والسرايا الحربية التى وقعت بين المسلمين ، وبين أعدائهم ولم يتحدث عن هذه الغزوات والسرايا حديث المفصل لاحداثها فقط ، وانما تحدث عنها الى جانب ذلك حديثا المقصود منه التذكر والاعتبار والاتعاظ بما جرى فيها .

٤ - ومن بين الغزوات التى تحدث عنها القرآن الكريم بصورة فيها شئ من التفصيل : غزوات بنى النضير وبنى المصطلق والأحزاب ، وقد اخترت ان يكون موضوع رسالتى "للماجستير" هذه الغزوات ، وذلك لاسباب من أهمها :

أ - أن المسلمين فى هذه الايام ، يجابهون معارك متنوعة مع أعدائهم ، من أهمها المعارك الحربية ، فأردت أن أعود الى حديث القرآن عن بعض الغزوات ، لكى يأخذ منها المسلمون ما يعينهم على النصر على اعدائهم .

ب - أن هذا الموضوع لم يجد مايستحق من الاهتمام ، فكثير من الزملاء والباحثين قد اهتموا بالكتابة فى موضوعات تتعلق بتحقيق المخطوطات وغيرها فأردت أن أخدم كتاب الله - تعالى - عن طريق تفسير الآيات التى وردت بشأن هذه الغزوات .

جـ - كذلك مما دفعنى الى الكتابة فى هذا الموضوع شعورى بالحاجة الى الكتابة فيه بعد ان وجدت أن معظم الباحثين يهتمون بالسرد التاريخى لهذه الغزوات أكثر من اهتمامهم للحديث عنها من واقع القرآن الكريم فأردت ان اعرض الموضوع من خلال حديث القرآن عنه ، وأرجو أن أكون قد وفقت فى هذا باذن الله

٥ - وقد اشتملت رسالتى على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما الباب الأول : وهو حديث القرآن عن غزوة بنى النضير .. فقد اشتمل على فصلين :

الفصل الأول : غزوة بنى النضير من خلال كتب السيرة والتاريخ .

الفصل الثانى : حديث القرآن عن غزوة بنى النضير وتفسير الآيات التى وردت فى ذلك .

وأما الباب الثانى : فهو حديث القرآن عن غزوة بنى المصطلق .. وقد اشتمل على فصلين :

الفصل الأول : غزوة بنى المصطلق من خلال كتب السيرة والتاريخ

الفصل الثانى : حديث القرآن عن غزوة بنى المصطلق وتفسير الآيات التى وردت فى ذلك .

وأما الباب الثالث : فهو حديث القرآن عن غزوة الاحزاب .. وقد اشتمل على فصلين :

الفصل الأول : غزوة الاحزاب من خلال كتب السيرة والتاريخ .

الفصل الثانى : حديث القرآن عن غزوة الاحزاب وتفسير الآيات التى وردت فى ذلك .

٦ - وقد سلكت فى كتابتى لهذه الرسالة منهجا من ابرز معالمه :

أ - التقديم للايات المراد تفسيرها بالحديث عن الغزوة التى هى موضوع بحثى من حيث أسبابها .. وأحداثها .. ونتائجها .. والرد على ماأثير حولها من شبهات .

ب - الاهتمام بتفسير الآيات القرآنية التى وردت فى هذه الغزوات تفسيرا محررا مشتملا على الجوانب البلاغية والتشريعية فى القرآن الكريم .

وقد سرت فى هذا التفسير على النحو التالى :

اولا : ذكر سبب النزول للآيات - ان وجد - .

ثانيا : ذكر معانى المفردات الغريبة .

ثالثا : تفسير الآيات بذكر المعنى الاجمالى لها .

رابعا : ذكر أهم مايؤخذ من الآيات من الاحكام والآداب والحكم .

وأرجو أن اكون قد وفقت فى ابراز هذه الطريقة بصورة جلية فى بحثى هذا .

كما أرجو أن أكون قد فتحت بابا فى هذا المجال الغاية والمقصود منه التنعم بأكبر قدر من هدايات وانوار القرآن الكريم مستفيدا فى ذلك بالسيرة النبوية العطرة الصحيحة التى هى الترجمة الحقيقية لواقع المجتمع الاسلامى فى ذلك الوقت .

٧ - والرسالة موضوعية فى منهجها تبحث فى أهم الغزوات النبوية فى السنة الرابعة والخامسة من الهجرة النبوية الشريفة وقد تكلمت عن اليهود وعن علاقتهم بالأوس والخزرج ، وعن علاقتهم بالدولة الاسلامية فى المدينة من خلال ثلاثة غزوات هى غزوات بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة .

كما تكلمت عن المنافقين وموقفهم من المسلمين من خلال الغزوات التى تناولتها بالبحث خاصة من الناحية التفسيرية .

ومهما كثرت الدراسة فى هذه المرحلة مرحلة العهد النبوى - فان الدراسات مازال بابها مفتوحا وذلك لما تمثله هذه المرحلة من أهمية عظمى فى التاريخ الاسلامى .

وقد عنيت خلال بحثى بالرجوع الى المصادر الاصلية والفرعية ، كمـــا عنيت بذكر اسم الكتاب وناشره وسنة طبعه فى الفهرس الختامى للرسالة .

وفى الختام أرجو من المطالع لهذا البحث ان يحسن الظن بكاتبـه ، وأن يسعى فى جبر العثرات واقالة الهفوات . اذ المقصد من كتابتى هـــذه مقصد كريم . والله ولى التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

* * *

الباب الأول

حديث القرآن عن غزوة بني النضير

الباب الأول

الفصل الأول

غزوة بني النضير من خلال كتب السيرة والتاريخ

((الفصل الأول))

:: غزوة بني النضير من خلال كتب السيرة والتاريـــــخ ::

وقد كانت في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة على القـــول الراجح[1] . . وكلامنا عن هذه الغزوة يتضمن تمهيد وثلاثة مباحث :

التمهيـــد : ويشتمل على :

١ - نبذه يسيرة عن يهود الحجاز .

٢ - عرض اجمالي لما سبق غزوة بني النضير من أحداث .

المبحث الأول : أسباب غزوة بني النضير وتحديد زمان هذه الغزوة .

المبحث الثاني : أحداث غزوة بني النضير .

المبحث الثالث : نتائج غزوة بني النضير .

---

(١) انظر صفحة ٤٠ .

((التمهيـــد))

ويشتمل : اولا : يهود الحجاز

نبذة يسيرة عنهم نوضح فيها :

* متى جاءوا الى الحجاز وعدد قبائلهم .

* وأين سكنوا وعلاقتهم مع الاوس والخزرج .

ثانيا : عرض اجمالى لما سبق غزوة بن النضير من أحداث .

*

* * *

اولا : ((يهود الحجــاز))

ان يهود بنى النضير هم طائفة من يهود الحجاز ولعل من الخيـــر أن نعطى القارئ الكريم نبذة يسيرة عنهم فنقول :

١ - يذكر المؤرخون روايات مختلفة فى كيفية وصولهم الى الحجاز ونســــوق بعضا منها :

أ - فبعض الروايات تذكر أن موسى عليه السلام حج الى الكعبة ، وفـى رجوعه تخلف بعض اليهود فسكنوا يثرب (المدينة) ، فسكناهــم فيها عن طريق المصادفة أوعن طريق الاختيار .(٢)

ب - وهناك قول يقول ان تلك الهجرة كانت فى اواخر عهد موسى - عليـه السلام - أى فى القرنين الثانى عشر أو الثالث عشر قبل الميـلاد ، وذلك أن موسى - عليه السلام - بلغه أن قوما من العماليق كانـــوا يسكنون الحجاز وأنهم قد عاثوا فى الأرض فسادا بالنهب والقتــل وغير ذلك .

وكان ملكهم الأرقم من الجبابرة المعدودين ، فأرسل اليهــم موسى - عليه السلام - جيشا من الاسرائيلين وأمر قائده ان لا يستبقى من بلغ الرشد من العماليق .

---

(١) كلمة يهود يرى كثير من العلماء أنها نسبة الى (يهوذا) وهو الابـن الرابع ليعقوب عليه السلام . انظر على سبيل المثال : تاريخ يهـــود المدينة ص ١٤ .

(٢) أنظر وفاء الوفا للسمهودى : ١٥٧/١ ، وكذلك المدينة فى العصـــر الجاهلى للدكتور محمد العيد الخضراوى ص ٦٩ .

وقد حارب بنو اسرائيل العماليق وانتصروا عليهم وقتلوا جميع الرجال ماعدا شخص واحد وهو ابن الملك استحيوه ، وقالوا سوف يرى فيه موسى - عليه السلام - رأيه ، ثم رجعوا الى الشام وقد توفى موسى عليه السلام .

ولما سمع بقدومهم أخوانهم من بنى اسرائيل الذين كانوا يسكنون الشام خرجوا ليستقبلوهم ، فلما وجدوهم قد خالفوا أمر نبيهم بابقاء ابن الملك حالوا بينهم وبين دخول الشام ، حينئذ رجع المحاربون من بنى اسرائيل للعماليق الى الحجاز ، وسكنوا المدينة مسكن العماليق [1] .

جـ - وتؤكد روايات أخرى أنهم جاءوا من فلسطين قاصدين سكنى هذه المنطقة ، لان التوراة بشرت بظهور نبى يهاجر الى أرض ذات نخل وماء تقع بين حرتين .

وكانت هذه الصفة تنطبق على أربعة أماكن تقريبا ، مروا بها هى تيماء وخيبر وفدك (وتسمى اليوم بالحائط والحويط) ويثرب .

لكن كثيرا من علماء بنى اسرائيل كانوا يرون أنها يثرب لذلك نرى كثير من القبائل الاسرائيلية نزلوا يثرب ورغبوا ان يعيشوا فيها ،

---

(١) أنظر وفاء الوفا ١/١٥٩ ، والأغانى : بتحقيق ابراهيم الأبيارى - أخبار أوس ونسب اليهود النازلين بيثرب : ٢٥/ ٨٨٠١ ، وتاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على : ٦/ ٩ ، والمدينة فى العصر الجاهلى ص ٧٠ ، ومرويات تاريخ يهود المدينة - رسالة ماجستير - للطالب / أكرم حسين السندى ص ١٦ .

ويتخذوها وطنا لهم . حتى اذا ظهر النبى المبشر به من قبل الانبياء آمنوا به . فكان للمعتقد الديني اثره اذا في استقرارهم بالحجاز .(١)

د - ويرى آخرون ان اليهود وصلوا الى يثرب فرارا من عسف (بختنصر) الذى حكم بابل فى سنة (٥٠٤ - ٥٦١ م) . وقد قويت شوكة هذا الملك فحارب مع الترك ، وقاد جيشا ضخما الى دمشق ، ثم الى بيت المقدس لمحاربة بنى اسرائيل ، فصالحه ملك بنى اسرائيل ثم نقض الاسرائيليون عهودهم مع بختنصر .

ولما سمع بختنصر ذلك غضب ، وعاد الى بيت المقدس وحارب بنى اسرائيل وغلب عليهم ، واخذ المدينة عنوة ، فقتل المقاتلة ، وسبى الذرية .

ففر كثير منهم الى أقطار مختلفة . وفر بنو النضير ، وبنو قريظة وبنو هدل الى أرض الحجاز (بيثرب) وغيرها .(٢)

هـ - وبعض المؤرخين يقول : انه لما تم انتصار الروم على بنى اسرائيل سنة ٧٠ م على يد الامبراطور تيتوس الذى نكل ببنى اسرائيل شر تنكيل حيث قتل رجالهم وسبى نساءهم واخذ اموالهم عندئذ فر من وجهه بنو هدل ، وبنو قريظة وبنو النضيرهاربين الى الحجاز ،

---

(١) وفاء الوفا ١/ ١٦٠ ، والمدينة فى العصر الجاهلى ص ٧٠ .

(٢) انظر فتوح البلدان للبلاذرى ١/ ١٥ ، وتاريخ الطبرى ١/ ٥٣٨-٥٣٩ ، ووفا الوفا ١/ ١٦٠ ، والبداية والنهاية ٢/ ٣٩ ، والمدينة فى العصر الجاهلى ص ٧١ ، ومرويات تاريخ يهود المدينة ص ١٧ .

وسكنوا يثرب[1] .

قال الدكتور جواد علي :

اما ماورد في روايات أهل الأخبار عن هجرة بعض اليهود الى اطراف يثرب وأعالي الحجاز على أثر ظهور الروم على بلاد الشام وفتكهم بالعبرانيين وتنكيلهم مما اضطر ذلك بعضهم الى الفرار الى تلك الانحاء الآمنة البعيدة عن مجالات الروم ، فانه يستند الى أساس تاريخي صحيح .

فالذي نعرفه أن فتح الرومان لفلسطين أدى الى هجرة عدد كبير من اليهود الى الخارج ، فلا يستبعد أن يكون اجداد يهود الحجاز من نسل اولئك المهاجرين .

ومن هؤلاء المهاجرين على رأي الاخباريين بنو قريظة وبنو النضير وبنو هدل . ساروا الى الجنوب تجاه يثرب ، فلما بلغوا موضع الغابة ، وجدوه وبيا ، فكرهوا الاقامة فيه ، وبعثوا رائدا أمروه أن يلتمس لهم منزلا طيبا ، وأرضا عذبة فذهب حتى اذا بلغ " العالية "[2] أعجبه ماؤها وهواؤها ، فرجع اليهم ليخبرهم بأمرها ، وبما رآه منها ، فقر رأيهم على الاقامة فيها فنزل بنوالنضير ومن معهم على بطحان .

---

(١) انظر : الأغاني ٢٥/٣٠٨٨ ، وتاريخ العرب قبل الاسلام ٦/١٠ ، وغزوة بني قريظة لباشميل ص ٣٨ ، والمدينة في العصر الجاهلي ص ٧١ ، ومرويات تاريخ يهود المدينة ص ١٨ .

(٢) العالية : جزء من المدينة المنورة كانت تطلق في الماضي على وادي بطحان ووادي مهزوز ، وهما واديان بهما مياه عذبة وعيون غزيرة .

ونزلت قريظة وبهدل ومن معهم على مهزوز . . . (١)

ويبدو أن هذا الرأى الأخير هو أقرب الاراء الى الصواب ،

ومع هذا فاننا لا نستبعد أنه كان يوجد عدد قليل من اليهـــود

توطنوا الجزيرة العربية قبل هذا التاريخ .

٢ ـ أما عدد قبائلهم وبطونهم فكثيره . فقد أوصلها بعضهم الى نيف وعشريـن فرعا . (٢)

منهم : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو هدل ، وبنــو

عكرمة ، وبنو ثعلبه ، وبنو محمم ، وبنو زعوراء ، وبنو القصيص . . . وغيرهم

وقد اشتهر من تلك القبائل : (بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة)

وسبب شهرتهم : أنهم كانوا ذوى عدد وعدة ، ولهم وقائع مع الأوس

والخزرج ، ثم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة (٣)

وأما اليهود خارج المدينة فاشهرهم : (يهود خيبر وتيماء وفدك

ووادى القرى) .

٣ ـ واما مساكن اليهود فى الحجاز فبعضها كان بداخل المدينة المنـــورة

وبعضها كان قريبا منها وبعضها كان بعيدا منها .

فبنو قينقاع كانوا يسكنون بداخل المدينة ، وكانت لهم سوق تعــرف

بسوق (بنى قينقاع) وتقع منازلهم فى الجهة الجنوبية من المدينــــة .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ـ للدكتور جواد على ص ١٠ ـ ١١ .

(٢) انظر أسماءها بالتفصيل فى كتاب المدينة فى العصر الجاهلى ص ٧٤ .

(٣) مرويات تاريخ يهود المدينة ص ٢٠ .

وكانوا موالى الخزرج وحلفاء عبادة بن الصامت وعبد الله بن ابى بن سلول ، وكان عددهم قليلا وصناعتهم الصياغة وهم أغنى سكان المدينة ، ومنهم عبد الله بن سلام ذلك الصحابى الجليل الذى اسلم فبشره النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة .

وبنو النضير كانت مساكنهم بالعوالى فى الجنوب الشرقى للمدينة على وادى مذنيب - وهو فرع لبطحان - ولم يبق من آثارهم غير بعض أطلال حصن كعب بن الاشرف .(١)

وكان بينهم وبين المدينة نحو ميلين أو ثلاثة وكانوا يمتلكون نخلا كثيرا بجوار المدينة .

وسنتكلم عنهم بالتفصيل عند حديثنا عن احداث غزوة بنى النضير .(٢)

وبنو قريظة كانوا يسكنون العوالى فى الجنوب الشرقى للمدينة على وادى مهزوز وهو فرع لبطحان .

ومن أشهر آطامهم بلحان ، وكان لكعب بن أسد وفيه يقول الشاعر :

من سره رطب وماء بارد * فليأت اهل المجد من بلحان (٣)

وتبعد حصونهم عن المدينة نحو ميلين أو ثلاثة ، وكان يسكن مع بنى قريظة بنو هدل .

هذا وقد عرف بنو قريظة وبنو النضير من بين اليهود (بالكاهنين) نسبوا بذلك الى جدهم الذى يقال له الكاهن .

---

(١) أكد هذا القول الشيخ عبد القدوس الانصارى - رحمه الله - فى كتابه آثار المدينة المنورة ص ٦٥ - ٧٦ .
(٢) انظر صفحة ٤٤
(٣) المدينة فى العصر الجاهلى : ص ٧٤

والكاهن هو هارون بن عمران أخو موسى عليهما السلام .[1]

واما يهود خيبر فكانوا يسكنون على بعد ثماني برد من المدينة الى جهة الشام وقد اشتهر يهود خيبر بغناهم لخصوبة أرضهم ، وكثرة مزارعهم وبساتينهم .

وكانت حصونهم ضخمة وحصينة - وعلى مقربة منهم كان يسكن قسم آخر من اليهود ، كيهود وادى القرى وتيماء وفدك .

ومساكن اليهود عموما ،كانت تمتاز بعزلتها ، ومتانتها ، وذلك ليتحصنوا بها عند الاخطار وليدافعوا عن انفسهم من ورائها .

٤ - واما عن علاقتهم مع الاوس والخزرج : فيذكر المؤرخون أن الاوس والخزرج أصلهما من قبيلة الأزد من اليمن ، وأنهم جاءوا الى المدينة بعد حادث سيل العرم التماسا لمكان جديد يصلح لمعيشتهم بعد أن غرقت مساكنهم باليمن .

وأنهم حين نزلوها لم يكن لهم حول ولا قوة ولذلك رضوا بما حصلوا عليه من ارض ضعيفة ومن رزق شحيح .

وبمرور الأيام اختلط الأوس والخزرج باليهود الذين كانوا يسكنون يثرب ، وكانوا أصحاب الثروة والمال والكلمة النافذة فيها .

وقد بقى الأوس والخزرج على ضعفهم حتى ظهر فيهم رئيسهم مالك ابن العجلان الذى استطاع بدهائه ومكره وشجاعته أن يفتك باليهود

---

(١) الأغانى ٢٥/٨٨٠٥ ، وتاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٣ .

وأن يجعل الكلمة العليا لقومه [١].

ويصف الدكتور جواد على ماكان عليه اليهود من ضعف وذلة فيقول :
ولكن اليهود مع ماكان لهم من حصون وآطام وقرى عاشوا فيها متكتلين مستقلين فى حماية سادات القبائل ورؤسائها ، يؤدون لهم اتاوة فى كل عام مقابل حمايتهم لهم ودفاعهم عنهم ومنع الاعراب من التعدى عليهم .

وقد لجأوا الى عقد المحالفات معهم ، فكان لكل زعيم يهودى حليف من الاعراب ومن رؤساء العرب المتحضرين [٢].

وعلاقة اليهود بالأوس والخزرج كانت خاضعة للمنفعة الشخصية والمكاسب المادية فهم يعملون على اثارة الحرب بين الفريقين متى وجدوا فى اثارتها فائدة لهم كما حصل ذلك فى كثير من الحروب التى أنهكت الأوس والخزرج .

وأنهم كان يهمهم أن تكون لهم السيطرة المالية على المدينة ، وكان حديثهم عن النبى المرتقب قد شجع الأوس والخزرج على الدخول فى الاسلام .

وقد استمرت علاقة اليهود بالأوس والخزرج تسير على هذا المنوال الى ان هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، فاشتركوا فى استقباله ، ثم جرى بينه وبينهم ماجرى من أمور . وسنذكر منها بالتفصيل مايتعلق بموضوع رسالتنا .

---

(١) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١١ ، وبنو اسرائيل فى الكتاب والسنة ١/ ٧٢ ، ومابعدها .

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٢٢ .

ثانيا : ((عرض اجمالى لما سبق غزوة بنى النضير من أحداث))

١ - هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان الاسلام قد انتشر فيها فأقام دولته على أساس من الايمان بالله والاخاء بين المهاجرين والانصار .

وكان فى المدينة الى جانب المهاجرين والانصار عدد كبير من يهود ، منهم : بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ومن تابعهم .

٢ - وقد أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يتقى شرهم من البداية فعقد معهم معاهدة ذكرها ابن اسحاق (١) فقال :

" وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط له واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ..

هذا كتاب من محمد صلى الله عليه وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم أنهم امة واحدة من دون الناس .. الى أن قال :

" وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ...

" وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ...

---

(١) أورد ابن اسحاق هذه المعاهدة بدون اسناد ، لكن ذكرها الامام أبو عبيد القاسم بن سلام بسند مرسل فى كتابه الاموال ص ١٢٦ ، وكذلك انظر المعاهدة فى كتاب مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله ص ٥٧ .

" وان بينهم النصرة على من حارب أهل هذه الصحيفة . . .
" وان بينهم النصر على من دهم يثرب . . . الخ [1]

وهذه المعاهدة كانت فى السنة الأولى من الهجرة [2] .

٣ - وفى رمضان من السنة الثانية من الهجرة وقعت غزوة بدر وفيها انتصر المسلمون على المشركين وقتل فيها ائمة الكفر من أهل مكة واعز الله دينه واظهره .

وبعد غزوة بدر بشهر واحد كانت غزوة بنى قينقاع : وهم جماعة من اليهود غاظهم أن انتصر المسلمون فى بدر ، وتبجحوا بقوتهم وغناهم ، وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم عند ما جمعهم بعد غزوة بدر ودعاهم الى الاسلام : " يامحمد انك ترى أنا كقومك . لا يغرنك انك لقيت قوما لاعلم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربتنا لتعلمن انا نحن الناس " [3] .

فنزل قوله تعالى " قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد " [4] . آل عمران ، آية ١٢ .

والمعنى : قل يامحمد للكافرين بهذا الدين وعلى رأسهم اليهود المغرورون بأموالهم وقوتهم ، قل لهم : انكم ستهزمون فى الدنيا ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/١٣٢ بتحقيق محمد خليل الهراس .
(٢) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٢/٣٢٠ .
(٣) تاريخ الطبرى ٢/٤٧٩ .
(٤) انظر سبب النزول للواحدى النيسابورى ص ٦٢ ، وكذلك لباب النقول فى اسباب النزول للسيوطى ص ٥١ .

وتجمعون وتساقون الى نار جهنم التى هى بئس الفراش لكم فى الآخرة وقد صدق الله وعده بقتل بنى قريظة واجلاء بنى قينقاع وبنى النضير، وفتح خيبر ، وهذا من أوضح الشواهد على صدق النبى صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه .

هذا وقد كان بنو قينقاع هم أول من كشف عن غله وضغنه وهم لم يكتفوا بالدسائس والمؤمرات يحيكونها ضد الاسلام واتباعه بل تطاولوا واعتدوا على عرض امرأة مسلمة ، قدمت بجلب الى سوقهم لتبيعه .

وجلست الى صائغ منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ وكان يهوديا فقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ اهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، ووقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع .(١)

حينئذ حاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان لجوا فى طغيانهم ونقضهم لعهودهم ثم أخرجهم من المدينة الى أذرعات الشام(٢) ولم يمض عليهم عام حتى هلك أكثرهم .

٤ - وفى شوال من السنة الثالثة وقعت غزوة احد ، وكانت الدولة فى اول المعركة للمسلمين ثم هزم المسلمون لاسباب من أهمها : مخالفتهم لأمر النبى صلى الله عليه وسلم حيث أمر الرماه الا ينزلوا من الجبل لكنهم عندما رأوا النصر تعجلوا فنزلوا عن الجبل حينئذ تحول خالد بن الوليد مع الفرسان

---

(١) انظر المغازى للواقدى ١٧٦/١ .

(٢) أذرعات : بالفتح ثم السكون وكسر الراء ، بلد فى طرف الشام وتجاوز أرض البلقاء .

الذين معه الى جبل الرماه واستولوا عليه واتوا المسلمين من خلفهم فكانت الهزيمة .

وقد سجل القرآن الكريم فى سورة آل عمران احداث هذه الغزوة كما سجلتها كتب السيرة النبوية .(١)

ه - ولقد ترتب على هزيمة المسلمين فى غزوة أحد أن تنكر لهم كثير ممن كانوا يهادنونهم أو يداهنونهم . .

فأعراب البادية أعدوا أنفسهم للاغارة على المدينة وانتهاب خيرها ، والقضاء على مسلميها ، واليهود جاهروا بسخريتهم ، وأظهروا سرورهم لانتصار المشركين .

وشعر النبى صلى الله عليه وسلم بدقة الموقف لان قيادة الأمم أصعب ماتكون بعد الهزائم الكبيرة والانكسارات الخطيرة .

وفى هذه الظروف القاسية الحرجة سلك النبى صلى الله عليه وسلم فى سياسته طريقتين حكيمتين ، مكنتاه من استعادة مكانة المسلمين وسطوتهم وهيبتهم فى النفوس ، وهاتان الطريقتان هما :

اولا : تكليف بعض الصحابة بالتجول فى انحاء الجزيرة ، ليقضوا على الشائعات التى تحاك ضدهم ، وليقفوا على اخبار القبائل المعادية لهم وتحركاتها ، فيبلغوا الرسول صلى الله عليه وسلم بها ، وهى فى مرحلة النية والاعداد .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير للايات التى وردت فى غزوة أحد من سورة آل عمران ١/٤٠٨ .

ولقد نجحت هذه الطريقة على أحسن وجه واستطاع المسلمون أن يعرفوا أخبار أعدائهم قبل أن يفاجأوا بعدوانهم .

ثانيا : سلك النبى صلى الله عليه وسلم طريقة الدفاع الهجومى لان خير وسيلة للدفاع الهجوم ، كما يقول خبراء الحرب ، بمعنى انه صلى الله عليه وسلم كان يهاجم أعداءه فى عقر دارهم قبل أن يهاجموه (1) .

ففى أعقاب غزوة احد أرسل النبى صلى الله عليه وسلم سرايا للقضاء على بنى أسد وهذيل وتفصيل ذلك كمايلى :-

١ - سرية ابى سلمة بن عبد الأسد المخزومى لتأديب بنى أسد . وكانت بعد احد بشهرين فى ذى الحجة من السنة الثالثة بعد الهجرة وذلك بعد أن بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ان طليحة وسلمة ابنى خويلد يحرضان قومهما بنى أسد لغزو المدينة .

فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة ابى سلمة وعددها مائة وخمسون مسلما مابين راكب وراجل .. وأمرهم بالسير ليلا والاستخفاء نهارا وسلوك طريقة غير مطروقة ، حتى يباغتوا بذلك بنى أسد فى وقت لا يتوقعونه .

وقد نجحت السرية واحاط بهم فجرأ فلم يستطع بنو أسد الثبات وولوا الأدبار وعاد ابو سلمة بالغنائم الى المدينة .

٢ - سرية عبد الله بن أنيس :

وفى المحرم سنة أربع من الهجرة حاول خالد بن سفيان الهذلى أن يحشد الجموع لحرب المسلمين .

---

(١) بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة ٣٥٧/١ .

فأرسل اليه النبى - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن انيس فقتله وهو مجتهد فى تأليب القبائل للهجوم على المدينة .

الا ان فى صفر سنة أربع من الهجرة نزلت بالمسلمين نازلتان هما :

أ - حادثة الرجيع :

وملخصها ان وفدا من قبائل عضل والقارة ، قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكر أن أنباء الاسلام وصلت اليهم ، ويحتاجون الى رجال يعلمونهم الاسلام .

فأرسل معهم رهطا من الدعاة . حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة قريبا من مياه هذيل غدر بهم الوفد واستصرخوا هذيلا عليهم فقتلوهم جميعا . واستلم للأسر ثلاث نفر : خبيب ، وزيد بن الدثنه وعبد الله بن طارق . وقد حاول عبد الله الافلات فقتلوه . واما خبيب وزيد فأخذوهما وباعوهما لقريش ليقتلوهما اخذا بثأرهم القديم .

ب - فاجعة بئر معونة :

وملخصها قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ، ودعاه اليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام ، وقال : يامحمد ، لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى الاسلام ، رجوت ان يستجيبوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى اخشى عليهم اهل نجد ، قال ابو البراء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا يقال

لهم القراء - كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل - بقيادة المنذر ابن عمرو بن حرام .

فلما نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل ، فلما آتاه لم ينظر في كتابه حتى عدى عليه فقتله ثم استصرخ عليهم قبائل بني عامر فلم يجيبوه فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم من عصية ورعل وذكوان فاجابوا الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم اخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا من آخرهم ، الا كعب ابن زيد فانهم تركوه وبه رمق . وكان يسير خلف القوم عمرو بن امية الضمرى ورجل من الانصار فلما رأوا ماحل باصحابهم لحقوا بالغادرين فقاتلوهم فقتل الانصارى وأخذ عمرو بن أمية الضمرى أسيرا ثم اطلقه عامر بن الطفيل واعتقه عن رقبة زعم انها عن أمه[1].

وهكذا استطاعت السرايا أن ترد غارات الاعداء وهي بعد في مرحلة الاعداد ، وقد اعادت للمسلمين هيبتهم بعد احد .

وفي خلال تلك الظروف القاسية التي أعقبت غزوة أحد .. وأعقبت حادثتي الرجيع وبئر معونة كانت غزوة بني النضير في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة أي مايقرب من خمسة شهور من غزوة أحد .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣ / ٢١٢

((المبحث الأول))

اولا : أسباب غزوة بنى النضير .

ثانيا : تحديد زمان غزوة بنى النضير .

*

* * *

اولا : ((أسباب غزوة بنى النضير))

بنو النضير : هم جماعة من يهود كانوا يسكنون - كما سبق أن بينا - العوالى بالقرب من المدينة على بعد ميلين منها[1] .

ومن أهم الاسباب التى حملت النبى صلى الله عليه وسلم على غزوة بنى النضير واجلائهم ما يأتى :-

اولا : نقض بنو النضير عهودهم التى تحتم عليهم ألا يؤوا عدوا للمسلمين ولم يكتفوا بهذا النقض بل أرشدوا الاعداء الى مواطن الضعف فى المدينة .

وقد حصل ذلك فى غزوة السويق[2] حيث نذر أبو سفيان بن حرب حين رجع الى مكه - بعد غزوة بدر - ، نذر الا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزوا محمدا

فخرج فى مائتى راكب من قريش ، ليبر يمينه ، فسلك النجديه حتى نزل بصدور قناه الى جبل يقال له ثيب ، من المدينة على بريد أو نحوه ثم خرج من الليل فأتى حيى بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى ان يفتح له وخافه ، فانصرف الى سلام بن مشكم - وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم .

فأستاذن عليه فأذن له فقراه وسقاه ، وبطن له خبر الناس[3] ، ثم خرج فى عقب ليلته ، حتى جاء أصحابه ، فبعث رجالا من قريش الى المدينة ، فأتوا ناحية العريض ، فحرقوا فى اصوار[4] من نخل لها ، ووجدوا رجلا من الانصار وحليفا له فى حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين وندر بهم الناس[5] ،

---

(١) انظر مزيدا من التفصيل ص ٢٠
(٢) غزوة السويق كانت فى ذى الحجة من السنة الثانية بعد بدر .
(٣) بطن له : أى اعلمه سرهم .
(٤) الأصور : جمع صور ، وهو النخل مجتمعة .
(٥) ندر : أى علموا بأمرهم يقال نذر بفلان اذا علم به واستعد له .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم ، حتى بلغ قرقرة الكدر ، ثم انصرف راجعا ، وقد فاته ابو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا من مزاود القوم ما قد طرحوه فى الحرث ، يتخففون للنجاة ، وكان اغلب زادهم السويق [١].

قال موسى بن عقبة - صاحب المغازى - (كانت بنو النضير قد دسوا الى قريش وحضوهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ودلوهم على العورة [٢].

ثانيا : رفض يهود بنى النضير فى غزوة أحد ان يعينوا المسلمين بسلاحهم أو بأموالهم .

وقبل المعركة أخذوا يصرفون الناس عن الخروج فقالوا لابن ابى (أشرت عليه بالرأى ونصحته وأخبرته ان هذا رأى من مضى من آبائك ، وكان ذلك رأيه مع رأيك فابى أن يقبله ، وأطاع هؤلاء الغلمان الذين معه [٣]) وصادف جديتهم هوى فى نفس عبد الله بن ابى بن سلول فانخذل عن الاشتراك فى غزوة أحد .

هذا وذكر الزهرى أن الانصار استأذنوا حينئذ - أى حين رجع ابن ابى بثلث الناس - رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة ، فقال : لا حاجة لنا فيهم [٤].

---

(١) تاريخ الطبرى ٢ / ٤٨٤ .

(٢) فتح البارى ٧ / ٣٣٢ .

(٣) المغازى للواقدى ١ / ٢١٦ .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢٧ .

ثالثا : لم يكتف يهود بنى النضير بكل مافعلوه من اضرار بالمسلمين بـل حاولوا اغتيال النبى صلى الله عليه وسلم .

فقد ذكر الامام الواقدى قصة محاولة بنى النضير اغتيال النبى صلى اللـه عليه وسلم فقال :(١)

" أقبل عمرو بن امية الضمرى(٢) من بئر معونة حتى كان بقناة ، فلقى رجليـن من بنى عامر فنسبهما فانتسباه فقايلهما حتى اذا ناما وثب عليهما فقتلهما .

ثم خرج حتى ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ساعته فى قـدر حلب شاة ، فأخبره خبرهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بئس مـا صنعت ، وقد كان لهما منا أمان وعهد !

فقال ماشعرت كنت أراهما على شركهما .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى النضير يستعين فى ديتهما وكانت بنو النضير حلفاء لبنى عامر .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السبت فصلى فى مسجد قباء ومعه رهط من المهاجرين والانصار . ثم جاء بنى النضير فوجدهم فى ناديهـم ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فكلمهم رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ان يعينوه فى دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية .

---

(١) كذلك ذكرها ابن اسحاق ومعظم كتاب السيرة .
(٢) كان عمرو بن أمية الضمرى هو الوحيد الذى أطلقه عامر بن الطفيـل واعتقه عن رقبة زعم أنها عن أمه ، أنظر ص ٢٩

فقالوا : نفعل ، يا أبا القاسم ، ماأحببت ، قد أنى لك أن تزورنا وأن تأتينا .

اجلس حتى نطعمك ! ورسول الله صلى الله عليه وسلم مستند الى بيت من بيوتهم ، ثم خلا بعضهم الى بعض فتناجوا ، فقال حيي بن أخطب[1] :

يامعشر اليهود ، قد جاءكم محمد في نفير من أصحابه لايبلغون عشرة فاطرحوا عليه حجارة من فوق هذا البيت " الذى هو تحته فاقتلوه ، فلن تجدوه أخلى منه الساعة ، فانه ان قتل تفرق أصحابه ، فلحق من كان معه من قريش بحرمهم ، وبقى من هاهنا من الاوس والخزرج وحلفاؤكم ، فما كنتم تريدون أن تصنعوا من الدهر فمن الآن .

فقال : عمرو بن جحاش :

انا اظهر على البيت فاطرح عليه صخرة .[2]

---

(١) هو حيي بن أخطب بن سعيه وقيل سعنه بن عامر بن عبيد بن كعب النضرى .

كان قد عرف صدق النبى صلى الله عليه وسلم من أول مارآه ـ عند مقدمه قباء ـ لكنه كفر بغيا وحسدا وعاهد نفسه على معاداة النبى صلى الله عليه وسلم مدى الدهر ، فكان من أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وللمسلمين .

فهو الذى أشار بفكرة أغتيال النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى قاد الوفد اليهودى الذى حرض قريش على قتال النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الاحزاب ، وهو الذى حرض بنى قريظة على نقض عهودهم مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد قتل فى غزوة بنى قريظة سنة خمس من الهجرة .

(٢) هو عمرو بن جحاش بن كعب بن بسيل النضرى . وقد قتله يامين بن عمرو ـ احد اللذان اسلما من بنى النضير ـ جزاء لفعلته النكراء ذكر ذلك ابن اسحاق . سيرة ابن هشام ٣ / ٢٢٣ .

قال سلام بن مشكم[(١)] :

ياقوم اطيعونى هذه المره وخالفونى الدهر .

والله ان فعلتم ليخبره بانا قد غدرنا به ، وان هذا نقض العهد الذى بيننا وبينه ، فلا تفعلوا . .

وقد هيأ عمرو بن جحاش الصخرة ليرسلها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدرها .

فلما أشرف بها ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما هموا به ، فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا كأنه يريد حاجة ، فلما يئسوا من ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه ، مامقامنا هنا بشئ لقد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر[(٢)] .

فقاموا فى طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه ، فقال رأيته داخلا المدينة .

فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا اليه، فاخبرهم الخبر بما كانت يهود قد ارادت من الغدر به .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم ، والسير اليهم[(٣)] .

---

(١) هو سلام بن مشكم النضرى . كان سيد بنى النضير . وصاحب كنزهم والمراد بالكنز هو ماكانوا يجمعون من أموال يحفظونها لمهماتهم ونوائبهم .

وكان ضمن الوفد اليهودى الذى حرض قريش لقتال النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الاحزاب .

(٢) المغازى للواقدى ١/٣٦٣ .

(٣) تاريخ الطبرى ٢/٥٥١ .

وذكرت المصادر قصة أخرى لمحاولة الاغتيال من بنى النضير رواها عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى ملخصها (١) :

أنه بعد كتابة قريش اليهم وتهديدها لهم بالحرب ان لم يقاتلوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاستجاب بنو النضير لهم وعزموا على الغدر ، وأرسلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم أن يخرج اليهم فى ثلاثين رجلا من أصحابه ، ووعدوا ان يخرجوا بمثلهم من أحبارهم الى موضع وسط ليستمعوا منه .

فان صدقوه آمنت يهود ، فلما اقتربوا اقترح اليهود أن يجتمع النبى ومعه ثلاثة من احبارهم فان أقنعهم آمنت بنو النضير ، وقد حمل الثلاثة خناجرهم لكن امرأة منهم أفشت خبرهم لاخ لها مسلم ، فأخبر النبى فرجع ولم يقابلهم ، ثم حاصرهم بالكتائب وقاتلهم فنزلوا على الجلاء ، وعلى أن لهم ماحملت الابل الا السلاح فاحتملوا حتى ابواب بيوتهم (٢) .

كل هذه الاسباب وغيرها أدت الى غزوة بنى النضير وقد ذكر القرآن الكريم المؤمنين بهذه النعمة الجليلة وكيف نجى الله نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم من مكر يهود بنى النضير فقال تعالى : " يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون " (٣) .

---

(١) المصنف ٥ / ٣٥٨ ، وهى رواية صحيحة الاسناد قال الدكتور اكرم ضياء العمرى (وهذه الرواية اسنادها رجاله ثقات وفيه جهالة اسم الصحابى ولا تضر) المجتمع المدنى فى عهد النبوة ص ١٤٦ .

(٢) قال الدكتور اكرم العمرى : ورغم أن رواية عبد الرزاق أقوى سندا من رواية ابن اسحاق ، لكن رواية ابن اسحاق حظيت بقبول كتاب السيرة (المجتمع المدنى فى عهد النبوة ص ١٤٦) وانظر قول ابن حجر فى المسألة ص ٤٢ من الرسالة .

(٣) سورة المائدة ، آية ١١ .

وقد أورد المفسرون فى سبب نزول هذه الآية الكريمة روايات فيهـــا :

روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن ابى سامة عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق الناس فى العضاه يستظلون تحتها وعلق النبى صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجاء اعرابى الى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه فسله ، ثم أقبل عليه فقال من يمنعك منى ؟ قال الله - عز وجل - فسقط السيف من يد الاعرابى فدعا النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فاخبرهم خبر الاعرابى . وهو جالس الى جانبه ولم يعاقبه(1).

وأخرج ابن جرير عن ابن أبى زياد قال : جاء رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم بنى النضير ليستعينهم فى عقل أصحابه ومعه ابو بكر وعمر وعلى . فقال أعينونى فى عقل أصابنى فقالوا : نعم ياابا القاسم قدآن ذلك أن تأتينـــا وتسألنا حاجه ، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذى تسألنا ، فجلس رســـول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ينتظرون وجاء رأس القوم ، وهو الذى قـــال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال - فقال لأصحابه لا ترون اقرب منه الآن ، اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه - ولا ترون شرا ابدا .

فجاءوا الى رحى لهم عظيمة ليطرحوها عليه ، فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاء جبريل عليه السلام فأقامه من ثم . فأنزل الله عز وجل " ياأيهـــا الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكـــف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون " .

... فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ماأرادوا به(2).

وذكر محمد بن اسحاق ومجاهد وعكرمة وغير واحد(3) أنها نزلت فى شـــأن بنى النضير حين أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(1) تفسير ابن كثير : ٢/ ٣١ .

(2) تفسير ابن جرير الطبرى : ٦/ ١٤٤ - ١٤٥ .

(3) هذه الاثار وان كان فيها ضعف يمكن ان تعتضد لتصبح بمجموعها صالحة للاحتجاج بها (أنظر المجتمع المدنى فى عهد النبوه ص ١٤٥) .

الرحى لما جاءهم يستعينهم فى دية العامريين ، ووكلوا عمرو بن جحاش بذلك ان جلس النبى صلى الله عليه وسلم - تحت الجدار - واجتمعوا عنده ان يلقى الرحى من فوقه . فاطلع الله النبى - صلى الله عليه وسلم - على ما تمالـؤا عليه . فرجع الى المدينة وتبعه أصحابه فأنزل الله فى ذلك هذه الآية[1].

هذا وقد رجح ابن جرير ان تكون الآية قد نزلت بسبب ماأضمره بنـو النضير من كيد وسوء للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال :

" واولى الأقوال بالصحة فى تأويل ذلك قول من قال : عنى اللـه بالنعمة التى ذكر فى هذه الآية نعمته على المؤمنين به ورسوله التى انعم بها عليهم فى استنقاذه نبيهم صلى الله عليه وسلم . مما كانت يهود بـنى النضير همت به من قتله وقتل من معه يوم سار اليهم فى الدية التى تحملها عن قتيلى عمرو بن أميه . وانما قلنا اولى بالصحة فى تأويل ذلك ، لان الله عقب ذلك برمى اليهود بسوء صنائعها وقبيح فعالها ، وخيانتها ربها وانبيائهـا .. الخ[2].

ونحن نوافق ابن جرير فى ترجيحه لما رجحه الا أننا لا نمنع ان تكـون الآية الكريمة نزلت بعد تلك الحوادث مجتمعه ، فقد تتعدد الحوادث والمنزل واحد كما قال العلماء .

والآية الكريمة قد أفتتحت بأمر المؤمنين بأن يذكروا نعمة الله عليهـم فقالت : " ياأيها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم " أى يامن آمنتم باللـه ورسوله ، اذكروا نعمة الله عليكم ، واشكروه عليها ، ليزيدكم من احسانـه وانعامه ودفع المكروه عنكم .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٢ / ٣١ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى : ٦/١٤٤ - ١٤٥ .

ثم وصف سبحانه نعمته التى امرهم بالشكر عليها مع سائر نعمه فقال تعالى " اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم " .

وقوله " اذ هم قوم " ظرف لقوله " نعمة الله " .

والهم : اقبال النفس على فعل شئ .

وبسط اليد هنا كناية عن البطش والاهلاك . يقال بسط يده اليه ، اذا بطش به . وبسط اليه لسانه : اذا شتمه . والبسط فى الاصل : مطلق المد . واذا استعمل فى اليد واللسان كان كناية عما ذكر .

وقوله : " فكف أيديهم عنكم " معطوف على قوله " هم قوم " وهذا الكف هو النعمة التى قصد تذكيرهم بها حتى يداوموا على شكر الله وطاعته .

والمعنى :

أى اذكروا نعمة الله عليكم ، التى من اكبر مظاهرها كفه عنكم أيدى اليهود الذين هموا ان يمدوا أيديهم بالسوء الى نبيكم ، وشارفوا ان ينفذوا مؤامراتهم الخبيثة ، ولكن الله احبط مكرهم ونجى نبيهم صلى الله عليه وسلم من شرورهم .

ثم أمر سبحانه ـ بتقواه والتوكل عليه فقال تعالى " واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون " .

أى اتقوا الله ايها المؤمنون ـ فى رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها فقد أراكم قدرته ، وتوكلوا عليه وحده . فقد أراكم عنايته بكم وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون .

ونحن نجد الآية الكريمة قد ذكرت المؤمنين بنعمة الله عليهم ليزدادوا له شكرا وحمدا . . فالله سبحانه وتعالى هو المستحق للحمد والشكر .

ثانيا : ((تحديد زمان غزوة بني النضير))

المحققون من المؤرخين يرون أن غزوة بني النضير كانت بعد أحد في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة ، قال ابن كثير - رحمه الله -: " ذكر البيهقي (١) والبخاري (٢) قبله خبر بني النضير قبل وقعة أحد ؛ .

والصواب ايرادها بعد ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن اسحاق (٣) وغيره من أئمة المغازي (٤) .

وبرهانه - أي القول بأنها كانت بعد احد - أن الخمر حرمت ليالي حصار بني النضير ، وثبت في الصحيح (٥) أنه اصطبح الخمر جماعة ممن قتل يوم احد شهيدا فدل على ان الخمر كانت حلالا ، وانما حرمت بعد ذلك ، فتبين ماقلناه من أن قصة بني النضير بعد وقعة أحد والله أعلم (٦) . أ هـ

---

(١) أنظر دلائل النبوة ٢ / ٤٤٢ .

(٢) انظر صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة بني النضير ٥ / ١١٢ .

(٣) انظر قول ابن اسحاق في سيرة ابن هشام ٣ / ٢١٩ .

(٤) جل اهل المغازي ذهب الى ذلك انظر على سبيل المثال (المغازي للواقدي ١ / ٣٦٣ ، وسيرة ابن هشام ٣ / ٢١٩) .

(٥) جاء ذلك من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال (اصطبح الخمر يوم احد ناس ثم قتلوا شهداء) والتصبيح : الشرب في الصباح انظر صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة احد ٥ / ١٢١ ، وفتح الباري ٧ / ٣٥٣ .

(٦) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ١٧ .

ومن المؤرخين من يرى أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر ، كما ذكر ذلك البيهقي (١) والبخاري (٢) والزهري (٣) .

قال البخاري : قال الزهري عن عروه : كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد (٤) .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ... وذكر حديثا طويلا يشير الى ان غزوة بني النضير بعد بدر (٥) .

لكن الامام ابن القيم - رحمه الله - قال :

وزعم محمد بن شهاب الزهري : أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر . وهذا وهم منه ، أو غلط عليه ، بل الذي لاشك فيه : انها بعد أحد والذي كانت بعد بدر بستة أشهر ، هي غزوة بني قينقاع ، وقريظة بعد الخندق وخيبر بعد الحديبية (٦) .

وقال ابن العربي والصحيح انها بعد احد (٧) .

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٢/٤٤٢ .

(٢) انظر صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب : غزوة بني النضير ١١٢/٥

(٣) انظر المصنف ٣٥٧/٥ ، وفتح الباري ٣٢٩/٧ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة بني النضير ١٢٢/٥ .

(٥) المصنف ٣٥٨/٥ ، وانظر ملخص القصة صفحة ٣٦ ، وانظر دراسة سند هذا الحديث في رسالة غزوة الخندق ص ٦١ ، ورسالة مرويات تاريخ يهود المدينة ص ١٢٥ .

(٦) زاد المعاد ٢٧٤/٢ .

(٧) احكام القرآن لابن العربي ١٧٦٥/٤ .

أما الحافظ ابن حجر فانه لم يجزم برأى قاطع فى المسألة وعلق التسليم(١) برأى ابن اسحاق بثبوت تعلق الغزوة بقصة العامرين القتيلين .

قال ابن حجر : معلقا على رواية الزهرى ـ فهذا أقوى مما ذكر ابن اسحاق من أن سبب غزوة بنى النضير طلبه صلى الله عليه وسلم أن يعينوه فى دية الرجلين ، لكن وافق ابن اسحاق جل اهل المغازى فالله أعلم .

واذا ثبت ان سبب اجلاء بنى النضير ماذكر من همهم بالغدر به صلى الله عليه وسلم عندما جاء اليهم ليستعين فى دية قتيلى عمرو بن أمية ، تعين ماقال ابن اسحاق ، لأن بئر معونه كانت بعد احد بالاتفاق .(٢)

والذى تطمئن اليه النفس ماذهب اليه ابن كثير وابن القيم وغيرهما من أن غزوة بنى النضير كانت بعد أحد لأن اباحة شرب الخمر فى غزوة احد ، وتحريمه خلال غزوة بنى النضير يؤيد ذلك . ولأن الثقات من العلماء كابن كثير وابن القيم عندما رتبوا الغزوات وضعوا غزوة بنى النضير بعد غزوة احد والله أعلم .

---

(١) فتح البارى ٧/٣٣٢ .

(٢) انظر تعليق الدكتور أكرم العمرى على رأى ابن حجر فى (المجتمع المدنى فى عهد النبوة ص ١٤٥) .

((المبحث الثانى))

:: أحداث غزوة بنى النضـــــــير ::

((أحداث غزوة بني النضير))

سنتكلم عن الاحداث من حين انذارهم بالجلاء حتى نزولهم على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهاية .

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن سلمة اليهم وقال له : أذهب الى يهود بني النضير وقل لهم : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني اليكم أن اخرجوا من بلادى لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر ، وقد اجلتكم عشرا ، فمن رئى بعد منكم ضربت عنقه .(1)

وأسقط في أيدى بني النضير ، ولم يجدوا جوابا يردون به ، سوى أن قالوا لمحمد بن سلمة : يامحمد ، ماكنا نظن ان يجيئنا بهذا رجل من الاوس.

فقال محمد : تغيرت القلوب ، ومحا الاسلام العهود فقالوا : نتحمل ومكثوا أياما يعدون العدة للرحيل .(2)

وفى تلك الفترة أرسل اليهم عبد الله بن أبي بن سلول من يقول لهم : اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ، وان قوتلتم قاتلنا معكم ، وان اخرجتم خرجنا معكم ،(3) ولا تخرجوا فان معي من العرب وممن انضوى الى قومي ألفين ، فأقيموا فهم يدخلون معكم حصونكم ، ويموتون عن آخرهم قبل ان يوصلوا اليكم .(4)

---

(١) طبقات ابن سعد الكبرى ٢/٥٧ .

(٢) تاريخ الطبرى ٢/٥٥٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ٣/٢٠١ .

(٤) تاريخ الطبرى ٢/٥٥٣ .

فمادت لليهود بعض ثقتهم وتشجع كبيرهم (حيى بن اخطب) وأرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم جدى بن أخطب يقول له : انا لن نريم - أى لن نبرح - دارنا فأصنع مابدا لك فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ، وقال : حاربت يهود[1] .

وانقضت الايام العشرة ولم يخرجوا من ديارهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه فصلى العصر بفضاء بنى النضير ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا على جدر حصونهم ، معهم النبل والحجارة واسوا فلم يقربهم ابن ابى ولا احد من حلفائه .

وحاصرهم المسلمون خمس عشرة ليلة وكان سعد بن عبادة يحمل التمر الى المسلمين ، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام كلثوم على المدينة ، وضربت قبة من أدم للرسول صلى الله عليه وسلم . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها .

وكان رجل من اليهود يقال له : غزول ، وكان أعسر راميا ، فرمى فبلغ نبله قبة النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمر بقبته فحولت الى مسجد الفضيخ وتباعدت عن النبل[2] .

وقد عمد النبى صلى الله عليه وسلم الى خطة بارعة تعد ضربة قاصمة لليهود ، وهى حرق نخيلهم ، فقضى بذلك على اسباب تعلقهم باموالهم وزروعهم لتزول حماستهم للقتال وجزع اليهود وتصايحوا :

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ١٤٦ .

(٢) المغازى للواقدى ١/ ٣٧١ .

يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من يفعله فما بال قطع النخيل وتخريبها ؟ .

ثم جعلت يهود كلما خلص رسول الله صلى الله عليه وسلم من هدم مايلي مدينتهم ألقى الله في قلوبهم الرعب . فهدموا الدور التي هم فيها من أدبارها ، ولم يستطيعوا ان يخرجوا على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يهدمون شيئا فشيئا[1] .

وأدرك بنو النضير حينئذ أن لا مفر من جلائهم ، ودب اليأس في قلوبهم وخاصة بعد ان اخلف ابن ابى وعده بنصرهم ، وعجز اخوانهم ان يسوقوا اليهم خيرا أو يدفعوا عنهم شرا فأرسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسون منه ان يؤمنهم حتى يخرجوا من ديارهم .

فوافقهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لهم (اخرجوا منها ولكم دماؤكم وماحملت الابل الا الحلقة - وهي الدروع والسلاح - فرضوا بذلك) .

وكان اليهود عند مغادرتهم يعمدون الى سقف بيوتهم وعمدها وجدرانها فينقضونها لئلا يستفيد منها المسلمون .

وحملوا معهم كميات كبيرة من الذهب والفضة حتى أن سلام بن ابي الحقيق[1] وحده حمل جلد ثور مملوءا ذهبا وفضة وكان يقول هذا الذى اعددناه لرفع الأرض وخفضها وان كنا تركنا نخلا ففي خيبر النخل[3] .

---

(١) التاريخ الكبير للذهبي ١ / ١٧٣ .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٧ .

وحملوا امتعتهم على ستمائة بعير ، وخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن من خلفهم حتى لا يشمت بهم المسلمون ، فقصد بعضهم خيبر وسار آخرون الى أذرعات الشام .

وكان من أشرافهم الذين ساروا الى خيبر :

(سلام بن ابى الحقيق [1] ، وحيى بن اخطب [2] ، وكنانة بن الربيع بن ابى الحقيق [3]) فلما نزلوها دان لهم اهلها [4] .

وقد حزن المنافقون لاجلائهم حزنا شديدا .

---

(١) هو أبو رافع سلام بن أبى الحقيق وكان شديد العداوة للمسلمين ، فكان ممن حزب الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد استأذن الصحابة من الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل سلام بن ابى الحقيق - وكان ذلك بعد غزوة قريظة - وهو بخيبر ، فأذن لهم فقتلوه بقيادة عبد الله بن عتيك الخزرجى الانصارى . وذلك لان الاوس والخزرج تتسابقان فى الخيرات بعد الاسلام .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٣٤ .

(٣) هو كنانة بن الربيع بن ابى الحقيق قتل فى فتح خيبر وهو احد اليهود من بنى النضير . كان زوج صفية وكان خلف على صفية بعد سلام بن سلمة القرظى . وقد جئ به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام خيبر وكان عنده كنز بنى النضير فسأله عنه فجحده فأتى رجل من يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فأنكر . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم . واخيرا دفعه الى محمد بن سلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة وقد كان كنانة ممن ألب الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٢٢ .

وقسم الرسول صلى الله عليه وسلم أموال بني النضير التي تركوها بين المهاجرين دون الانصار ، بعد أن استبقى قسما خصصت غلته للكراع والسلاح.[١]

وبذلك اصبح من هاجر من المسلمين الى المدينة في غنى عن معونة الانصار وأصبح لهم مثل ثروتهم ، ولم يشترك في القسمة من الانصار سوى (أبي دجانة وسهل بن حنيف) فقد ذكرا فقرا فأعطاهما النبي صلى الله عليه وسلم كما اعطى المهاجرين .

ونقل البلاذري عن الكلبي قوله : كانت أموال بني النضير مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار ليست لاخوانكم المهاجرين أموال ، فان شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعا ، وان شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة .

فقالوا بل اقسم هذه فيهم خاصة واقسم لهم من اموالنا ماشئت فنزلت : " ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة "[٢] . فقال أبو بكر : جزاكم الله يامعشر الانصار خيرا ، فوالله مامثلنا ومثلكم الا كما قال الغنوي :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت[٣]
بنا نعلنا في الوطأتين فزلت
أبوا أن يملونا فلو أن أمنا
تلاقي الذي تلقون منا لملت
فذو المال موفور وكل معصب
الى حجرات أدفأت وأظلت[٤]

---

(١) الكراع : الخيل .

(٢) سورة الحشر ، آية ٩ .

(٣) أزلقت : من زلق وهو في الاصل مصدر (زلقت) رجله و(أزلقها) غيره والمزلق الموضع الذي لا تثبت عليه قدم .

(٤) فتوح البلدان للبلاذري ، تحقيق د. صلاح المنجد : ١/ ٢١ .

ولم يسلم من بني النضير غير رجلين (يامين بن عمير ، وابو سعد بـــن وهب) .

فاحرز النبي صلى الله عليه وسلم اموالهما ولم تقسم .

((المبحث الثالث))

:: نتائج غزوة بني النضير ::

((المبحث الثالث))

:: نتائج غزوة بنى النضير ::

من أهم نتائج غزوة بنى النضير مايلى :-

١ - ان اجلاء بنى النضير كان خطة حكيمة ، وضربة صائبة أصابت مقتلا من اليهود والمنافقين فى وقت واحد ، لأنهما كانا يمثلان جبهة متحدة ضد المسلمين ، فلما تصدعت تلك الجبهة خفت صوت المنافقين وفترت عزائمهم ، وحزنوا على بنى النضير .

٢ - كان اجلاء بنى النضير تطبيقا رائعا للسياسة الحكيمة التى سار عليها النبى صلى الله عليه وسلم وهى الاخذ بمبدأ الوقاية (١) ، لاسيما فى أعقاب غزوة أحد لان بقاءهم بجوار المدينة - بعد أن ظهر غدرهم - كان سيشكل خطرا كبيرا على المدينة .

٣ - أن المسلمين بهذا النصر الذى أحرزوه بدون تضحيات تذكر ، توطد سلطانهم فى المدينة ، وعمها الأمن والاطمئنان .

٤ - تحسنت موارد الدولة الاسلامية الناشئة فقد انتفع المهاجرون بما فاء الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من أموال يهود بنى النضير وكما نعلم ان للاقتصاد أثر كبير فى قوة الدولة وضعفها .

---

(١) مبدأ الوقاية من مبادئ الحرب وتعرفه القوانين الحربية بأنه التدابير التى يتخذها القائد لسلامة قوته من المفاجأة ولاخفاء مواقعه من العدو .

٥ ـ ازداد حقد بني النضير على المسلمين بعد اجلائهم من المدينة فما ان استقر زعماؤهم فى خيبر حتى أخذوا يفكرون فى استئصال شأفة المسلمين عن آخرهم بتأليب جموع الأحزاب عليهم ولتنفيذ فكرتهم قرروا ارسـال وفدٍ الى مكة يتكون من :

١ ـ حيى بن أخطب .[1]

٢ ـ سلام بن مشكم .[2]

٣ ـ كنانة بن الربيع بن ابى الحقيق .[3]

٤ ـ وسلام بن ابى الحقيق .[4]

٥ ـ هوذه بن قيس الوائلى .

٦ ـ وابو عمار الوائلى .[5]

هذا وفى شأن بنى النضير نزلت سورة الحشر ، ففى البخارى عـن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ سورة الحشـر ، قال سورة بنى النضير.[6] وسنقوم بتفسيرها ان شاء الله فى الفصل الثانى .

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٣٤

(٢) تقدمت ترجمته ص ٣٥

(٣) تقدمت ترجمته ص ٤٧

(٤) تقدمت ترجمته ص ٤٨

(٥) سيرة ابن هشام ٣/٢٥٣ .

(٦) صحيح البخارى ـ كتاب المغازى ـ باب حديث بنى النضير ومخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ٥/١١٣ .

الباب الأول

الفصل الثاني

حديث القرآن عن غزوة بني النضير
وتفسير الآيات التي وردت في ذلك

((الفصل الثانى))

:: حديث القرآن عن غزوة بنى النضير ::

لقد تحدث القرآن الكريم عن غزوة بنى النضير فى سورة كاملة وهى سورة الحشر . يقول ابن هشام : " ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ماأصابهم الله من نقمته ، وماسلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم وماعمل به فيهم " (1) .

وقد سمى حبر الأمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما سورة الحشر بسورة بنى النضير . ففى البخارى عن سعيد بن جبير قال : قلت : لابن عباس - رضى الله عنهما - سورة الحشر ، قال سورة بنى النضير " (2) .

والمراد كما قال ابن حجر نقلا عن الداودى : كأن ابن عباس كره تسميتها سورة الحشر لئلا يظن أن المراد بالحشر هنا يوم القيامة ، أو لكونه مجملا فكره النسبة الى غير معلوم (3) .

وروى البخارى ومسلم عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : سورة التوبة ؟ قال التوبه ؟

قال : بل هى الفاضحة . مازالت تنزل : ومنهم ، ومنهم ، حتى ظنوا ان لايبقى منا احد الا ذكر فيها .

---

(1) سيرة ابن هشام ٢ / ١٩٢ .
(2) صحيح البخارى - كتاب المغازى - باب حديث بنى النضير ٥ / ١١٢ .
(3) فتح البارى ٧ / ٣٣٢ .

قال : سورة الانفال ؟ قال : تلك سورة بدر .

قال : قلت : فالحشر : قال : نزلت في بني النضير (واللفظ لمسلم)[1] .

ويشمل هذا الفصل على مبحثين :

المبحث الأول : عرض اجمالي للسورة .

المبحث الثاني : تفسير السورة الكريمة .

*

* * *

---

(١) صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة الحشر ١٨٣/٦ ، وفتح الباري ٦٢٩/٨ ، وصحيح مسلم - كتاب التفسير - (رقم الحديث ٣٠٣١) - ٢٣٢٢/٤ .

((المبحث الأول))

:: عرض اجمالى للســـورة ::

*   *

*   *   *

((المبحث الأول))

:: عرض عام للسـورة ::

فى القرآن الكريم خمس سور بدء فيها بقوله تعالى " سبح لله " و " يسبح لله " وتسمى المسبحات ، (١) وسورة الحشر من هذه المسبحات .

وسورة الحشر من السور المدنية وآياتها أربع وعشرون بلا خلاف .(٢)

وقد نزلت فى أعقاب غزوة بنى النضير التى وقعت فى السنة الرابعة من الهجرة - كما سبق ان بينا - والذى يقرأ هذه السورة الكريمة بتدبر وتأمل يراها قد بينت ملابسات هذه الغزوة .

وفصلت القول فيها ، وبينت احكام الفئ ومن هم المستحقون له ؟ وأوضحت موقف المنافقين من اليهود ، كما كشفت عن حقائق نفسيات اليهود . وضربت الامثال لعلاقة المنافقين باليهود .

وبعد هذا الحديث المستفيض عن الغزوة وجه - سبحانه - الخطاب الى المؤمنين فأمرهم بتقواه وحذرهم من معصيته ، ثم ختم - سبحانه - السورة الكريمة بالثناء على القرآن الكريم وتحدث عن اسمائه وصفاته .

وبمزيد من التأمل فى آيات السورة بشكل عام نرى أنها :-

١ - أبتدأت بالثناء على الله ، وأن الكون كله بجميع ما فيه من مخلوقات من انسان ، وحيوان ، ونبات ، وجماد ، ينزه الله ويمجده ويشهد

---

(١) المسبحات : هى سورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن .

(٢) تفسير القرطبى ١٨ ص ١ .

بوحدانيته وقدرته وجلاله وناطق بعظمته وسلطانه .

قال تعالى : " سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم " .(١)

٢ - ثم أعقبت السورة ذلك ببيان كمال قدرته وعظمته ورأفته بالمؤمنين ومظاهر عزته حيث أجلى أعداءهم عن المدينة فقال تعالى :-

" هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فأعتبروا ياأولى الأبصار (٢) ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار (٣) ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب (٤) .

٣ - ثم وضحت حكم ماصنعه المسلمون من تقطيع النخيل وبينت أن ذلك جائز ، وكذلك اوضحت احكام الفيء ومايتعلق به من احكام . قال تعالى : " ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين (٥) وما فاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير (٦) ماافاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب(٧)

٤ - ثم تناولت السورة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثناء العاطر والذكر الحسن ، وبينت فضائلهم وصفاتهم وكذلك نوهت بفضائل الانصار وكيف استقبلوا المهاجرين بالحب والأثره . قال تعالى : " للفقراء

المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون (٨) والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (٩) . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤوف رحيم (١٠) .

٥ - ثم وصفت حالة المنافقين ، فبينت موقفهم وتحالفهم مع اخوانهم من اليهود وكشفت أيضا موقفهم من المسلمين ، وموقف اليهود ونفسياتهم . قال تعالى : " ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون (١١) . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون (١٢) لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون (١٣) . لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (١٤) كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم (١٥) كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى أخاف الله رب العالمين (١٦) فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين (١٧) .

٦ - ثم وعظت المؤمنين وذكرتهم باليوم الآخر ، وبينت البون الشاسع بين أصحاب الجنة وأصحاب النار وبينت عظمة القرآن وعلو منزلته ومكانته قال تعالى : " يا أيها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت

لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون (١٨) ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم انفسهم أولئك هم الفاسقون (١٩) لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون (٢٠) لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (٢١) .

٧ — ثم ختمت السورة الكريمة بذكر اسماء الله الحسنى وصفاته فقال تعالى :

" هو الله الذى لا آله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (٢٢) هو الله الذى لاآله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون (٢٣) هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٤) .

وبعد هذا العرض المجمل نبدأ فى تفسير السورة الكريمة .

((المبحث الثانى))

:: تفسير السورة الكريمة ::

=====

*

*　　　　　　　　*

بسم الله الرحمن الرحيم

" سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم " .[1]

التسبيح : مشتق من سبح .

والسبح هو المر السريع في الماء أو الأرض . قال الألوسي : التسبيح على المشهور تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه وتعالى . من سبح في الأرض والماء اذا ذهب وأبعد فيهما .[1]

العزيز : اى المنيع الجانب .

الحكيم : أصل الحكمة : المنع ، ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها من الاعوجاج ويقال للعلم لأنه يمنع عن ارتكاب الباطل .[2]

فمعنى الحكيم : هو الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة في تقديره وشرعه .

والمعنى :

أخبر سبحانه ان جميع ما في السموات وما في الأرض من كائنات ينزه الله تعالى عما لا يليق به .

وتكرير (ما) هنا لتأكيد هذا التنزيه مع التنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح .

و (ما) هنا تتناول جميع المسبحين سواء أكانوا من العقلاء أم من غيرهم .

---

(١) تفسير الألوسي ٢٧/١٦٤ .

(٢) تفسير الالوسي ١/٢٢٧ .

قال الآلوسى ماملخصه :

واختلف فى التسبيح على قولين :

١ ــ قال الجمهور : المراد به معنى مجازى شامل لمانطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين ، ولسان الحال كتسبيح غيرهم .

٢ ــ وذهب البعض الى ان التسبيح على الحقيقة المعروفة فى الجميع وهو مبنى على ثبوت النفوس الناطقة والادراك لسائر الحيوانات والجمادات على مايليق بكل .(١)

والذى أراه ان تسبيح جميع الكائنات لله ثابت له ــ عز وجل ــ بدليل قوله تعالى " وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا "(٢) الا ان كيفية التسبيح مفوض امرها اليه سبحانه .

وبعد هذه الافتتاحية المشعرة بالرهبة والجلال لله عز وجل بدأ سبحانه الحديث عن غزوة بنى النضير فقال تعالى :

" هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا ياأولى الابصار (٢)

(من اهل الكتاب) : المراد بهم بنو النضير .

(لاول الحشر) : اى فى أول الحشر واللام للتوقيت .(٣)

---

(١) تفسير الألوسى ٢٧/ ١٦٤ .

(٢) سورة الاسراء ، الآية ٤٤ .

(٣) المصدر السابق ٢٨/ ٣٩ .

والحشر : الجمع ، وحشر الناس : جمعهم .[(١)]

يقال : حشر القائد الجند اى جمعهم ومنه قوله تعالى " وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون " .[(٢)]

قال الامام الرازى : وسمى هذا الحشر بأول الحشر لوجوه : (احداهما) وهو قول ابن عباس والاكثرين أن هذا أول حشر أهل الكتاب ، أى أول مرة حشروا أو اخرجوا من جزيرة العرب لم يصبهم هذا الذى قبل ذلك ، لأنهم كانوا أهل نعمة وعز .

(وثانيهما) أنه تعالى جعل اخراجهم من المدينة حشرا . وجعله اول الحشر من حيث يحشر الناس للساعة من ناحية الشام ، ثم تدركهم الساعة هناك .

(وثالثهما) أن هذا اول حشرهم ، واما آخر حشرهم فهو اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام .

(ورابعها) معناه اخرجهم من ديارهم لا ول ما يحشر لقتالهم ، لأنه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(وخامسها) قال قتادة هذا اول الحشر والحشر الثانى نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب ،

---

(١) مختار الصحاح ، ص ١٣٧ .

(٢) سورة النمل ، الآية ١٧ .

تبيت معهم حيث يأتوا ، وتقيل معهم حيث قالـــوا ، وذكروا أن تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار .[1]

ويبدو لى من الاقوال التى ساقها الامام الــرازى أن أقربها هو القول بأن هذا هو أول حشر لهم مـــن الجزيرة العربية ، اما آخر حشرهم فهو اجلاء عمر ـ رضى الله عنه ـ لهم من خيبر .

(وقذف فى قلوبهم الرعب) : اصل القذف الرمى بقوة أو من بعيد . والرعب : الخوف الشديد .

(يخربــون) من خرب بمعنى هدم وأفسد .

(فاعتبروا ياأولى الأبصار) ياأولى الأفهام والعقول . قال الطبرى : وانمـــا عنى بالأبصار فى هذا الموضع أبصار القلوب ، وذلــك أن الاعتبار بها يكون دون الابصار بالعيون ، والأبصـــار : جمع بصر ، وهو فى الأصل الادراك بالعين ، ويطلـــق على القوة التى تقع بها الابصار وبالعين نفسها .[2]

المعـــنى :

وقوله ـ سبحانه ـ " هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب مـــن ديارهم لأول الحشر . . . " .

بيان لعظيم قدرته ـ سبحانه ـ أى هو ـ سبحانه ـ الذى أخرج بـــنى النضير من ديارهم التى سكنوها وحصنوها واعتقدوا أنهم لن يستطيع احـــد

---

(١) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ٢٩ / ٢٧٨ .

(٢) تفسير الامام الطبرى ٢٨ / ص ٣١ .

اخراجهم منها وكان ذلك لأول حشر لهم من الجزيرة الى الشام .

وقوله تعالى : " ماظننتم أن يخرجوا "

خطاب للمؤمنين يذكرهم ـ سبحانه ـ فيه بفضله عليهم .

أى : ماظننتم ـ أيها المؤمنون أن أعداءكم سيخرجون من تلك الديار المحصنة ولكن الله تعالى أخرجهم منها بقدرته وقدره .

قال ابن كثير " ماظننتم أن يخرجوا) أى فى مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة ايام مع شدة حصونهم ومنعتها (١).

وقوله " وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله " كشف عما كان يدور فى نفوس بنى النضير من غرور وصلف .

أى وظن اولئك اليهود أن حصونهم التى حصونها بالوان من التحصينات والمواقع ، ستحول بينهم وبين الوصول اليهم أو الخروج منها .

وقوله ـ سبحانه ـ " فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب " .

بيان لعظيم قدرته عز وجل حيث أتاهم ببأسه وقدرته من حيث لم يخطر ببالهم ، والقى ـ سبحانه ـ فى قلوبهم الرعب الشديد ، الذى جعلهم يخرجون من ديارهم صاغرين . ثم بين ـ سبحانه ـ ماجرى لهذه الديار المحصنة من تخريب فقال " يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين " .

أى أن هؤلاء اليهود وصل بهم الحال أنهم هم أنفسهم كانوا يهدمون بيوتهم ، وذلك ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجاره أفواه الازقه ،

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٣٢ . وهناك قول بأن مدة الحصار خمسة عشر يوما .

وليأخذوا بعضها معهم عندما حكم عليهم بالجلاء .

" وأيدى المؤمنين " أى شاركهم المسلمون فى ذلك التخريب بأمر الله ورسوله .

ثم ختم — سبحانه — هذه الآية بتلك العبارة الحكيمة فقال : " فاعتبروا ياأولى الأبصار " .

أى فاتعظوا بما حدث لهؤلاء اليهود ياأصحاب العقول السليمة ، والأفكار القويمة .

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة يجد أن الله هو الذى أخرج يهود بنى النضير من ديارهم الى الشام حيث أول لحشرهم فى حين أن كل الأسباب المادية معهم حتى اعتقدوا أنه لا احد يستطيع ان يخرجهم من حصونهم لقوتها ومنعتها

لكن الله خالق الأسباب والمسببات جاءهم من حيث لم يحتسبوا . جاءهم من قلوبهم التى لم يتوقعوا أنهم يهزمون بها فقذف فيها الرعب فاذا بهم يهدمون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين .

وفى هذا الاخراج عبر وعظات فليعتبر أولو الأفهام بما حل بهؤلاء اليهود وبهذه الأمة الكريمة بدأ الحديث عن غزوة بنى النضير التى سجلها القرآن الكريم بطريقته الفريدة حيث تكون بها تربية بالاحداث والوقائع ، تختلف تماما عن طريقة أهل السير ، وتمتاز بأنها تكشف الحقائق وتوضح الخفايا .

وتربط كل الاحداث بفاعلها الحقيقى وهو الله رب العالمين . ومن ذلك أنها بينت ان الذى أخرج بنى النضير هو الله جل جلاله " هو الذى اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب " .

واستمرت الآية توضح أنهم حسبوا كل شئ وأحاطوا بجميع الأسباب الأرضية لكن جاءتهم الهزيمة من مكان اطمئنوا اليه وهو أنفسهم فاذا الرعب يأتى من

داخلهم فاذا بهم ينهارون فى أسرع لحظة لذلك يجب على كل انسان عاقل أن يعتبر من هذه الغزوة وأن يعرف أن الله هو المتصرف فى الأمور وأنه لا تقف أمام قدرته العظيمة لا الأسباب ولا المسببات فهو القادر على كل شئ فعلى الناس أن يؤمنوا به تعالى ويصلحوا أمرهم فاذا اتبعوا أمر الله اصلح الله لهم كل شئ وأخرج اعداءهم من حيث لم يحتسبوا .

وتسجيل القرآن الكريم للغزوة وما فيها من عبر جليلة تجعلها درسا للامة الاسلامية فى جميع عصورها تذكرهم أن طريق النصر قريب وهو الرجوع الى الله والاعتماد عليه والتسليم لشريعته .

وتقديره حق قدره فاذا عرف ذلك المؤمنون نصرهم الله ولو كان عدوهم قويا وكثيرا فان الله لا يعجزه شئ واقرب شاهد واقعى لذلك هو اجلاء بنى النضير . وهى عبرة فليعتبر بها . والسعيد من اعتبر بغيره .

ثم أوضح سبحانه أنه لو لم يعاقبهم بالجلاء لعذبهم فى الدنيا بالقتل أما فى الاخرة فلهم عذاب النار . قال تعالى : " ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار " .

الجلاء : مفارقة الوطن ، والانتقال من موضع الى موضع ومن بلدة الى اخرى .
والجلاء أخص من الخروج لانه لا يقال الا للجماعة ، والاخراج يكون للجماعة وللواحد[1].

المعنى :

ولولا ان قضى الله وكتب على هؤلاء اليهود من بنى النضير فى أم الكتاب الجلاء لعذبهم فى الدنيا بالقتل كبنى قريظة ثم لهم فى الآخرة عذاب النار .

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ٣١٦/٤ .

ثم علل ــ سبحانه ــ الاسباب التى أدت الى الى ماقضاه فيهم : " ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب " .

شاقوا : من المشاقه بمعنى المخالفة والمعاداة ، مشتق من الشق أى الجانب فكأن كل واحد من المتعادين أو المتخالفين صار فى شق غير شق صاحبه .(١)

والمعنى :

ان ذلك العذاب الذى حل بهم هو بسبب مخالفتهم لله ولرسوله وعصيانهم لأوامره " ومن يشاق الله " أى يحاربه ويعاديه " فان الله شديد العقاب " .

قال الألوسى : (وشديد العقاب هذه الجملة اما نفس الجزاء ، وقد صرف العائد عند من يلتزمه ، أى شديد العقاب له ، أو تعليل للجزاء المحذوف اى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب .(٢)

ثم بين ــ سبحانه ــ بعد ذلك بشئ من التفصيل ماحدث من المؤمنين عند محاصرتهم لبنى النضير فقال تعالى :ــ

" ماقطعتم من لينة أوتركتموها قائمة على اصولها فبأذن الله وليخزى الفاسقين " .

روى المفسرون فى سبب نزول هذه الآية روايات منها :ــ

---

(١) التفسير الوسيط ــ سورة الانفال ــ للشيخ محمد سيد طنطاوى ص ٦٤ .

(٢) تفسير الألوسى ٢٨/٤٣ .

ماأخرجه البخارى (١) ومسلم (٢) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع البويرة (٣)، فانزل الله تعالى : " ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فبأذن الله وليخزى الفاسقين " .

وروى الطبرى عن يزيد بن رومان قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم — يعنى بنى النضير — تحصنوا منه فى الحصون ؛ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها ، فنادوه يامحمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ؟

فأنزل الله عز وجل " ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فبأذن الله وليخزى الفاسقين " (٤).

واللينة : واحدة اللين ، وهو النخل كله . أو الا العجوة أوكرام النخل .

وقيل : واحدة اللون ، وهو جميع الوان التمر سوى البرنى والعجوة ويسميه أهل المدينة الألوان وأصل لينه لونه ، فقلبت الواو ياء لكسر ماقبلها ... (٥)

---

(١) صحيح البخارى — كتاب التفسير — سورة الحشر : ٦ / ١٨٤ ، وفتح البارى ٨ / ٦٢٩ .

(٢) صحيح مسلم — كتاب الجهاد والسير — باب جواز قطع نخيل الكفار ٣ / ١٣٦٥ .

(٣) البويرة : قال ابن حجر (بالموحدة مصغر بؤرة وهى الحفرة ، وهى هنا مكان معروف بين المدينة وتيماء ، وهى من جهة قبلة مسجد قباء الى جهة الغرب ويقال لها ايضا البويله باللام بدل الراء فتح البارى : ٧ / ٣٣٣ .

(٤) تفسير الطبرى ٢٨ / ٣٤ .

(٥) صفوة البيان لمعانى القرآن ٢ / ٤١٥ .

والمعــنى :

ماقطعتم ــ أيها المسلمون ــ من نخلة أو تركتموها قائمة بدون قطع فكـل ذلك " بأذن الله " أى بأمر الله .

قال الطبرى : وقوله " فبأذن الله " يقول فبأمر الله قطعتم ، وتركتم مـا تركتم ، وليغيظ بذلك أعداءه ، ولم يكن فسادا بل هو اذلال للخارجين عـن طاعة الله عز وجل ، المخالفين أمره ونهيه وهم يهود بنى النضير .(١)

فالآية الكريمة تزيل الحرج الذى لحق بقلوب المؤمنين من قطعهم للنخيل وتزيد فى طمأنينتهم على صواب ماصنعوا ببيان ان مافعلوه انما هو بأمر اللـه وارادته وأن الغرض منه انما هو اخزاء الفاسقين ودحرهم وهزيمتهم .

ومن الاحكام التى تؤخذ من هذه الآية الكريمة :

منع التخريب :

وقد أفاض فى شرح هذه المسألة الشيخ محمد ابو زهرة فقال : ما ملخصه بعد أن ساق آراء الفقهاء فى ذلك :ــ

(والذى ننتهى اليه بالنسبة لما يكون فى الحرب من هدم وتحريـق وتخريب أنه يستفاد من مصادر الشريعة وأعمال النبى صلى الله عليه وسلم فـى حروبه :ــ

١ ــ أن الأصل هو عدم قطع الشجر وعدم تخريب البناء ، لأن الهدف مـن الحرب ليس ايذاء الرعيه ، ولكن دفع أذى الراعى الظالم وبذلـك وردت الآثار .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٨/٣٥ .

٢ ـ أنه اذا تبين أن قطع الشجر وهدم البناء توجبه ضرورة حربية لا مناص منها كأن يستتر العدو به ويتخذه وسيلة لايذاء جيش المؤمنين فانه لا مناص من قطع الأشجار وهدم البناء ، على أنه ضرورة من ضرورات القتال كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم هنا وفى حصن ثقيف .

٣ ـ أن كلام الفقهاء الذين أجازوا الهدم والقلع يجب أن يخرج على أساس هذه الضرورات ، لا على أساس ايذاء العدو والافساد المجرد ، فالعدو ليس الشعب انما العدو هم الذين يحملون السلاح ليقاتلوا .(١)

---

(١) خاتم النبيين للشيخ محمد ابو زهرة ، ٢/٢٦٥ — ٢٦٩ .

ثم أوضح سبحانه وتعالى حكم الاموال التى أخذها المسلمون من بنـــى النضير بعد أن تم اجلاؤهم فقال تعالى :ـــ

" وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكـــن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير " .

وقوله سبحانه " وما افاء الله على رسوله منهم " :

قال الطبرى : فاء الشئ على فلان : اذا رجع اليه ، وأفاته أنا عليه : اذا رددته عليه .(١)

والفـئ : ماكان شمسا فنسخه الظل والجمع أفياء وفيوء . وأصل الفئ الرجوع . مأخوذ من فاء يفئ اذا رجع كأنه كان فى الأصل لهم فرجع اليهم ومنه قيل للظل الذى يكون بعد الزوال فئ لأنه يرجع من جانـــب الغرب الى جانب الشرق .(٢)

ونقل الراغب عن بعضهم : سمى ذلك بالفئ الذى هو الظـل تنبيها أن أشرف أعراض الدنيا يجرى مجرى ظل زائل .(٣)

والفئ شرعا : ماردة الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالفهم فـــى الدين بلا قتال اما بالجلاء أو بالمصالحة على جزية أو غيرها .(٤)

وقوله تعالى " فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب " .

بيان لجانب من نعمة الله ـــ تعالى ـــ على رسوله وعلى المؤمنين حيـــث مكنهم من أموال بنى النضير بدون قتال يذكر .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٨/ ٣٥ .

(٢) لسان العرب ـــ مادة فيأ ـــ ١/ ١٢٤ .

(٣) المفردات فى غريب القرآن : للراغب الاصفهانى ـــ ص ٣٨٩ .

(٤) أحكام الغنيمة والفئ لعوض هلال العمرى ص ٢٣ ـــ ٢٤ .

قال القرطبي : والايجاف : الايضاع في السير وهو الاسراع ، يقال : وجف الفرس اذا أسرع ، وأوجفته أنا أي حركته وأتعبته .

ومن قول تميم بن مقبل :

مذاويد بالبيض الحديث صقالها

عن الركب احيانا اذا الركب أوجفوا

(أي اسرعوا) .[1]

والضمير في (عليه) يرجع الى ما في قوله " وما أفاء الله " .[2]

والركاب : مايركب وهو اسم جمع وقد خص في لسان العرب بما كان من الابل خاصة ، لايكادون يطلقون اسم الركاب الا على راكب البعير وان كانت التسمية للاشتقاق من الركوب .

و يوجد هذا المعنى في غير راكب البعير ولكن العرب كثيرا مايقتصرون اللفظ على بعض مايوجد فيه من الاشتقاق .[3]

والمعنى :

ان الله تعالى قد أوضح في هذه الآية أن الأموال التي عادت الى المسلمين من بني النضير قد تفضل بها عليهم بدون قتال شديد . وذلك لان المسلمين مشوا الى اعدائهم ولم يركبوا خيلا ولا ابلا وافتتحها صلى الله عليه وسلم صلحا وأجلاهم وأخذ أموالهم ووضعها حيث أمره الله . أخرج الشيخان من حديث عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — كانت أموال بني النضير مما أفاء

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ص ١٠ .

(٢) تفسير آيات الاحكام للسايس ٤/ ١٣٤ .

(٣) المصدر نفسه .

الله تعالى ـ على رسوله ، مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب ، فكانت للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة ، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ثم يجعل مابقى فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله تعالى[1].

ثم اشار الله عز وجل الى السبب الحقيقى الذى بلغهم النصر فقال تعالى : " ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير " ، أى ولكن جرت سنة الله ان يسلط رسله على من يشاء من اعدائه وينصرهم ويؤيدهم والله على كل شئ قدير أى قادر على نصرهم .

ثم بين أحكام الفئ فى قرى الكفار علمه فقال تعالى : " ماافاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ، وماآتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب " .

قوله تعالى " ماافاء الله على رسوله من أهل القرى : قال الامام ابن كثير : أى

جميع البلدان التى تفتح هكذا حكمها حكم أموال بنى النضير[2].

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : هى قريظة والنضير وفدك وخيبر[3]..

وقوله ـ سبحانه ـ (فلله) : للمفسرين فى ذلك اتجاهان : ـ ذكر ذلك الامام ابن كثير عند تفسير آية الغنيمة .

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب التفسير ـ سورة الحشر : ٦/ ١٨٤ ، وصحيح مسلم ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب حكم الفئ ٣ / ١٣٧٦ ، رقم الحديث ١٧٥٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٣٧ .

(٣) تفسير الخازن ٤ / ٦٠ .

١ ـ قال بعضهم لله نصيب من الخمس يجعل في الكعبة .

٢ ـ وقال آخرون ذكر الله هنا استفتاح كلام للتبرك فسهم الله ورسوله واحد .

وممن ذكر هذا الرأى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وابراهيم النخعى والحسن بن محمد بن الحنفيه والحسن البصرى والشعبى وعطاء بن ابى رباح وعبد الله ابن بريدة وقتادة وغيرهم .(١)

ففى هذه الآية يأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم ماشاء من الفئ ويعطى ذى القربى واليتامى والمساكين منه والفئ لا يخمس .(٢)

(وللرسول) : أى يأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من الفئ ماشاء ويضعه حيث أراد

(ولذى القربى) : الأقارب جمع قريب من قرب ككرم . وهو فى الأصل مصدر يقال : قريبى ، وذو قرابتى ، وأقرباؤك : عشيرتك الأدنون ، والمراد بهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب .(٣)

(واليتامى) : حقيقة اليتم هو الانفراد .

ومنه الرابية المنفردة تسمى يتيمه .

والمرأة المنفردة من الازواج تسمى يتيمه .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣١٠ ـ ٣١١ .

(٢) انظر آراء الفقهاء فى ذلك ص ٨٩ من الرسالة .

(٣) القاموس المحيط ١/ ١١٤ ، وتاج العروس ١/ ٤٢٣ .

والمراد باليتيم هنا : هو الصغير الذى مات ابوه .[1]

قال النبى صلى الله عليه وسلم (لا يتم بعد احتلام) .[2]

(والمساكيـــن) : جمع مسكين ، وهو من لا شئ له ، فيحتاج الى سؤال الناس لسد حاجاته ومطالب حياته .

وهو مأخوذ من السكون الذى ضد الحركـــة ، لان احتياجه الى غيره أسكنه وأذله .[3]

(وابن السبيل) : السبيل فى اللغة : الطريق ، وابن السبيل هو ابـــن الطريق . اى الذى يكثر الاسفار فى الطرقات . وانمـــا قيل له ابن السبيل لكونه ملازما للسبيل كملازمته الولـــد لوالدته فكأنه ابنه والعرب تسمى الملازم لشئ يعرف بـــه ابنه فيقال لمن يكثر الخروج فى الليل : ولد الليـــل . ويقال لطير الماء : ابن الماء .[4]

وجمعه : سبل ،

والمراد به هنا : هو المسافر المنقطع عن ماله فـــى سفر ، ولو كان غنيا فى بلده ، فيعطى مايرجع به .

---

(١) احكام الفئ والغنيمة فى الشريعة الاسلامية ــ رسالة ماجستير للطالـــب عوض هلال العمرى ــ ص ٢١٢ .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه : ٣ / ٢٩٣ ــ كتاب الوصايا ــ باب متى ينقطع اليتم .

(٣) انظر التفسير الوسيط ــ سورة التوبة ــ للشيخ محمد سيد طنطـــاوى ص ٢٠٠ .

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس ــ فصل السين من باب اللام ــ مـــادة (سبل) : ٧ / ٣٦٦ .

(دولـــه) : قال القرطبى : قال أبو عمر بن العلاء : الدولـــــه (بالفتح) الظفر فى الحرب وغيره ، وهى المصدر .

و (بالضم) اسم الشئ الذى يتداول من الاموال .[1]

المعـــنى :

تبين الآية الكريمة أن الاموال التى أفاءها الله على رسوله من كفار أهـــل القرى بدون قتال ولا حرب يكون مصرفها فى وجوه البر والخير وأنها لا تقسم تقسيـم الغنائم . ولا تخمس .

بل هى للرسول صلى الله عليه وسلم يضعها حيث شاء فيأخذ منها مايشاء ويعطى ذى قرباه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، وكذلك يعطى المساكيـــن واليتامى وابن السبيل وكل مايراه صالحا للعطاء يعطيه منها .

ثم علل ـــ سبحانه ـــ هذا الحكم فقال تعالى " كى لا يكون دولة بيـــــن الأغنياء منكم " .

قال القرطبى : فعلنا ذلك فى هذا الفئ ، كى لا تقسمه الرؤساء والا قوياء بينهم دون الفقراء والضعفاء ، لا ن أهل الجاهلية كانوا اذا غنموا أخذ الرئيس ربعها لنفسه ، وهو المرباع ثم يصطفى منها ايضا بعد المرباع مايشاء .[2]

---

(١) تفسير القرطبى : ١٨/ ص ١٦ .
(٢) المصدر نفسه .

ثم عقب سبحانه بأمر المسلمين بأن يأخذوا ماأتى به الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأن ينتهوا عما نهاهم عنه ، وأن هذا من لوازم الايمان ، وأمرهم بالتقوى فان عقابه شديد واليم للعصاة . فقال تعالى : " وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب " .

أى : ماأمركم به الرسول صلى الله عليه وسلم فافعلوه ، ومانهاكم عنه فاجتنبوه ، فانه انما يأمر بكل خير وصلاح ، وينهى عن كل شر وفساد .

وقوله (واتقوا الله) : خافوا ربكم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

وقوله (ان الله شديد العقاب) : اى فان عقابه اليم وعذابه شديد لمن عصاه وخالف ماامره به ، قال المفسرون : والاية وان نزلت فى أموال الفئ ، الا أنها عامه فى كل ماأمر الله به النبي صلى الله عليه وسلم أو نهى عنه من واجب أو مندوب ، أو مستحب ، أو محرم ، فيدخل فيها الفئ وغيره .(1)

عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : (لعن الله الواشمات ، والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله) .(2)

---

(1) تفسير الامام الرازى ٢٩/ ٢٨٦ ، وانظر صفوة التفاسير ٣/ ٣٥١ .

(2) قال العلماء : الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بكحل ، والمستوشمة : هى التى تطلب أن يفعل بها ذلك ، والنامصة هى التى تنتف الشعر من الوجه ، والمتفلجة هى التى تتكلف تفريج اسنانها من اجل الحسن ، وكل ذلك منهى عنه لأن فيه تغييرا لخلق الله (صفوة التفاسير ٣/ ٣٥١ .

فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها " أم يعقوب " . وكانت تقـــرأ القرآن — فأتته فقالت : ماحديث بلغني عنك انك قلت كذا وكذا !! وذكرتـه له .

فقال ابن مسعود : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليـه وسلم وهو في كتاب الله تعالى ؟

فقالت المرأة : لقد قرأت مابين لوحي المصحف فما وجدته .

فقال : ان كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، أما قرأت قول الله عز وجل " ومـا اتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا " رواه البخاري ومسلم.[1]

---

(١) صحيح البخاري — كتاب التفسير — سورة الحشر ٦/١٨٤ .

وصحيح مسلم : كتاب اللباس والزينة — باب تحريم فعل الواصلـة والمستوصلة ٣/١٦٧٨ .

وبعد أن بينت الآيات السابقة حكم فئ بنى النضير وأنه خاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليضعه حيث شاء وكذلك بينت حكم الفئ عموما ومصارفه .

بعد ذلك نرى القرآن الكريم يسوق لنا باسلوبه الفريد صورة مشرقة مضيئة للمهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان الى يوم القيامة قال تعالى :—

" للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون " .

قوله تعالى :

(للفقراء المهاجرين) : الجار والمجرور فى قوله تعالى " للفقراء المهاجرين " متعلق بما دل عليه قوله تعالى " كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم " .

والمعنى :

مال الفئ الذى أفاء الله عليكم أيها المسلمون فى غزوة بنى النضير يكون للفقراء المهاجرين .

وقوله تعالى " الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم "

صفة اولى للمهاجرين فقد أخرجهم كفار مكه من ديارهم واستلبوا منهم اموالهم بدون حق الا أن يقولوا ربنا الله .

وقوله تعالى " يبتغون فضلا من الله ورضوانا "

صفة ثانية للمهاجرين فهم عندما هاجروا من مكه تاركين اموالهم وديارهم وعشيرتهم كانوا يبتغون بهذا العمل وجه الله طالبين رضوانه .

وقوله تعالى " وينصرون الله ورسوله "

صفة ثالثة للمهاجرين فانهم ماخرجوا الا من اجل نصرة عقيدتهم واسلامهم في كل موطن .

وقوله سبحانه " اولئك هم الصادقون "

شهادة عظيمة من الله على صدق المهاجرين وكفاهم فخرا وشرفا بهـــــا فهي صادرة من علام الغيوب وعالم الاسرار والخفايا رضي الله عنهم وأرضاهم .

وتوسط الضمير بين المبتدأ والخبر يفيد الحصر اى حصر الصدق فيهم .

وبعد أن اثنى الله سبحانه وتعالى على المهاجرين اتبع ذلك بالثناء على الانصار فقال تعالى :

" والذين تبوأو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهـــــم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاؤلئك هم المفلحون " .

وقوله (تبوأو) : بمعنى تمكنوا وسكنوا مأخوذ من التبؤ : وهو التمكـــــن والاستقرار .

والمراد ب (الدار) : هي دار الهجرة . . المدينة المنورة

ولفظ (الايمان) : منصوب بفعل مقدر اى اخلصوا الايمان .

والضمير في قوله (من قبلهم) : يعود الى المهاجرين .

والمعـــنى :

بين سبحانه وتعالى في هذه الآية أهم الملامح والصفات المميزة للانصار .
فهم رضي الله عنهم سكنوا المدينة قبل المهاجرين وأخلصوا ايمانهم لله قبـــل وصول المهاجرين اليهم .

فقوله تعالى : " يحبون من هاجر اليهم "

صفة أولى من صفات الانصار فقد استقبلوا المهاجرين بالحب الصادق والفرحة العامرة بلا استثقال . وهكذا يفعل الايمان اذا تمكن من النفوس . .

وقوله تعالى : " ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا "

صفة ثانية من صفات الانصار .

و (حاجة) : الحاجة الى الشئ الفقر اليه مع محبته وجمعها حاجات وحوائج .[1]

والمراد بها هنا الحسد وعدم الرضا .

أى : ولا يحسدون المهاجرين على ماينالونه من مقام مفضل فى بعض المواضع ـ كتقديم ـ المهاجرين على الانصار فى الفضل مثلا ، ولا على ما يختصون به من مال كهذا الفئ وغيره ، فالانصار صدورهم طاهرة نقية لا تحمل الا الحب والبذل والايثار لاخوانهم المهاجرين .

وقوله تعالى : " ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة "

صفة ثالثة للانصار .

(ويؤثرون) : مأخوذ من الايثار ، وهو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية ، ورغبة فى الحظوظ الدينية .[2]

---

(١) المفردات فى غريب القرآن للراغب : ٣٥ .

(٢) تفسير القرطبى : ١٨/ ٢٣ .

وقوله (خصاصه) : اصلها فى اللغة : الحاجة التى تختل بها الحال ، والخصاصة من الاختصاص ، وهو انفراد بالأمر .

فالخصاصة : الانفراد بالحاجة .

والمراد بها فى الآية الكريمة الفاقة والفقر .

وقد ذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الآية آثارا منها ما أخرجه الامام البخارى[1] ومسلم[2] والترمذى[3] وغيرهم — عن أبى هريرة : قال : آتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أصابنى الجهد فأرسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا . فقال عليه الصلاة والسلام : "ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله ، فقام رجل من الانصار — وفى رواية فقال أبو طلحة — : انا يارسول الله فذهب به الى أهله فقال لامرأته : اكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : ماعندى الا قوت الصبيه .

قال : اذا أراد الصبيه العشاء فنوميهم وتعالى فاطفئ السراج ونطوى الليلة لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ففعلت ثم غدا الضيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لقد عجب الله عز وجل الليلة من فلان وفلانه ، أوضحك من فلان وفلانه ، فأنزل الله

---

(١) صحيح البخارى — كتاب التفسير — سورة الحشر ، باب (ويؤثرون على انفسهم) ٦/ ١٨٥ ، وفتح البارى ٨/ ٦٣١ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الأشربة — باب اكرام الضيف وفضل ايثاره ٣/ ١٦٢٤ ، رقم الحديث (١٧٢) — (٢٠٥٤) .

(٣) الجامع الصحيح للترمذى — كتاب تفسير القرآن — باب (ومن سورة الحشر) ٥/ ٤٠٩ .

عز وجل " ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة " .

والمعـــنى :

ان من صفات الانصار أنهم يفضلون غيرهم على أنفسهم حتى ولو كانـــوا فى حاجة ماسة الى مايقدمونه لهذا الغير . وذلك انما ينشأ عن قوة اليقين وتوكيدا لمحبة الله رسوله . وفى قصة سبب النزول مثالا معبرا ملموسا لهذا الايثار .

ثم ختم ـــ سبحانه ـــ هذه الآية بتلك الجملة الجامعة لصفات الخير فقـال تعالى :ـ

" ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " .

الشـــح : هو البخل مع الحرص . وذلك فيما كان عادة . ومنه قوله تعالــــى : " واحضرت الانفس الشح " . (١) قال سعيد بن جبير : شح النفـــــس هو اخذ الحرام من الزكاة .

وقال مقاتل : شح نفسه : حرص نفسه . (٢)

وقوله (فأولئك هم المفلحون) : أى الفائزون بما طلبوا ، والفلاح هو الفـــوز والظفر بادراك البغية .

وأصل الفلاح : من الفلح ـــ بسكون اللام ـــ وهو الشق والقطع ومنه فلاحة الأرض وهو شقها للحرث ، واستعمل منه الفلاح فى الفـوز كأن الفائز شق طريقة وفلحة للوصول الى البغية . (٣)

---

(١) المفردات فى غريب القرآن : ٣٦٣ .

(٢) تفسير فتح القدير للامام الشوكانى ٥ / ٢٠١ .

(٣) صفوة البيان لمعانى القرآن للشيخ محمد حسنين مخلوف ١ / ١٥ .

وهذه العبارة تفيد الحصر وذلك لتوسط الضمير بين المبتدأ والخبر :

" اولئك هم المفلحون " .

والمعنى :

ومن يترك شح نفسه التى تأمره بالسوء ويحملها على السخاء والبذل والعطاء ، فأولئك هم الظافرون بالسعادة فى الدنيا والآخرة .

وبعد أن مدح — سبحانه — المهاجرين والانصار هذا المدح العظيم اتبع ذلك بمدح التابعين لهم باحسان فقال تعالى :—

" والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم " .

الضمير فى قوله " من بعدهم " : يعود الى المهاجرين الاولين والانصار وقوله " غلا " : مأخوذ من الغل ، بمعنى العداوة والحقد والحسد.(١)

والمعنى :

يبين — سبحانه وتعالى — موقف هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين جاءوا بعد المهاجرين والانصار انهم يقولون على سبيل التضرع والدعاء : ياربنا اغفر لنا ذنوبنا واغفر كذلك " لاخواننا الذين سبقونا بالايمان " ولا تجعل يامولانا فى قلوبنا غلا ولا حسدا ولا ضغينة للذين آمنوا فانك ياربنا انت الرؤوف الرحيم بنا وبهم .

هذا وقد توسع بعض المفسرين والفقهاء فى ذكر الآداب والاحكام التى تؤخذ من هذه الآيات من قوله تعالى " وماافاء الله على رسوله منهم . . " الى قوله تعالى " ربنا انك رؤوف رحيم " واليك بعض هذه الآداب والاحكام :—

أ — حكم الفئ :

لقد استنبط الفقهاء كثيرا من الاحكام الخاصة بالفئ من هذه الآيات ، ويجدر بنا أن نتعرض لذكر هذه الاحكام بشئ من الاختصار لتتضح للقارئ الكريم احكام الفئ .

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ٣٦٣ .

اولا : الفرق بين الغنيمة والفئ :

١ ـ الغنيمة : مأخوذ من الغنم .

وهو الفوز بالشئ من غير مشقة ، والاغتنام انتهاز الغنم ، يقال : غنم القوم غنما بالضم.[1]

ويقال : غنمت أغنم غنما وغنيمة ، والغنائم جمعها .

وفى الاصطلاح :

اسم لما يؤخذ من أموال الكفرة بقوة الغزاة وقهر الكفر على وجه يكون فيه اعلاء كلمة الله تعالى.[2]

أما الفئ : فهو ماكان شمسا فنسخه الظل . والجمع : أفياء وفيوء .

وأصل الفئ الرجوع . مأخوذ من فاء يفئ اذا رجع كأنه كان فى الأصل لهم فرجع اليهم . ومنه قيل للظل الذى يكون بعد الزوال فئ لأنه يرجع من جانب الغرب الى جانب الشرق.[3]

وفى الاصطلاح :

هو ماردّه الله تعالى على أهل دينه من اموال من خالفهم فى الدين بلا قتال ، اما بالجلاء أو بالمصالحة على جزية وغيرها.[4]

---

(١) لسان العرب (مادة : غنم) : ١٢/٤٤٥ .
(٢) احكام الفئ والغنيمة فى الشريعة الاسلامية ـ رسالة ماجستير ـ ص ٢٣ .
(٣) لسان العرب (مادة : فيأ) ١/١٢٤، ١٢٦ .
(٤) احكام الغنيمة والفئ فى الشريعة الاسلامية ص ٢٤ .

٢ ـ الغنيمة تخمس : قال تعالى " واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وماانزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير "(١).

أما الفئ فانه لا يخمس على قول الجمهور بل يصرف فى مصالح المسلمين والى هذا ذهب ابو حنيفة ومالك وأحمد فى اصح ماروى عنه الا ان الامام الشافعى واحمد فى رواية قالوا ان الفئ يخمس(٢).

ثانيا : اختلف العلماء فى الغنيمة والفئ هل هما بمعنى واحد أو هما مختلفين على قولين :

القول الأول : أن الغنيمة والفئ بمعنى واحد فجميع ماأخذه المسلمون من الكفار على أى وجه كان غنيمة وفيئا والى هذا ذهب قتادة والماوردى(٣)

القول الثانى : أن الغنيمة تختلف عن الفئ والى هذا ذهب جمهور العلماء .

ثالثا : مصرف الفئ :

لا خلاف بين الفقهاء على أن الفئ فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف تبعا لما يراه صلى الله عليه وسلم .

واختلفوا فى مصرفه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم على قولين :

---

(١) سورة الانفال : آية رقم ٤١ .

(٢) احكام الغنيمة والفئ فى الشريعة الاسلامية ص ٥٩٥ ، والمغنى ٤١٤/٦

(٣) المصدر نفسه : ص ٢٥ .

القول الأول : ان مال الفئ يصرف فى أهل الجهاد لأن ذلك كان للنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته لحصول النصرة والمصلحة به فلما مات صار للجند (١) .

القول الثانى : ان مال الفئ يصرف فى مصالح المسلمين لكن يبدأ بجند المسلمين لأنهم أهل المصالح لكونهم يحفظون المسلمين فيعطون كفايتهم فما فضل قدم الاهم فالاهم من عمارة المساجد والقناطر واصلاح الطرق وكراء الانهار وسد بثوقها وأرزاق القضاة والائمة والمؤذنين والفقهاء ونحو ذلك فما للمسلمين فيه نفع واليه ذهب الامام أحمد والشافعى (٢) .

وبالنظر فى هذين القولين يترجح ان مال الفئ يصرف فى مصالح المسلمين فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قرأ قوله تعالى " ما افاء الله على رسوله من أهل القرى . . . " الى قوله " والذين جاءوا من بعدهم " (٣) قال هذه استوعبت المسلمين (٤) .

ب — عدالة الاسلام فى توزيع الاموال :

ومما يؤخذ من الآيات ، عدالة الاسلام فى تقسيم الاموال ، فالآيات وضحت حكم الفئ وتعريفه ثم وضحت مصارفه ثم عللت سبب هذا التقسيم : (كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .
(٢) احكام الغنيمة والفئ فى الشريعة الاسلامية ، ص ٢٨٧ .
(٣) الآيات من سورة الحشر ، من آية ٧ الى آية ١٠ .
(٤) المغنى لابن قدامة ٦/٤١٥ .

فالجملة الكريمة تعتبر قاعدة كبرى من قواعد الاسلام ، لأن كل وضع اقتصادى لا تحكمه هذه القاعدة فمصيره الى الزوال والى الانهيار والاضطراب .

ولقد اقام الاسلام بالفعل نظامه على أساس هذه القاعدة ، ففرض الزكاة وبين مصارفها وشرع كثيرا من الاحكام التى من شأنها أن توسع على المحتاجين وحرم الاحتكار والربا ، وهما من أهم الوسائل لجعل المال دولة بين الاغنياء دون الفقراء ، وبذلك وضع الاسلام نظاما اقتصاديا فريدا ، متوازى الجوانب متعادل الحقوق والواجبات ، يكفل لمن تبعه السعادة والرخاء ، والراحة والهناء .

ج ـ وجوب الانقياد لحكم الله تعالى ، ولحكم رسوله صلى الله عليه وسلم :

وذلك فى كل الأمور " وماآتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب " .

وقد جاءت آيات كثيرة فى هذا المعنى منها : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " . النساء ، آية ٦٥ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :(دعونى ماتركتكم ، انما اهلك من كان من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ، واذا امرتكم بأمر فاتوا منه ماااستطعتم) متفق عليه .(١)

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩ / ١١٧ ، وانظر فتح البارى ١٣ / ٢٥١
صحيح مسلم : كتاب الفضائل ـ باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك اكثار سؤاله ٤ / ١٨٣٠ .

د ـ فضل المهاجريـــن :

بينت الآيات فضل المهاجرين على غيرهم ، فهم لهم الدرجة الأولى في الفضل ، وقد بوب الامام البخاري في كتابه الصحيح بقوله : باب مناقـــــب المهاجرين منهم أبو بكر عبد الله بن ابي قحافة رضي الله عنه ، ثم ذكر قولـــه تعالى : " للفقراء المهاجرين . . . " [1] مستدلا بها على فضلهم .

قال ابن حجر :

وأشار المصنف بها الى ثبوت فضل المهاجرين لما اشتملت عليه مـــن أوصافهم الجميلة وشهادة الله تعالى لهم بالصدق [2] .

هـ ـ فضل الانصـــار :

فقد بينت الآيات فضل الانصار . وهم الذين وصفهم الله بأنهم " يحبون من هاجر اليهم " " ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا " " ويؤثرون علـــى انفسهم ولو كان بهم خصاصة " .

أخرج الامام البخاري من حديث شعبة قال حدثني عدي بن ثابت قـــال سمعت البراء رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ـ أو قـال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (الانصار لا يحبهم الا مؤمن ، ولا يبغضهـــم الا منافق . فمن احبهم احبه الله ، ومن ابغضهم أبغضهم الله) [3] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ـ باب مناقب المهاجريـــــن وفضلهم ٥/٣ .

(٢) فتح الباري جـ ٧ ص ٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ـ باب مناقب الانصار ٥/٤٠ ، وفتح الباري جـ ٧ ص ١١٣ .

و ـ فضل التابعين لهم باحسان :

وهم المتتبعون لآثارهم الحسنة واوصافهم الجميلة ، الداعون فى السر والعلانية . وذلك كما قال تعالى فى آية براءة : " والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه " .

أخرج الامام مسلم من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : قالت لى عائشة : ياابن أختى : امروا ان يستغفروا لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فسبوهم .(١)

قال النووى قال القاضى :

الظاهر انها قالت هذا عند ما سمعت أهل مصر يقولون فى عثمان ماقالوا ؛ وأهل الشام فى على ماقالوا ، والحرورية فى الجميع ماقالوا . وأما الأمر بالاستغفار الذى اشارت اليه فهو قوله تعالى : " والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان " .(٢)

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب التفسير ـ ٤/٢٣١٧ ، حديث رقم ٣٠٢٢ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/١٥٨ .

ثم ساقت السورة الكريمة بعد هذه الصورة المشرقة للمهاجرين والانصار والتابعين . . موقف المنافقين من الدعوة الاسلامية وكيف انهم تحالفوا مع اعدائها لمحاربتها فقال تعالى :ـ

" الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم الكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم . ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون " .

وقوله تعالى : " ألم تر " : هذه الكلمة قد تذكر لمن تقدم علمه فتكون للتعجب كالاخبار واهل التواريخ ـ وقد تذكر لمن لا يكون علمه كذلك فتكون لتعريفه وتعجيبه .

وقد اشتهرت فى ذلك حتى اجريت مجرى المثل فى هذا الباب ، بان شبه من " لم ير " الشىء بحال من رآه فى انه لا ينبغى ان يخفى عليه وانه ينبغى ان يتعجب منه .

ثم اجرى الكلام معه كما يجرى مع من رأى قصدا للمبالغة فى شهرته وعراقته فى التعجب .(١)

وقوله تعالى " الذين نافقوا " :

المنافق : هو الذى يظهر الايمان ، ويبطن الكفر. قال الأنبارى : وهو مأخوذ من النفق ، وهو السرب فهم يتسترون بالاسلام ، كما يتستر الرجل فى السرب .

---

(١) تفسير الالوسى : ٢/ ١٦٠ .

وقال غيره : انه مشتق من النافقاء — وهو حجر اليربوع — أو احد بابيه .

قال أبو عبيدة — انه يجعل لحجرة بابين :—

احدهما : القاصعاء ، والآخر النافقاء ، فاذا طلب من احداهما خرج من الآخر ، وهكذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين من باب الايمان ، وللكافرين من باب الكفر فاذا اصابته مشقه من احدهما لجأ الى الآخر .(١)

والمراد بهم فى الآية الكريمة عبد الله بن ابى سلول ، وجماعته .

وقوله تعالى " يقولون لاخوانهم " : أى لاخوانهم فى الكفر .

وقوله تعالى " الذين كفروا من أهل الكتاب " : هم يهود بنى النضير .

والمعنى :

لقد علمت يا محمد علم اليقين حال اولئك المنافقين الذين شجعوا اليهود على حربك فقد قالوا لهم " لئن أخرجتم " من دياركم بسبب محاربة المسلمين لكم " لنخرجن معكم " ولا نترككم تخرجون وحدكم ، " ولا نطيع فيكم احدا " أى : ولا نطيع فى الحاق الأذى بكم احدا ابدا . " وان قوتلتم لننصرنكم " وان قاتلكم المسلمون لنكونن على جواركم ضدهم .

---

(١) من مفردات القرآن — المنافقون — للدكتور محمد جميل غازى ص ٦ .

وقوله تعالى : " والله يشهد انهم لكاذبون "

رد من الله تعالى على مزاعمهم الكاذبة .

ثم زاد سبحانه فى تأكيد الرد عليهم فقال تعالى :

" لئن اخرجوا لا يخرجون معهم " .

أى ولئن أخرج المسلمون اليهود فان المنافقين لن يخرجوا معهم .

وقوله تعالى : " ولئن قوتلوا لا ينصرونهم "

أى : ولئن قاتل المسلمون اليهود فان المنافقين لن ينصروهم .

وقوله تعالى : " ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون "

أى : ولئن نصر المنافقون اليهود ـ على سبيل الفرض ـ فان نصرهم لن يضرهم شيئا . بل ان الفريقين سيولون الأدبار امام المسلمين . ثم لا ينصر الله بنى النضير .

ثم قرر القرآن الكريم حقيقة قائمة فى نفوس اليهود والمنافقين فقال تعالى :

" لأنتم اشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون " .

وقوله " رهبة " : أى أشد مرهوبية .

على أن (رهبه) مصدر من المبنى لمفعول لان المخاطبين وهم المؤمنين مرهوب منهم لا راهبون [1] . .

والمعنى :

لانتم يامعاشر المسلمين أشد خوفا وخشية فى صدور اليهود والمنافقين من الله .

وذلك بسبب أنهم قوم لا يفقهون شيئا من عظمة الله وقدرته .

ومن كان هذا شأنه كانت خشيته للناس أشد من خشيته لله تعالى .

ثم أكد سبحانه وتعالى هذه الحقيقة بصفات أخرى فيهم ، فقال تعالى :

" لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر " .

والمعنى :

يكشف سبحانه وتعالى عن حقائق نفسية اليهود فهم جبناء لا يستطيعون ان يواجهوا المسلمين فى مواطن مكشوفه ، بل لا يقاتلون الا من وراء قراهم المحصنة بالخنادق وجدرانهم وحوائطهم التى يتسترون من خلفها .

ثم كشف القرآن عن بعض اسباب ضعفهم وخورهم فقال تعالى :—

" بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون "

---

(١) تفسير الألوسى ١٨ / ٥٧ .

والمعنى :

أن هؤلاء اليهود فى الظاهر تراهم مجتمعين صفا واحدا ضد المسلمين لكن الآية تبين أنهم عكس ذلك فى الحقيقة فهم " بأسهم بينهم شديد " ، أى : عداوتهم بعضهم لبعض شديدة " تحسبهم جميعا " أى تظنهم مجتمعين على أمر ورأى ولكنهم فى الحقيقة " قلوبهم شتى " أى متفرقة .

وقوله سبحانه " ذلك بأنهم قوم لا يعقلون "

أى : وذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون الحق ولا يدورون معه ، وانما يدورون فى ركاب الباطل .

وفى الآية تشجيع للمؤمنين على قتال اليهود خصوصا اذا عرف المقاتلون المؤمنون أن اليهود جبناء .

ثم بين سبحانه أن مانزل ببني النضير من بلاء بسبب غدرهم قد نـــزل مايشبهه باخوان لهم من قبل جزاء خيانتهم وغرورهم[1] فقال تعالى :

" كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب أليم " .

والمعـنى :

أن صفة هؤلاء اليهود الذين نزلت بهم العقوبات من المسلمين وهـم ـ بنو النضير ـ كصفة الذين من قبلهم فيما نزل بهم من عقوبات ، وهم يهـود بني قينقاع فقد ذاقوا على ايد المسلمين عاقبة غدرهم فحاصرهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واجلاهم الى الشام ، ثم ان لهم فى الآخرة العذاب المؤلـم جزاء لهم .

---

(١) انظر قصة غزوة بني قينقاع فى ص ٢٤ .

ثم ضرب الله مثلا آخر للمنافقين ـ الذين أغروا بنى النضير بالمقاومة ثم خذلوهم عند المحنة ـ فقال تعالى :ـ

" كمثل الشيطان اذا قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين ، فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين " .

قوله تعالى " كمثل الشيطان " : قال ابن كثير :

الشيطان فى لغة العرب كل متمرد من الجن والانس والدواب وكل شئ . وهو مشتق من شطن اذا بعد ، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر ، وبعيد بفسقه عن كل خير .

وقيل : مشتق من شاط لانه مخلوق من نار .

والأول : أصح اذ عليه يدل كلام العرب . يقولون تشيطن فلان اذا فعل أفعال الشياطين ، ولو كان من شاط لقالوا : تشيط ، فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح .(1)

والمعنى :

قال ابن كثير :

يعنى مثل هؤلاء اليهود فى اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٤ ، وانظر المفردات للراغب : ص ٢٦١ .

المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لننصرنكم ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال تخلوا عنهم واسلموا للهلكه مثالهم فى هذا كمثل الشيطان اذ سول للانسان — والعياذ بالله — الكفر فاذا دخل فيما سوله له تبرأ منه ، وتنصل وقال " انى اخاف الله رب العالمين " وقوله " فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها " أى : فكان عاقبة الآمر بالكفر والفاعل له مصيرهما الى نار جهنم خالدين فيها " وذلك جزاء الظالمين الذين ظلموا انفسهم باتباع الشيطان " (١) .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٦ .

وبعد أن فصل - سبحانه - فى هذه السورة الكريمة أحداث غزوة بنى النضير ، اتبع ذلك بآيات فيها ارشاد للمؤمنين الى مايسعدهم ، فقال تعالى :-

" ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون (١٨) ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون " (١٩)

أى : يا من آمنتم بالله حق الايمان ، اتقوا الله - تعالى - حق تقاته ، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .

وقدموا العمل الصالح الذى ينفعكم فى اخراكم ، فان الله تعالى لا يخفى عليه شئ من أعمالكم .

واحذروا أن تكونوا كالذين غفلوا عن ذكر الله فأنساهم الله العمل لمصالح نفوسهم ، فصاروا من الفاسقين عن أمره الخارجين عن حدود دينه .

قال الامام الرازى :

الغد : يوم القيامة سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له ، ثم ذكر النفس والغد على سبيل التفكير .

أما الفائدة فى تنكير النفس فاستقلال الأنفس التى تنظر فيما قدمت للاخرة كأنه قال :

فلتنظر نفس واحدة فى ذلك ، وأما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام أمره ، كأنه قيل : الغد لا يعرف كنهه لعظمه .(١)

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٢٩/ ٢٩١ .

ثم نفى ـ سبحانه ـ المساواة بين أصحاب الجنة وأصحاب النار فقال تعالى :

" لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون "

أى : لا يستوى فى حكم الله وفى قضائه " أصحاب النار وأصحاب الجنة " فان أصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم الخالد الناجون من عذاب الله ،

أما اصحاب النار فهم الاشقياء التعساء الخالدون فى النار بسبب كفرهم وفسوقهم عما أمر به .

ثم بين عظمة القرآن وعلو منزلته فقال تعالى :

" لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متطوعا من خشية اللـــــــه وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون " .

خاشعــا : أى منقادا متذللا .

متصدعــا : أى متشققا .

خشية الله : أى خوفه وشديد عقابه .

والمعــنى :

لو جعلنا فى الجبل عقلا كما جعلنا فيكم أيها الناس ، ثم أنزلنا عليــــه القرآن لخشع هذا الجبل وخضع وتشقق من خشية الله . وهذا تمثيل لعلــــو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ والزواجر .

وفيه توبيخ للانسان على قوة قلبه وقلة تخشعه حين قراءة القرآن وتدبر مافيه من القوارع التى تذل لها الجبال الراسيات .(١)

وقوله تعالى " وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون "

أى : وهذه الأمثال الموجودة فى القرآن نضربها للناس لعلهم يتفكرون فيما اشتملت عليه من هدايات وارشادات .

قال الزمخشرى : الآية تمثيل والغرض من هذا التمثيل توبيخ الانسان على قسوة قلبه ، وقلة تخشعه ، عند تدبر القرآن ، وتدبر قوارعه وزواجره .(٢)

---

(١) انظر تفسير المراغى ٢٨/٥٧ بتصرف يسير .

(٢) تفسير الكشاف ٤/٥٠٩ .

وبعد أن وصف ـ سبحانه ـ القرآن بالعظمة وعلو المنزلة وقوة التأثير ، ختم ـ سبحانه ـ السورةَ الكريمة بما يليق بجلاله من صفات جليلة ، فقال تعالى

" هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم "

هو الله : لفظ الجلالة (الله) علم على ذات الخالق ـ عز وجل ـ تفرد به ـ سبحانه ـ ولا يطلق على غيره ، ولا يشركه فيه احد .

قال القرطبى : " الله " هذا الاسم أكبر اسمائه ـ سبحانه ـ وأجمعها حتى قال بعض العلماء : انه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره ، ولذلك لم يثن ولم يجمع .

فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الالهية ، المنعوت بنعوث الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقى ، لا اله الا هو سبحانه .(١)

" الذى لاآله الا هو عالم الغيب " :

الغيب : مصدر غاب يغيب ، وكثيرا مايستعمل بمعنى الغائب، ومعناه : ما لا تدركه الحواس ولا يعلم ببداهة العقل .(٢)

والشهادة : تطلق على مايشاهده الانسان ، وهى تقابل الغيب .

قال الراغب : الشهود والشهادة : الحضور مع المشاهدة اما بالبصر أو بالبصيرة وقد يقال للحضور مفردا ، قال " عالم الغيب والشهادة " .

---

(١) تفسير القرطبى ١ / ١٠٢ .

(٢) التفسير الوسيط ـ تفسير سورة الفاتحة والبقرة ـ محمد سيد طنطاوى ص ٥٣ .

لكن الشهود بالحضور المجرد أولى والشهادة مع المشاهدة أولى [١] .

"هو الرحمن الرحيم" : أى ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما [٢] .

قال ابن كثير :

أخبر تعالى أنه لا اله الا هو فلا رب غيره . ولا اله للوجود سواه . وكل مايعبد من دونه باطل .

وأنه عالم الغيب والشهادة أى يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء من جليل وحقير وصغير وكبير حتى الذر فى الظلمات [٣] .

---

(١) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص ٢٦٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٤٣ .

(٣) المصدر نفسه .

" هو الله الذى لا آله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون " .

" هو الله الذى لا اله الا هو الملك "

أى المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة .(١)

" القدوس " :

البليغ الطهارة والتنزه عما لا يليق به سبحانه من جميع النقائض والعيوب .

من القدس : وهو الطهارة وأصله القدس ـ بالتحريك ـ وهو السطل لانه يتطهر به .

ومنه القادوس المعروف .(٢)

السلام : ذو السلامة من النقائص والعيوب ، فهو صفة ذات أو السلامة على عباده فى الجنة . أو الذى سلم الخلق من ظلمه .

وعليها يكون صفة فعل .(٣)

المؤمن : المصدق لرسله باظهار المعجزات على أيديهم ، أو مصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب ، والكافرين ما أوعدهم به من العقاب ، من الايمان وهو التصديق :

يقال آمنه : من الأمان الذى هو ضد الخوف ، كما قال تعالى " وآمنهم من خوف " .(٤)

المهيمن : الرقيب الحافظ لكل شئ ، من الأمن بقلب همزته هاء .(٥)

---

(١) المصدر السابق .

(٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، صفوة البيان لمعانى القرآن ٢ / ٤٢٠ .

العزيز : هو الغالب على أمره المتفرد بالعزة والجلال يعز من يشاء ويذل من يشاء .

الجبار : العظيم الشأن في القدرة والسلطان ، فهو صفة ذات أو المصلح امور خلقه ، المصرف لهم فيما فيه صلاحهم . أو القهار الذى يجبر الخلق ماشاء من أمره فهو صفة فعل .

وهو فى حق الله صفة مدح .

وفى حق العبد صفة ذم .(١)

المتكبر : المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله من صفات المحدثين — أو المتكبر عن ظلم عباده .(٢)

" سبحان الله عما يشركون "

أى تنزه وتقدس عن اشراك المشركين .

---

(١) ، (٢) صفوة البيان لمعانى القرآن ٢/ ٤٢٠ .

قال تعالى : " هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم " (٢٤) .

" هو الله الخالق " : جل جلاله ـ يخرج الأشياء من العدم الى الوجود بتقدير وتدبير وعلم وقدرة .

" البارئ " : المبدع المخترع للاشياء ، والمبرز لها من العدم الى الوجود . (١)

" المصور " : مصور الاشياء ومركبها على هيئات مختلفة وصور شتى كيف شاء . من التصوير وهو التخطيط والتشكيل . (٢)

" له الأسماء الحسنى " :

التي سمى بها نفسه ، والتي هي أحسن الاسماء لدلالتها على معان حسنة ، من تحميد وتقديس وغير ذلك .

والحسنى : تأنيث الأحسن . (٣)

" يسبح له ما في السموات والأرض " :

أي : كل من في السموات والأرض ينزه الله عما لا يليق به .

" وهو العزيز الحكيم " :

أي : وهو ذو العزة الكاملة والحكمة الشاملة في كل اقواله وأفعاله .

---

(١) صفوة البيان لمعاني القرآن ٢/ ٤٢٠ .

(٢) ، (٣) صفوة البيان لمعان القرآن ٢/ ٤٢٠ .

عن العرباض بن سارية أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات (١) كل ليلة قبل أن يرقد ، يقول : " فيهن آية خير من ألف آية " (٢) .

واختلف فى هذه الآية :ـ

فقال ابن كثير : هى قوله تعالى فى اول سورة الحديد " هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم " .

وقال غيره : هى آواخر سورة الحشر (٣) .

وبهذه الآية ختمت السورة الكريمة . ويمكن أن نجمل أهم ماحوته من المقاصد والأغراض فيما يلى :ـ

١ ـ تنزيه الله لنفسه عن كل نقص .

٢ ـ تفصيل الحديث عن غزوة بنى النضير ، وبيان مانزل بهم من عقاب ، جزاء نقضهم لعهودهم . وتذكير المؤمنين بفضل الله عليهم فى ذلك .

٣ ـ بيان أحكام الفئ الذى أفاءه الله على المسلمين فى هذه الغزوة وفى غيرها .

٤ ـ مدح القرآن الكريم للمهاجرين والانصار على قوة ايمانهم ، وسخاء نفوسهم وصفاء قلوبهم وحسن بلائهم فى سبيل اعلاء كلمة الله .

٥ ـ كشف موقف المنافقين ، وذكر أقوالهم لليهود ، وبيان كذبهم فيما قالوه حتى يكون المؤمنون على بصيرة من أمرهم .

٦ ـ الاخبار عن جبن اليهود ، وبيان أن خوفهم من المؤمنين أشد من خوفهم من الله ، وفى ذلك مافيه من تحريض المؤمنين على قتالهم .

---

(١) المسبحات : هى سورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن .

(٢) رواه الامام احمد فى مسنده ٤ / ١٢٨ ، وابو داود : كتاب الأدب ـ باب مايقول عند النوم ٥ / ٣٠٤ . والترمذى : كتاب فضائل القرآن ـ باب : (٢١) ٥ / ١٨١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٠٢ .

٧ ـ توجيه النداء الى المؤمنين لكى يتقوا الله ـ تعالى ـ فى السر والعلن ولكى يقدموا العمل الصالح الذى ينفعهم يوم القيامة .

٨ ـ تعظيم شأن القرآن الكريم وبيان شدة تأثيره على القلوب .

٩ ـ وصف الله ـ سبحانه ـ نفسه بأوصاف الجلال والكمال .

*

*　　　*　　　*

الباب الثانى

حديث القرآن عن غزوة بني المصطلق

الباب الثاني

الفصل الأول

غزوة بني المصطلق من خلال كتب السيرة والتاريخ

((الفصل الأول))

:: غزوة بنى المصطلق من خلال كتب السيرة والتاريـــــخ ::

وقد كانت فى شعبان من السنة الخامسة من الهجرة على القول الراجح [1] .

وبنو المصطلق : هم فرع من خزاعة وكانوا حلفاء بنى مدلج [2] .

وكلامنا عن هذه الغزوة يتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الأحداث التى سبقت هذه الغزوة .

المبحث الثانى : من هم بنو المصطلق ؟ ومتى وقعت هذه الغزوة ؟

المبحث الثالث : أسباب هذه الغزوة وأحداثها .

المبحث الرابع : نتائج هذه الغزوة .

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى المبحث الثانى ص ١٢٢ .

(٢) انظر ص ١٢١ .

((المبحـــث الأول))

:: الأحداث التى سبقت هذه الغزوة ::

*

*   *   *

*

((المبحث الأول))

:: الأحداث التى سبقت هذه الغزوة ::

أ ـ كانت غزوة بنى النضير ـ كما سبق وأن أشرنا ـ فى ربيع الأول من السنة الرابعة ، ثم كانت بعدها غزوة ذات الرقاع فى جماد الآخرة ـ أى بعد شهرين من غزوة بنى النضير .

غزوة ذات الرقاع :

وذلك أنه وصلت أخبار الى النبى صلى الله عليه وسلم أن جماعة من غطفان بنجد يحتشدون للقيام بغزو المدينة ، لذلك خرج الرسول صلى الله عليه وسلم باربعمائة راكب وراجل حتى نزل نخلا (١) حيث يجتمع بنو محارب وبنو ثعلبه من غطفان .

وقد كان هؤلاء الأعراب كثيرين فى العدد الا أن مباغتة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم اربكتهم ، فتفرقوا تاركين وراءهم نساءهم وأموالهم وحمل المسلمون الغنائم . وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد غياب خمسة عشر يوما .

سبب تسميتها بذات الرقاع :

وسميت بذات الرقاع لأنهم كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق والرقاع اتقاء الحر .

---

(١) نخلا : هو منزل من منازل بنى ثعلبة من المدينة على مرحلتين .

وقيل : لأنهم رفعوا راياتهم .

وقيل : لشجرة كانت اسمها ذات الرقاع .

والصحيح الأول اذ روى الشيخان بسنديهما عن أبى موسى الأشعرى قال : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماى وسقطت أظفارى وكنا نلف على أرجلنا الحرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب بالحرق على أرجلنا .(١)

ب — وفى شعبان من السنة نفسها كانت غزوة بدر الآخرة وذلك ان أبا سفيان قال عند انصرافه من احد موعدكم وايانا العام المقبل ببدر .

فلما كان شعبان من العام المقبل خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده . وكان العام عام جذب ، وكان أبو سفيان يود لو يؤجل اللقاء الى عام آخر ، فبعث رجلا الى المدينة يقول للمسلمين :

(ان قريشا جمعت جيشا لا قبل لجيش فى العرب بمواجهته لتحاربهم به حتى تقضى عليهم) .

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكترث بهذا الوعيد ، وأصر على الخروج . ووصل المسلمون بدرا ، وانتظرا قريشا هناك ، ولكن المشركين الذين خرج بهم أبو سفيان من مكه ترددوا بين الاقدام والاحجام ، فآثروا السلامه وعادوا أدراجهم الى مكه بعد أن قطعوا مسيرة مرحلتين منها . .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب المغازى — باب غزوة ذات الرقاع ٥/١٤٥ .
صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير — باب غزوة ذات الرقاع ٣/١٤٤٩ رقم الحديث ١٨١٦ .

وعاد المسلمون الى المدينة بعد أن طال انتظارهم للمشركين ثمانية أيام ببدر (١) .

جـ ـ وفى شهر ربيع الأول من السنة الخامسة كانت غزوة دومة الجندل ـ أى بعد سنة كاملة من غزوة بنى النضير ـ ودومة الجندل مكان يقع على الحدود بين الحجاز والشام وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة وهى من دمشق خمس ليال ،

وسبب خروجه صلى الله عليه وسلم اليها أنه بلغه أن بها جمعا كثيرا يريدون أن يدنوا من المدينة .

فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم فى الف من المسلمين يكمن بهم نهارا ويسير ليلا .

فلما وصلها فرت القبائل خوفا من لقاء المسلمين كما فر أهل دومة الجندل ولم يلق كيدا فعاد صلى الله عليه وسلم بالجيش الى المدينة .

د ـ ثم فى شهر شعبان من السنة الخامسة كانت هذه الغزوة " غزوة بنى المصطلق " .

وسنتناولها بشئ من التفصيل لأنها موضوع بحثنا فنسأل الله التوفيق والسداد .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٤٧ .

((المبحث الثانـــى))

* من هم بنو المصطلق ؟

ومتى وقعت هذه الغزوة ؟

*

* * *

((المبحث الثانى))

:: من هم بنو المصطلق .. ومتى وقعت هذه الغزوة ::

بنو المصطلق : هم بطن[١] من خزاعة ..

والمصطلق[٢] جدهم وهو جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ماء السماء .

واختلفوا فى خزاعه[٣] فمنهم من قال انها قبيلة عدنانية ومنهم من ذهب الى أنها قبيلة قحطانية يمنية .

والراجح ماذهب اليه اكثر العلماء من أنها قبيلة قحطانية يمنية[٤] .

---

(١) أى فرع .

(٢) المصطلق : بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وكسر اللام .

(٣) خزاعة : من التخزع وهو التأخر والمفارقة ، وذلك ان خزاعة انخرعت من ولد عمرو بن عامر حين اقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلت خزاعه بمر الظهران فأقامت بها .

(٤) انظر القول مفصلا فى مرويات غزوة بنى المصطلق : من ص ٤٥ الى ص ٥١

واختلف فى زمن هذه الغزوة على ثلاثة أقوال :—

القول الأول : يرى أصحابه أنها كانت فى شعبان من السنة الخامسة ، والى هذا الرأى ذهب جمهور المتقدمين من أصحاب السير كموسى بن عقبة (١) والامام الواقدى (٢) وابن سعد (٣) وابن قتيبه (٤) والبلاذرى (٥) والذهبى (٦) وابن القيم (٧) وابن هشام (٨) .

وقد تبعهم فى ذلك جمع من المتأخرين ممن كتب فى السيرة (٩) .

---

(١) انظر رأى موسى بن عقبة فى البداية والنهاية لابن كثير ٣ / ٢٤٢ ، ٤ / ١٥٦ .

(٢) المغازى للواقدى ١ / ٤٠٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ٢ / ٦٣ .

(٤) المعارف لابن قتيبه ص ٧٠ .

(٥) انساب الاشراف للبلاذرى ١ / ٣٤١ .

(٦) العبر فى خبر من غبر ١ / ٧ ، وتاريخ الاسلام له ٢ / ٢٧٥ .

(٧) زاد المعاد ٢ / ٢٧٨ .

(٨) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٣٨ .

(٩) من هؤلاء المتأخرين :

محمد الحصرى فى نور اليقين ص ١٥٢ ، ومحمد الغزالى فى فقه السيرة ص ٣١٦ ، والدكتور محمد سعيد البوطى فى فقه السيرة ص ٢٩٦ وفضيلة الشيخ الدكتور محمد بن محمد ابو شهبه فى السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ص ٢ / ٢٠٨ والشيخ الساعاتى فى الفتح الربانى ترتيب مسند أحمد ١٤ / ١٠٩ والشيخ محمد على الصابونى فى روائع البيان تفسير آيات الاحكام ٢ / ١١٩ ، والشيخ حسن مشاط فى انارة الدجى ٢ / ٥٠ ، والشيخ محمد أبو زهرة فى خاتم النبيين ٢ / ٣٤٨ ، والأستاذ سيد قطب فى الظلال ٤ / ٢٤٩٥ .

قال ابن سعد فى طبقاته : ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المريسيع فى شعبان سنة خمس من مهاجره .(١)

وقال ابن القيم : فصل فى غزوة المريسيع وكانت فى شعبان سنة خمس .(٢)

أما القول الثانى : فيرى أصحابه انها كانت فى السنة السادسة .
والى هذا ذهب ابن اسحاق (٣) وتبعه خليفه بن خياط (٤) والامام ابن جرير الطبرى (٥) وابن حزم (٦) وابن عبد البر (٧) وابن الاثير (٨) وابن خلدون (٩) .

قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا ، ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة فى شعبان سنة ست .(١٠)

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٦٣ .
(٢) زاد المعاد لابن القيم ٢/٢٧٨ .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٩ .
(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص ٨٠ .
(٥) تاريخ الطبرى ٢/٦٠٤ .
(٦) جوامع السيرة لابن حزم ص ٢٠٣ .
(٧) الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر ص ٢٠٠ .
(٨) الكامل لابن الاثير ٢/١٣٠ .
(٩) تاريخ ابن خلدون ٢/٣٣ .
(١٠) سيرة ابن هشام ٣/٣٦٨ .

وأما القول الثالث : فيرى أصحابه انها كانت فى السنة الرابعة من الهجرة وذهب الى ذلك المسعودى [١] وابن العربى المالكى [٢] وغيرهم .

قال المسعودى : وفى سنة اربع كانت غزوته المعروفه بذات الرقاع ، وفيها تزويجه بام سلمة بنت أمية ، وفيها كانت غزوته الى اليهود من بنى النضير ، وفيها كانت غزوته الى بنى المصطلق [٣] .

والذى يبدو لى أن الرأى الأول ــ الذى يقول أصحابه بأنها كانت فى السنة الخامسة ــ أقرب الى الصواب لأسباب من أهمها :ــ

١ ــ أن هذا القول هو قول جمهور أصحاب السير والمغازى كما أنه سار عليه عدد كبير ممن كتب فى السيرة من المعاصرين .

٢ ــ أن فى شعبان سنة أربع من الهجرة كانت غزوة بدر الموعد فيتعين أن غزوة بنى المصطلق كانت فى غيرها .

٣ ــ أن هذا القول يؤيده وجود سعد بن معاذ ــ رضى الله عنه ــ فى هذه الغزوة فقد جاء ذكره فى حديث الافك الذى كان فى أعقاب غزوة بنى المصطلق والذى أخرجه الامام البخارى .

" فقام سعد بن معاذ الانصارى فقال يارسول الله أنا أعذرك منه ان كان من الأوس ضربت عنقه ، وان كان من اخواننا من الخزرج ، أمرتنا ففعلنا أمرك . . . الحديث " [٤] .

---

(١) مروج الذهب ٢ / ١٨٣ .

(٢) عارضة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ٧ / ١٧٣ .

(٣) مروج الذهب ٢ / ١٨٣ .

(٤) صحيح البخارى ــ كتاب التفسير ــ سورة النور ٦ / ١٣٠ .

وقد كانت وفاة سعد بن معاذ فى أعقاب غزوة بنى قريظة ، وغزوة بنى قريظة كانت فى ذى القعدة من السنة الخامسة على القول الراجح ، فيتعين ان تكون غزوة بنى المصطلق قبلها .

فاذا لم تكن غزوة بنى المصطلق فى السنة الرابعة لوجود غزوة بدر الموعد فيها واذا لم تكن فى السنة السادسة لأن غزوة بنى قريظة كانت فى ذى القعدة من السنة الخامسة التى فى أعقابها توفى سعد بن معاذ وهو الذى كان موجودا فى غزوة بنى المصطلق بدليل حديث الافك تعين أن تكون غزوة بنى المصطلق فى شعبان من السنة الخامسة والله أعلم.(١)

---

(١) من أراد مزيدا من التفصيل فليرجع الى كتاب مرويات غزوة بنى المصطلق ص ٩٧ .

((المبحث الثالـث))

:: أسباب هذه الغزوة وأحداثها ::

*

*　　　*　　　*

((المبحث الثالث))

:: أسباب هذه الغزوة وأحداثها ::

من أهم الأسباب لهذه الغزوة مايلى :

١ ـ تأييد هذه القبيلة لقريش واشتراكها معها فى معركة احد ضد المسلمين[(١)] ضمن كتلة الاحابيش[(٢)] التى اشتركت فى المعركة تأييدا لقريش .

٢ ـ أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغه أن بنى المصطلق يجمعون له ، وكان قائدهم الحارث بن ابى ضرار ينظم جموعهم . فلما سمع بهم خرج اليهم صلى الله عليه وسلم حتى لقيهم على ماء من مياهم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فهزمهم شر هزيمة .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ / ٤ .

(٢) الأحابيش : الجماعة أيا كانوا .

واحابيش قريش : بطن اختلف فيه فقال ابن قتيبة : هم بنو المصطلق والحياء بن سعد بن عمرو وبنو الهون بن خزيمة . اجتمعوا بذنب جيش ، وحبش بالضم : جبل باسفل مكه ـ فتحالفوا بالله انا ليد على غيرنا ، ماسجا ليل واوضح نهار .

وقال حماد الراوية :

انما سموا بذلك لاجتماعهم . والتحابش : هو التجمع فى كلام العرب (المعارف ص ٢٦٩) وقال الجوهرى بطن من قريش .

أحداث غزوة بنى المصطلق :

١ ـ كان خروجه صلى الله عليه وسلم لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة فى سبعمائة من أصحابه الى بنى المصطلق .(١)

وقد أغار عليهم صلى الله عليه وسلم وهم غارون كما جاء فى صحيحى البخارى، ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله بن عون قال : كتبت الى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال .

فقال : قد أغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى المصطلق وهم غارون فى انعامهم تسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم وأصاب يومئذ أحسبه قال جويرية ابنة الحارث وحدثنى هذا الحديث عبد الله بن عمر وكان بذلك الجيش .(٢) (هذا لفظ مسلم) .

وقال الواقدى : لما انتهى اليهم صلى الله عليه وسلم رفع راية المهاجرين الى ابى بكر ـ رضى الله عنه ـ ، وراية الانصار الى سعد ابن عبادة ـ رضى الله عنه ـ ويقال كان مع عمار بن ياسر راية المهاجرين

(=) وقال ابو الفداء هم بطون من كنانه من خزيمة ـ ثم قال وليسوا من الحبشة كما يتوهم البعض .

انظر القاموس المحيط ٢٦٧/٢ ، وتاج العروس ـ فصل الحاء من باب الشين مادة (حبش) ٢٩٣/٤ ، ومعجم قبائل العرب ٥/١ .

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢٩٧/٣ .

(٢) صحيح البخارى ـ كتاب فى العتق وفضله ـ باب من ملك من العرب رقيقا ١٩٤/٣ .

صحيح مسلم ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب جواز الاغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الاسلام من غير تقدم الاعلام بالاغارة ١٣٥٦/٣ ، رقم الحديث ١٧٣٠ .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فنادى فى الناس أن قولوا لا اله الا الله تمنعوا بها انفسكم واموالكم . فأبوا فتراموا بالنبل .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فحملوا حملة رجل واحد ، فما أفلت منهم رجل واحد ، وقتل منهم عشرة واسر سائرهم وما قتل الا رجل واحد .(١)

٢ ـ وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وكان من بين الأسرى جويريه بنت الحارث وكانت بركة على قومها ولنسمع قصتها من السيدة الحصان عائشة رضى الله عنها حيث قالت :ـ

(لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن شماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحه لا يراها احد الا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستعينه فى كتابتها .

قالت : فوالله ماهو أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها وعرفت أنه سيرى معها مارأيت .

فدخلت عليه فقالت : يارسول الله انا جويرية بنت الحارث بن ابى ضرار سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن شماس اولابن عم له فكاتبته على نفسى فجئتك استعينك على كتابتى .

---

(١) المغازى للواقدى ١ / ٤٠٧ .

قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟

قالت : وماهو يارسول الله ؟ قال : أقض عنك كتابك وأتزوجـــك .

قالت : نعم يارسول الله قد فعلت .

قالت : وخرج الخبر الى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلـــم قد تزوج جويريه بنت الحارث .

فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلــــــوا مابأيديهم .

قالت : فلقد اعتق بتزويجه اياها مائة اهل بيت من بنى المصطلـــق فما اعلم امرأة اعظم بركة على قومها منها [١] . .

وجاء الحارث بن ابى ضرار ــ بعد الوقعة ــ بفداء ابنته الـــــى المدينة فدعاه النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فأسلم [٢] .

٣ ــ ومن أهم الأحداث التى وقعت فى هذه الغزوة :

وقعت احداث من أهمها :

أ ــ محاولة عبد الله بن أبى بن سلول اثارة الفتنة بين المسلمين .

ب ــ حديث الافك ــ وسنرجى الحديث عن الافك الى الفصل الثانى .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٣٠٢ .

(٢) انظر ص ٢٢٢ .

(١)
محاولة عبد الله بن ابى بن سلول اثارة الفتنة بين المسلمين :

وذلك أنه قد خرج مع المسلمين فى هذه الغزوة عدد كبير من المنافقين ، وكان يغلب عليهم التخلف فى الغزوات السابقة . لكنهم لما رأوا اطرد النصر للمسلمين خرجوا طمعا فى الغنيمة .

قال ابن هشام :

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماءهم الذى يقال له المريسيع وردت واردة الناس (هم القوم الذين يردون الماء) ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار ، يقال له : جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى ، حليف بنى عوف من الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يامعشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يامعشر المهاجرين .

فغضب عبد الله بن أبى بن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم : زيد ابن أرقم ، غلام حدث ، فقال : أو قد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدنا وجلابيب قريش (٢) الا كما قال الأول :

سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .

---

(١) عبد الله بن ابى بن سلول : هو عبد الله بن ابى بن مالك بن الحارث ابن عبيد الخزرجى المشهور بابن سلول . كان رأس المنافقين — توفى سنة تسع من الهجرة .

(٢) هو لقب كان المشركون يلقبون به المهاجرين .

ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم : هذا مافعلتم بأنفسكم : أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتوهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم مابأيديكم لتحولوا الى غير داركم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، وعنده عمر بن الخطاب فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله ، فقال له : رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف ياعمر اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ! لا ولكن أذن بالرحيل وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناس.(1)

وقد مشى عبد الله بن ابى بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ماسمع منه ، فحلف بالله ماقلت ماقال ، ولا تكلمت به — فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يارسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه .

فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقيه أسيد بن خضير ، فحياه بتحية النبوه وسلم عليه ، ثم قال :

يانبى الله لقد رحت فى ساعة منكره ، ماكنت تروح فى مثلها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أو بلغك ماقال صاحبكم ؟

قال : وأى صاحب يارسول الله ؟

قال : عبد الله بن ابى ؟

قال : وما قال ؟

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٧٠ .

قال: زعم ان رجع الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال : فأنت يارسول الله تخرجه منها ان شئت ، هو الذليل وأنت العزيز .

ثم قال : يارسول الله ، أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه يرى أنك قد استلبته ملكا .

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما .

وانما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن ابى .

ونزلت السورة التى ذكر فيها المنافقين فى ابن ابى ومن كان على مثل أمره .

فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذى أوفى الله بأذنه .(١)

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٧٤ .

وحديث نزول سورة المنافقين فى اعقاب غزوة بنى المصطلق جاء فى كل من : المغازى للواقدى ٢ / ٤١٥ — ٤٢١ ، وتاريخ الطبرى ٢ / ٤٠٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ / ١٥٨ ، وغيرها من كتب السيرة .

هذه خلاصة تلك المحاولة ، وقد سجل القرآن ذلك في سورة " المنافقون " التى بدأت بقوله تعالى :

" بسم الله الرحمن الرحيم "

" اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون "(١)

الى آخر السورة الكريمة التى سنقوم ـ باذن الله ـ بتفسيرها فى الفصل الثانى .

---

(١) سورة " المنافقون " آية ١ .

((المبحث الرابــع))

:: نتائج هذه الغــــزوة ::

=====

*

* * *

((المبحث الرابع))

:: نتائج غزوة بنى المصطلق ::

من أهم نتائج هذه الغزوة مايلى :

١ — فرار الجموع التى جمعها الحارث بن ابى ضرار ليغزو بها المدينة خوفا من المسلمين من قبل حدوث المعركة .

٢ — ازدادت قوة المسلمين بعد انتصارهم على بنى المصطلق ، فلم تعد أى قبيلة تفكر فى غزو المدينة لوحدها .

٣ — أصبح الخط الرئيسى المؤدى الى مكه سالكا للمسلمين ، فقد كان بنو المصطلق يكونون حاجزا منيعا من نفوذ المسلمين الى مكة .

٤ — وقعت ثلاثة أحداث فى هذه الغزوة كانت لها آثار عظيمة هى :

أ — وقوع جويرية بنت الحارث بن ابى ضرار فى الأسر ، وتحمل النبى صلى الله عليه وسلم كتابها ، وزواجه منها ، كل ذلك كان بركة على قومها حيث أدى الى فكاكهم من الاسر (١) .

ب — ماحصل من عبد الله بن ابى رأس النفاق من محاولة اثارة الفتنة بين المسلمين ، وتدارك النبى صلى الله عليه وسلم للموقف ، ونزول القرآن الكريم مؤيدا لزيد بن أرقم ، كل ذلك كان تربية عملية للمسلمين فى كيفية مواجهة المصائب والفتن والخروج منها بسلام (٢) .

---

(١) انظر ص ١٢٩ .

(٢) انظر ص ١٣١ .

جـ ـ حادثة الافك ، ونزول القرآن ببراءة السيدة الحصان عائشة رضى الله عنها ، كل ذلك كان درسا قاسيا تلقته الجماعة المسلمة .

وخاصة البيت النبوى الطاهر .

ه ـ اسلام الحارث بن ابى ضرار واسلام بنى المصطلق معه ، وحسن اسلامهم فأصبحت ديار بنى المصطلق داخلة فى نفوذ المسلمين .

الباب الثانى

الفصل الثانى

حديث القرآن عن غزوة بني المصطلق وتفسير الآيات الواردة فى ذلك

((الفصل الثانى))

حديث القرآن الكريم

عن غزوة بنى المصطلق ، وتفسير الآيات التى وردت فى ذلــك

لقد أنزل الله ـ تعالى ـ فى كتابه آيات متعددة فى شأن هذه الغزوة وماحصل فيها من أحداث .

ومن هذه الآيات : معظم سورة " المنافقون " والآيات التى فصلت القول فى حادث الافك وهى بسورة " النور " وها نحن نبدأ بتفسير هذه الآيات فى مبحثين :

المبحث الأول : تفسير سورة " المنافقون " .

المبحث الثانى : تفسير آيات الأفك وآية الحجرات .

∴

∴ ∴ ∴

((المبحث الأول))

:: تفسير سورة " المنافقــون " ::

((المبحث الأول))

:: تفسير سورة " المنافقـــون " ::

وكلامنا فى ذلك يتضمن النقاط التالية :ـــ

١ ـــ عدد آياتها وترتيبها فى المصحف .

٢ ـــ متى نزلت هذه السورة وسبب نزولها .

٣ ـــ عرض عام للسورة .

٤ ـــ تفسير السورة الكريمة .

((عدد آياتها وترتيبها فى المصحف))

سورة المنافقون من السور المدنية وآياتها احدى عشر آية بلا خلاف .[1]

وكان نزولها بعد سورة الحج وشأنها شأن السور المدنية التى تبيـــن الاحكام الشرعية للاحداث المستجدة فى المجتمع الاسلامى .

وهى السورة الثالثة والستون فى ترتيب المصحف .

---

(١) تفسير القرطبى : ١٢٠/١٨ .

((متى نزلت هذه السورة وسبب نزولها))

سورة المنافقون نزلت فى أعقاب غزوة بنى المصطلق حيث كان المسلمون راجعون الى المدينة .

وذلك بدليل رواية الامام الترمذى " فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقون " .(١)

وسبب نزولها :

أخرج الامام البخارى من حديث زيد بن أرقم قال : " كنت فى غزاه فسمعت عبد الله بن ابى يقول :

لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا .

وقال ايضا : لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمى ، فذكر عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابى واصحابه فحلفوا ما قالوا ، فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبنى ، فأصابنى هم لم يصبنى مثله ، فجلست فى بيتى ، فأنزل الله عز وجل : " اذا جاءك المنافقون ــ الى قوله ــ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله ــ الى قوله ــ ليخرجه الأعز منها الأذل " .

فأرسل لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها على ، ثم قال : ان الله قد صدقك .(٢)

---

(١) انظر ص ١٤٤ .

(٢) صحيح البخارى ــ كتاب التفسير ــ سورة المنافقون : ١٨٦/٦ ، وانظر اسباب النزول للسيوطى ص ٢١٤ .

وأخرج الامام الترمذى عن زيد بن أرقم قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء [(١)] ، وكان الاعراب يسبقونا اليه .

فيسبق الاعرابى اصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ، ويجعل النطع [(٢)] عليه حتى تجئ أصحابه .

قال : فأتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه ، فانتزع حجرا ففاض الماء ، فرفع الاعرابى خشبة فضرب بها الأنصارى فشجه .

فأتى عبد الله بن ابى فاخبره — وكان من اصحابه فغضب عبد الله بن ابى ثم قال :

لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله — يعنى الأعراب — وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام .

فقال عبد الله : اذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمدا بالطعام ، فليأكل هو ومن عنده .

ثم قال لاصحابه : لئن رجعتم الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل

---

(١) نبتدر الماء : يعنى نتسابق ونسرع اليه ، والغزوة هى غزوة بنى المصطلق
(٢) النطع : بساط من الجلد .

قال زيد : وأنا ردف عمي فسمعت عبد الله بن ابي فأخبرت عمي ، فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل اليه (١) صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد .

قال : فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني .

فجاء عمي الي فقال : ما أردت الي أن مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك ، والمنافقون .

قال : فوقع علي من جرأتهم ما لم يقع على أحد . قال : فبينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرك أذني وضحك في وجهي ، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا .

ثم ان ابا بكر لحقني فقال : ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قلت ما قال شيئا الا أنه عرك اذني وضحك في وجهي ، فقال أبشر!

ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر .

فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة " المنافقون " .

قال ابو عيسى : هذا حديث حسن صحيح (٢) .

---

(١) فأرسل اليه : أي الى عبد الله بن أبي بن سلول .

(٢) سنن الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب : ومن سورة المنافقين ٥ / ٤١٥

:: عرض عام للسورة ::

تكلمت السورة باسهاب عن المنافقين واشارت الى بعض الحوادث والاقوال التى وقعت منهم ورويت عنهم . وفضحت اكاذيبهم .

وقد استوعبت كل السورة الا أنها فى الختام حذرت المؤمنين من الانشغال بزينة الدنيا ومتاعها وحثت على الانفاق .

وبمزيد من التأمل فى آيات السورة بشكل عام نرى أنها :ـ

١ ـ تحدث السورة الكريمة فى البدء عن أخلاق المنافقين ، وفضحت كذبهم فى أقوالهم ووصفت حالهم قال تعالى :

" اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون (١) اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ماكانوا يعملون (٢) ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (٣) واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون (٤)

(٢) ثم بينت عنادهم وتصميمهم على الباطل ، وعصيانهم لمن يدعوهم الى الحق وبينت مقالاتهم الشنيعة بالتفصيل خاصة ماقالوه فى غزوة بنى المصطلق من أنهم سيطردون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من المدينة وأن العزة لهم الى غير ذلك من الأقوال الفظيعة قال تعالى :ـ

" واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون (٥) سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم

لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين (٦) هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون (٧) يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون (٨) .

٣ — ثم ختمت السورة بتحذير الذين آمنوا من الانشغال بزينة الدنيا وعدم التشبه بالمنافقين ، وحثتهم على الصدقة — التى هى برهان على الايمان باليوم الآخر — قبل فوات الاوان . قال تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولدكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاؤلئك هم الخاسرون (٩) وأنفقوا من ما رزقنكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين (١٠) ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون (١١) .

((تفسير السورة الكريمة))

لقد افتتح الله ــ تعالى ــ هذه السورة الكريمة بتكذيب المنافقين ، وبالشهادة لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه صادق فيما يبلغه عن ربه فقال تعالى

" اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون " .

والمنافقون : جمع منافق ، من النفاق[1] ، وهو اسم اسلامى لم تعرفه العرب بهذا المعنى المخصوص به ، وهو الذى يستر كفره ويظهر ايمانه وان كان أصله فى اللغة معروفا " .[2]

والمراد بالمنافقين هنا عبد الله بن ابى ومن نهج نهجه من المنافقين .

وقوله " نشهد ": من الشهادة " وهى الخبر القاطع .

تقول شهد على كذا من باب سلم ، وقولهم : أشهد بكذا أى احلف " .[3]

قال القرطبى : عند تفسير قوله تعالى " قالوا نشهد انك لرسول الله " ــ قيل معنى " نشهد " نحلف . فعبر عن الحلف بالشهادة ، لان كل واحد من الحلف والشهادة اثبات لامر مغيب .

---

(١) انظر ص ٩٤ .

(٢) لسان العرب ١٠/٣٥٩ .

(٣) مختار الصحاح ص ٣٤٩ .

(٤) مستنير .

ويحتمل أن يكون محمولا على ظاهره أنهم يشهدون أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم اعترافا بالايمان ونفيا للنفاق عن أنفسهم ، وهو الاشبه[(١)].

والمعنى :

اذا اتاك يا محمد المنافقون وحضروا مجلسك " قالوا نشهد انك لرسول الله " أى بالسنتهم مع أن قلوبهم تكذب ذلك .

وقوله سبحانه " والله يعلم انك لرسوله " شهادة من الله ـ تعالى ـ بصدقه صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عنه .

قال فى التسهيل :

وقوله تعالى " والله يعلم انك لرسوله " ليس من كلام المنافقين ، وانما هو من كلام الله تعالى ، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله " والله يشهد ان المنافقين لكاذبون " ابطال للرسالة ، فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم وليحقق الرسالة[(٢)].

وقوله سبحانه " والله يشهد ان المنافقين لكاذبون " تأكيد لتكذيبهم فيما زعموه من اتباعهم للرسول صلى الله عليه وسلم وما اظهروه من شهاداتهم وحلفهم بالسنتهم .

ثم بين سبحانه مظهرا آخر من مظاهر نفاقهم وخبث طويتهم فقال تعالى :

" اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ماكانوا يعملون "

---

(١) تفسير القرطبى : ١٨/ ١١٢ .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٤/ ١٢١ .

وقوله " ايمانهم " : الايمان : جمع يمين وهي الحلف ، والجنة الترس وهو المجن الذى تتقى به السيوف والنبال والسهام فى الحرب .[1]

وقوله " جنه " : أى وقاية من القتل ونحوهما يستترون بها كما يستتر المستجن بجنته — أى بترسه — فى الحرب .[2]

والمراد بهذا اللفظ هنا شهادتهم بألسنتهم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم مع أن قلوبهم تخالف ذلك وأنما قالوا ماقالوا وقاية لهم من القتل .

وقوله " فصدوا " : من الصد : وهو الصرف عن الشئ والمنع منه .[3]

والمعنى :

اتخذ هؤلاء المنافقون حلفهم الباطل بأن الرسول صادق فى دعوته وقاية لهم حتى لا يفتضح أمرهم ويكشف سرهم .

وقوله " فصدوا عن سبيل الله " أى : منعوا الناس عن الجهاد ، وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم .

قال قتادة :

كلما ظهر على شئ منهم مايوجب مؤاخذتهم حلفوا كاذبين عصمة لأموالهم ودمائهم .[4]

---

(١) أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن للشنقيطى ٨/ ٣٢٢ .
(٢) صفوة البيان لمعانى القرآن ٢/ ٤٣٣ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) تفسير الألوسى ٢٨/ ١٠٩ .

وقال ابن كثير :

ان المنافقين اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة ، فأغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم ، فاعتقدوا أنهم مسلمون ، وهم فى الباطن لا يألون الاسلام وأهله خبالا فحصل بذلك ضرر كبير على كثير من الناس ..[١]

ثم ختم سبحانه الآية الكريمة بذم صنيعهم هذا فقال تعالى " انهم ساء ماكانوا يعملون " أى قبح عملهم وصنيعهم هذا . لأنهم يظهرون بمظهر الايمان وهم من أهل النفاق والعصيان .

هذا ويرى الامام ابن العربى أن هذه الآية ليس ترجع الى الآية الأولى " نشهد انك لرسول الله " وانما ترجع الى سبب النزول ــ الذى سبق ذكره ــ فهى اشارة الى أن ابن ابى حلف ماقال . وقد قال.[٢]

ثم بين ــ سبحانه ــ الأسباب التى أدت الى نفاقهم وخداعهم فقال تعالى " ذلك بأنهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون " .

" ذلك " : اشارة الى ماتقدم من القول الناعى عليهم أنهم أسوأ الناس أعمالا .

أو الى ماذكر من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالايمان الفاجره .[٣]

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٦٨ .

(٢) احكام القرآن لابن العربى ٤ / ١٨١٢ .

(٣) تفسير الالوسى ٢٨ / ١١٠ .

وقوله " فطبع " : الطبع : الختم أى ختم عليها بالكفر .

والمعـــنى :

ذلك الذى فعلوه من الشهادة الكاذبة ، والاستتار بالحلف الباطـــــل بسبب أنهم أمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم فعاقبهم الله بأن ختم على قلوبهـــــم فلا يصل اليها هدي ولا نور فأصبحوا لا يعرفون الخير ولا الايمان ولا يفرقون بيـــن الحسن والقبيح فهم لا يفقهون .

ثم بين ـ سبحانه ـ بعض صفاتهم الذميمة وكشف عن طبائعهم السيئة فقال تعالى " واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون " .

قوله : " خشب " : جمع خشبه والمراد ماهو معروف .

قوله : " مسنده " : يقال مسند الى شئ ، أى : مال اليه ، وأسنده الى الشئ ، أى أماله فهو مسند . والتشديد للمبالغة .(١)

والخطاب فى هذه الآية لكل من يصلح للخطاب أو هو لسيد المخاطبين صلى الله عليه وسلم .(٢)

والمعنى :

واذا رأيت ـ ايها الرسول الكريم ـ هؤلاء المنافقين " تعجبك اجسامهم" بجمال منظرها ، قال ابن عباس :

كان عبد الله بن ابى وسيما جسيما صحيحا صبيحا ذلق اللسان ، فاذا قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم مقالته . وصفه الله بتمام الصورة وحسن الابانه ..(٣)

وقال الكلبى :

المراد ابن ابى وجد بن قيس ومعتب بن قشير ، كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة ..(٤)

---

(١) تفسير الرازى : ١٥/٣٠ .

(٢) التفسير الواضح ٤٤/٢٨ .

(٣) تفسير القرطبى ١٢٥/١٨ .

(٤) المصدر نفسه .

ثم شبههم ــ سبحانه ــ بالخشب المسنده التى لا فائدة فيها فقال تعالى " كأنهم خشب مسنده " .

قال الطبرى : كأن هؤلاء المنافقين خشب مسندة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم ، وانما هم صور بلا أحلام ، وأشباح بلا عقول ..(١)

وقال الألوسى : شبهوا فى جلوسهم مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها وما هم الا أجرام خالية من الايمان والخير بخشب مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية من الفائدة لأن الخشب تكون مسنده اذا لم تكن بناء أو دعامة شئ آخر ..(٢)

ثم صور ــ سبحانه ــ ماهم عليه من جبن وخور فقال تعالى " يحسبون كل صيحة عليهم " وهذا لشدة فزعهم من كل صيحة يحسبون أنهم هم المقصودون بها

قال مقاتل والسدى : أى : اذا نادى مناد فى المسكر أن انفلتت دابه أو انشدت ضاله ظنوا أنهم المرادون ، لما فى قلوبهم من الرعب ..(٣)

وقال الطبرى : يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم وسوء ظنهم ، وقلة يقينهم كل صيحة عليهم ، لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمرا يهتك به استارهم ويفضحهم ، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسلب ذراريهم ، وأخذ أموالهم ، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحى على رسوله ، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم ..(٤)

---

(١) تفسير الطبرى ٢٨/١٠٧ .

(٢) تفسير الألوسى ٢٨/١١١ .

(٣) تفسير القرطبى ١٨/١٢٥ .

(٤) تفسير الطبرى ٢٨/١٠٧ .

ثم حذر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من شرور هـــؤلاء المنافقين فقال تعالى : " هم العدو فاحذرهم " أى هم الكاملون فى العــداوة

قال صاحب أضواء البيان :

فيه مايشعر بحصر العداوة فى المنافقين مع وجودها فى المشركين واليهود ولكن اظهار المشركين شركهم ، واعلان اليهود كفرهم مدعاة للحذر منهما . أمــا هؤلاء فادعاؤهم الايمان وحلفهم عليه ، قد يوحى بالركون اليهم ولو رغبة فـــى تأليفهم . فكانوا أولى بالتحذير منهم لشدة عداوتهم ولقوة مداخلهم مـــــع المسلمين ، مما يمكنهم من الاطلاع على جميع شئونهم (١) . .

ثم ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى " قاتلهم الله أنى يؤفكون " أى أخزاهم الله ، وأبعدهم عن رحمته .

قال ابن عباس : قوله " قاتلهم الله " كلمة ذم وتوبيخ (٢) . .

أنى يؤفكون : أى كيف يصرفون عن الحق الى الباطل والكفر الذى هم فيه .

وهو تعجب من حالهم .

---

(١) اضواء البيان ــ تكملة الشيخ عطية سالم ٨ / ٣٢٥ .

(٢) تفسير القرطبى ١٨ / ١٢٦ .

ثم بين ـ سبحانه ـ اصرارهم على كفرهم ، واعراضهم عن نصيحة الناصحين فقال تعالى :

" واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون (٥) سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين (٦) .

سبب النزول :

١ ـ قال المفسرون : لما نزلت الآيات تفضح المنافقين وتكشف الأستار عنهم، مشى اليهم أقرباؤهم من المؤمنين ، وقالوا لهم : ويلكم لقد افتضحتم بالنفاق وأهلكتم أنفسكم ، فاتوا رسول الله وتوبوا اليه من النفاق وأسألوه أن يستغفر لكم ، فابوا وحركوا رءوسهم سخرية واستهزاء فنزلت الآية .

ثم جاءوا الى عبد الله بن ابى بن سلول وقالوا له :

امضى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترف بذنبك يستغفر لك ، فلوى رأسه انكارا لهذا الرأى ثم قال لهم : لقد اشرتم على بالايمان فآمنت ، واشرتم على بأن اعطى من زكاة مالى ففعلت ، ولم يبق لكم الا أن تأمرونى بالسجود لمحمد (١) .

٢ ـ قال ابن كثير :

وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل فى عبد الله ابن ابى سلول .. (٢)

---

(١) انظر الفخر الرازى ١٥/٣٠ ، وتفسير القرطبى ١٢٦/١٨، وصفوة التفاسير ٣٨٦/٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٦٩/٤ .

وقوله " لووا رؤسهم " : اللى فتل الحبل ، يقال لويته ألويه ليا ، ولوى يده ولوى رأسه وبرأسه أماله ،" لووا رءوسهم" أمالوها [1].

وقوله " يصــــدون " : من الصدود والصد قد يكون انصرافا عن الشئ وامتناعــا نحو " يصدون عنك صدودا " [2].

والمعـــنى :

اذا قيل لهؤلاء المنافقين : هلموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حـــتى يطلب لكم المغفرة من الله " لووا رءوسهم " أى حركوها وأمالوها استهزاءا واستكبارا " ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون " أى وتراهم يعرضون عما دعوا اليه ، وهـــــم متكبرون عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم زاهدون فيه .

فالآية الكريمة بينت للناس بأبلغ بيان أن هؤلاء المنافقين ليس فى قلوبهــــم حبة خردل من ايمان فهم لا يكتفون بالاعراض عمن دعاهم الى الذهاب الى الرسـول صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم بل أضافوا الى ذلك استهزاء واضحا ، وصــــدا للناس عن دعوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغرورا وتطاولا وبطرا للحق .

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٤٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٥ .

ثم بين — سبحانه — عدم فائدة طلب الاستغفار لهم بسبب فسوقهم عن أمر ربهم فقال تعالى :-

" سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين " .

وقوله " سواء عليهم " : يقال سواء وسوى وسوى أى يستوى طرفاه ويستعمل ذلك وصفا وظرفا .

وأصل ذلك مصدر . وقوله " سواء عليهم استغفرت لهم . . " أى يستوى الامران فى انهما لايغنيان ،(١)

والمعنى :

انك أيها الرسول الكريم سواء أستغفرت لهم بمقتضى رحمتك بأمتك ورأفتك بها أم لم تستغفر لهم بسبب صدهم عن ذلك الحق فان الله يتساوى الامر عنده بالنسبه لهم ، فانه لا ينفع استغفارك لهم شيئا لفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله .

وفى الآية الكريمة دليل على عدم مغفرته سبحانه للمنافقين حتى ولو كان المستغفر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الألوسى : والمراد الاخبار بعدم الفائدة كما يفصح عنه قوله سبحانه " لن يغفر الله لهم " .(٢)

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٢٥٢ .

(٢) تفسير الالوسى ٢٨/ ١٣/ ١١ .

وقال الصاوى : هذا تيئس من ايمانهم أى ان استغفارك يامحمد وعدمـــه سواء ، فهم لا يؤمنون لسبق الشقاوة لهم[١] .

وعلل ـ سبحانه ـ عدم المغفرة لهم بقوله " والله لا يهدى القوم الفاسقين " أى والله ـ تعالى ـ لا يهدى الى طريق الخير أولئك الذين فسقوا عن أمــــره ، وخرجوا عن طاعته ، ولم يستمعوا الى نصح الناصحين ، وارشاد المرشديـــن ، وانما آثروا الغوايه على الهداية .

هذا ويؤخذ من الآية الكريمة شدة شفقته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأمته ، وحرصه على هدايتها ، وكثرة دعائه لها بالرحمة والمغفرة ، وأنه مع ايـــــذاء المنافقين له كان يستغفر لهم ـ املا فى توبتهم ـ الى أن نهاه الله عن ذلك[٢] .

روى ابن جرير عن ابن عباس :

قوله " سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهـــــم " قال نزلت هذه الآية بعد الآية التى فى سورة التوبة " ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم " .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة على سبعين مره ، فأنزل اللــــه " سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم "[٣] .

---

(١) حاشية الصاوى على الجلالين ٤ / ١٩٨ .

(٢) التفسير الوسيط ـ سورة التوبة ـ ص ٢٤٧ .

(٣) تفسير الطبرى ٢٨ / ١١١ .

ثم أخبر ــ سبحانه ــ عما تفوهوا به من قول خبيث يدل على كفرهم ، فقال تعالى :

" هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون (*) يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون " .

سبب النزول :

١ ــ أخرج الامام البخارى من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كنا فى غزاة ــ قال سفيان مرة فى جيش ــ فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار[1] ، فقال الانصارى : يا للانصار ، وقال المهاجرى : ياللمهاجرين . فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما بال دعوى جاهلية ؟ قالوا : يارسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار ، فقال : دعوها فانها منتنه . فسمع بذلك عبد الله بن ابى فقال : فعلوها ؟ أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل . فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال : يارسول الله دعنى اضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : دعه ، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ، ثم أن المهاجرين كثروا بعد[2] .

---

(١) كسع : أى ضربه ، وهو ضرب الدبر باليد أو الرجل وذلك عند أهل اليمن شديد . والغزوة : هى غزوة بنى المصطلق .

(٢) صحيح البخارى ــ كتاب التفسير ــ سورة المنافقون ٦ / ١٩٢ .

٢ ــ وأخرج الامام البخارى أيضا من حديث زيد بن أرقم قال : كنت فى غزاة (١) فسمعت عبد الله بن ابى يقول :

لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا . وقال أيضا : لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ،فذكرت ذلك لعمى ، فذكر عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن أبى وأصحابه فحلفوا ما قالوا ، فصدقهم رسول الله وكذبنى ، فأصابنى هم لم يصبنى مثله ، فجلست فى بيتى ، فأنزل الله عز وجل :

" اذا جاءك المنافقون ــ الى قوله ــ ليخرجن الاعز منها الأذل " (٢)

هذه بعض الروايات التى وردت فى سبب النزول .

وقوله تعالى " حتى ينفضوا " : من فض والفض كسر الشئ والتفريق بين بعضه كفض ختم الكتاب ومنه استعير انفض القوم ، قال تعالى " واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها " ، " لانفضوا من حولك " . (٣)

وقوله تعالى " ولله خزائن السموات والأرض " :

من خزن : الخزن حفظ الشئ فى الخزانة ثم يعبر به عن كل حفظ كحفظ السر ونحوه . وقوله تعالى " وان من شئ الا عندنا خزائنه "، " ولله

---

(١) هى غزوة بنى المصطلق .

(٢) صحيح البخارى ــ كتاب التفسير ــ سورة المنافقون ٦/١٨٩ .

(٣) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٨١ .

خزائن السموات والأرض " فاشارة منه على قدرته تعالى على مايريد ايجاده أو الى الحالة التى اشار اليها بقوله عليه السلام " فرغ ربكم من خلق الخلق والرزق والاجل "(١) .

وقوله تعالى " لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل "

القائل هو عبد الله بن ابى بن سلول رأس المنافقين واسناد القول الى جميع المنافقين لرضائهم به وعنى بالاعزنفسه ومن يلوذ به ، والاذل من أعزه الله عز وجل وهو الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقوله تعالى " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون " :

العزة : حالة مانعة للانسان من ان يغلب. من قولهم : أرض عزاز ، أى صلبة (٢).

فالعزة الغلبة والقوة .

والمعنى :

أى هؤلاء المنافقين " هم الذين يقولون " لأصحابهم " لا تنفقوا على من عند رسول الله " من الفقراء المهاجرين . وقوله " حتى ينفضوا " الانفضاض : التفرق و " حتى " للتعليل ، أى : لا تنفقوا عليهم كى يتفرقوا عنه عليه الصلاة والسلام ولا يصحبوه .

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٣٣٢ .

قال الألوسي :

والظاهر أن التعبير ــ برسول الله صلى الله عليه وسلم ــ أي بهذا اللفظ وقع منهم ولا يأباه كفرهم لانهم منافقون مقرون برسالته عليه الصلاة والسلام ظاهرا .

وجوز أن يكونوا قالوا تهكما أو لغلبته عليه صلى الله عليه وسلم حتى صار كالعلم لم يقصد منه الا الذات .

ويحتمل أنهم عبروا بغير هذه العبارة فغيرها الله عز وجل اجلالا لنبيه عليه الصلاة والسلام واكراما (١) . .

وقوله تعالى " ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون " رد وابطال لما زعموا من عدم انفاقهم على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدي الى انفضاضهم وانصرافهم عنه صلى الله عليه وسلم . فقد بين ــ سبحانه ــ أن له خزائن الأرزاق ومفاتيحها يعطي من يشاء ويمنع من يشاء " ولكن المنافقين لا يفقهون " .

أي ولو كان عندهم شئ من الفقه لما قالوا ماقالوا وانما ذلك يدل على جهلهم بالله تعالى وبشئونه عز وجل .

وقوله سبحانه " يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ... الآية " . حكاية لبعض قبائح هؤلاء المنافقين ، ولبعض اقوالهم الشنيعة.

أي يقول هؤلاء المنافقون لمن على شاكلتهم : لئن رجعنا الى المدينة من سفرنا ، ليخرجن الأعزل الأذل .

---

(١) تفسير الألوسي : ٢٨/١١٥ .

وهذا شأن المنافقين فى كل زمان يدعون بأن لهم السيادة والقيادة فى المجتمعات الاسلامية . لكن الواجب على المؤمنين أن يقفوا لهم بالمرصاد . وأن يوقفوهم على حقيقة امرهم ، وقد حث عمر — رضى الله عنه — النبى صلى الله عليه وسلم بقتل عبد الله بن ابى بن سلول لكن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم — لم يأخذ برأى عمر بقتل هذا المنافق وسار بالجيش على غير عادته (١) وترك حتى العتاب واكتفى من عبد الله بن أبى بتكذيبه لما قالوا فيه .

وهذه حكمة عظيمة من أعظم القادة لمعالجة النفوس حيث ترك كل فرد فى الجيش يعلم الحقيقة ولكن بهدوء بدون ضوضاء وهذا ماحصل .

فقد قام بالواجب الاسلامى أقرب الناس الى هذا المنافق . ذلك هو عبد الله بن عبد الله بن ابى — رضى الله عنه — وهو المعروف بصدق ايمانه .

فهيا هو لم يطق كلام ابيه . فاذا بايمانه يتحرك ويقف على باب المدينة وسيفه مشرع !

ولكن مشرع فى وجه من ؟ انه فى وجه ابيه . فلم يتركه حتى أقر صراحة بأنه هو الذليل وان العزيز الاعز هو الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولم يكتف بهذا . . بل لم يتركه يدخل المدينة الا بعد أن سمح له الرسول صلى الله عليه وسلم بدخولها .

قال ابن كثير : ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين الى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه

---

(١) راجع أحداث الغزوة ص ١٣١ —

فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء ابو عبد الله بن ابى قال له ابنه وراءك فقال مالك ويلك ؟ فقال : والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه العزيز وانت الذليل .

فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان انما يسير ساقه ـ أى مؤخرة الجيش يسوقه ـ فشكا اليه عبد الله بن ابى ابنه فقال ابنه عبد الله والله يارسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أما اذا أذن لك رسول الله فجز الآن (١).

ثم لم يكتف بهذا كذلك ـ وهو بلا شك قد سمع رأى عمر بطلب انزال عقوبة القتل بوالده ـ فنراه يذهب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ويطلب ان يكون هو من ينفذ ذلك فعن قتادة : أن عبد الله بن عبد الله بن أبى لما بلغه ما كان من أمر ابيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله انه بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن ابى فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى به فأنا احمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ماكان لها من رجل أبر بوالده منى ، انى اخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر الى قاتل ابى يمشى بين الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا " (٢).

ثم بين ـ سبحانه ـ أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال تعالى :

" ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين " .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٧٢ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٤ / ٣٧٢ . هذا والروايات فى هذا الموضوع كثيرة جدا فقد ذكر الامام الطبرى والحافظ ابن كثير فى تفسيرهما مايزيد عن عشرة =

فهى رد على قول عبد الله بن ابى واثبات ان لله جل وعلا القوة والغلبة وكذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لا لغيرهم .

والصيغة تفيد الحصر أى حصر العزة فى الله ورسوله والمؤمنين وغيرهم لا عزة له .

قال القرطبى :

توهموا أن العزة بكثرة الأموال والاتباع ، فبين الله أن العزة والمنعة لله ولرسوله وللمؤمنين .(١)

وهناك فرق بين الكبر والعزة :

فعن الحسن بن على : ان رجلا قال له : ان الناس يزعمون أن فيك تيها قال : ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية ، وأريد بالتيه الكبر وقد نص على ذلك ابو حفص السهروردى فقال : العزة غير الكبر لأن العزة معرفة الانسان بنفسه واكرامها أن لا يضعها لأقسام عاجلة . كما أن الكبر ضد التواضع.(٢)

ثم ختم سبحانه الآية بقوله " ولكن المنافقين لا يعلمون " أى لا يعلمون هذه الحقائق لفرط جهلهم وعدم معرفتهم بالله .

قال الألوسى :

والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة الذم مع الاشارة الى علة الحكم فى الموضعين . ويقصد بالموضعين قوله " ولكن المنافقين لا يفقهون "(٣) " ولكن

(=) روايات متعددة هذا عدا ما ذكره أصحاب السير والمغازى ، انظر أحداث الغزوة ص (١٣١) ، وأسباب النزول ص (١٤٢) .

(١) تفسير القرطبى ١٨/١٢٩ .

(٢) تفسير الألوسى ٢٨/١١٦ .

(٣) تفسير الألوسى ٢٨/١١٧ .

المنافقين لا يعلمون " .

وأما الحكمه من قوله " لا يفقهون " . " لا يعلمون " . فقد بين ذلك الامام الرازى بقوله : فان قيل : قال فى الآية الاولى " لا يفقهون " وفى الاخرى " لا يعلمون " فما الحكمة فيه ؟

فنقول : ليعلم بالأول قلة كياستهم وفهمهم ، وبالثانى كثرة حماقاتهم وجهلهم ..(١)

والى هنا تكون السورة الكريمة قد فضحت المنافقين وبينت حقيقتهم وهذه السورة كما سبق وأن علمنا أنها نزلت فى أحداث غزوة بنى المصطلق لتكشف الحقائق للمجتمع المسلم وليكون المجتمع الاسلامى على بصيرة من أمره .

---

(١) تفسير الامام الرازى ٣٠/١٨ .

ثم ختمت السورة الكريمة بتحذير المؤمنين من الانشغال بزينة الدنيا التى هى من أخلاق المنافقين فقال تعالى :

" يا أيها الذين أمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون (٩) وأنفقوا من مارزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكون من الصالحين (١٠) ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون (١١)"

أى : يا من آمنتم بالله ورسوله لا تشغلكم أموالكم مهما كثرت ، ولا أولادكم عن المداومة على ذكر الله وطاعته .

وقوله " ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون "

بيان لسوء عاقبة من يخالف أوامر الله ونواهيه ، أى : ومن التهى بتدبر اموره الدنيوية والتمتع بها عن طاعة الله وذكره فانه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم واهليهم يوم القيامة .

ثم حثهم — سبحانه — على الانفاق فى طاعته فقال تعالى :

" وأنفقوا من مارزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فاصدق وأكن من الصالحين " .

فى هذه الآية الكريمة حث — سبحانه — المؤمنين على الانفاق بما تفضل به عليهم من الأموال ليكون ذلك ذخرالهم فى الاخرة وأن يغتنموا الفرصة قبل أن يحين الأجل وحينئذ يندموا ولا ينفعهم الندم .

وقوله " من قبل أن يأتى أحدكم الموت "

المراد دلائله وعلاماته واماراته .

وقوله تعالى : " فيقول رب لولا اخرتنى الى أجل قريب "

أى هلا أمهلتنى وأخرتنى الى زمان قليل ، فان كل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئا يسيرا ليستعتب ويستدرك مافاته ولكن هيهات له ذلك .

أخرج عبد حميد والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم والطبرانى وابن مردويه : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت) .

فقال رجل : ياابن عباس اتق الله تعالى فانما يسأل الرجعة الكفار فقال : سأتلو عليكم بذلك قرآنا " ياأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله . . . " الى آخر السورة (١) ويتضح من هذه الرواية أن ابن عباس رضى الله عنهما ذهب الى أن الآية فى الانفاق الواجب خاصة دون النفل ، وسيأتى تفصيل ذلك .

وقوله " فاصدق واكن من الصالحين " أى فاتصدق ، وبذلك اكن من الصالحين .

ثم أكد ـ سبحانه ـ سنته فى هذا الكون بعدم تأخير الأجل اذا حل فقال تعالى :

" ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون " .

أى : ولن يمهل الله احدا أيا كان اذا انتهى أجله ، ولن يزيد فى عمره ، وفيه تحريض على المبادرة بأعمال الطاعات ، حذرا أن يجئ الأجل وقد

---

(١) الدرر المنثور للامام السيوطى ٦/ ٢٢٦ .

فرط الانسان ولم يستعد للقاء ربه .

" والله خبير بما تعملون " :

أى مطلع وعالم بأعمالكم من خيرأوشر ويجازيكم عليها .

* ويؤخذ من قوله تعالى " وانفقوا مما رزقناكم . . . الآية "

أى المراد بالانفاق هنا الانفاق الواجب .

قال ابن العربى : أخذ ابن عباس — رضى الله عنهما — بعموم الآية في الانفاق الواجب خاصة دون النفل . وهو الصحيح ، لأن الوعيد انما يتعلق بالواجب دون النفل (١) .

وبهذا ختم تفسير سورة " المنافقون " .

---

(١) احكام القرآن لابن العربى ٤/١٨١٣ .

((المبحث الثانـى))

:: تفسير آيات الافك وآية الحجـرات ::

======

*

*   *   *

((المبحث الثانى))

:: تفسير آيات الافك وآية الحجـــرات ::

ويشتمل على مايلى :—

١ — حادثة الافك .[(١)]

٢ — تفسير الآيات النازلة فيها .

٣ — تفسير آية الحجرات .

١ — حادثة الافك :

وذلك أنه فى أعقاب غزوة بنى المصطلق ألمت بالبيت النبوى نازلة شديدة ومحنة عظيمة . كان القصد منها النيل من النبى صلى الله عليه وسلم ومن أهل بيته تلك هى حادثة الافك التى حاكها المنافقون بعد أن فشل كيدهم فى المحاولة الأولى فى اثارة النعرة الجاهلية .

هذا وقد أجمع أهل المغازى والسير[(٢)] على أن حادثة الافك كانت فى

---

(١) الافك : أبلغ مايكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان وهو الأمر الذى لا تشعر به حتى يفجأك . وأصل الافك : القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه .

(٢) انظر المغازى للواقدى ٢/٤٢٧ ، والتاريخ الكبير للذهبى ١/٢٣٧ ، وتاريخ الطبرى ٢/٦١٠ ، وطبقات ابن سعد ٢/٦٥ ، وجوامع السيرة النبوية لابن حزم ص ٢٠٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣/٣٠٤ ، وسيرة ابن هشام ٣/٣٨١ ، وغيرها من كتب السيرة .

أعقاب غزوة بنى المصطلق . وتابعهم فى ذلك المفسرين (١) والمحدثين (٢) .

وقد أخرج البخارى ومسلم حديث الافك فى صحيحهما . واليك سياق القصة من صحيح البخارى .

أخرج البخارى من حديث يحى بن بكير عن الليث عن يونس عن ابن شهاب : قال أخبرنى عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ماقالوا ، فبرأها الله مما قالوا ، وكل حدثنى طائفة من الحديث وبعض حديثهم أوعى له من بعض .

الذى حدثنى عروة عن عائشة رضى الله عنها أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، قالت عائشة : فأقرع بيننا فى غزوة غزاها (٣) فخرج سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما نزل الحجاب فانا احمل فى هودجى (٤) وأنزل فيه .

---

(١) انظر تفسير الطبرى ١٨ / ٩٣ ، وتفسير الامام ابن كثير ٣ / ٢٧٠ ، وتفسير الامام الرازى ٢٣ / ١٧٥ ، وغيرها من كتب التفسير .

(٢) انظر قول ابن حجر فى فتح البارى ٨ / ٤٥٨ ، وصحيح مسلم بشرح الامام النووى ١٧ / ١٠٩ ، وغيرها من كتب الحديث .

(٣) هى غزوة بنى المصطلق .

(٤) الهودج : بفتح الهاء والدال بينهما واو ساكنه وآخره جيم : محمل له قبة تستر الثياب ونحوه ، يوضع على ظهر البعير يركب فيه النساء ليكون أستر لهن . فتح البارى ٨ / ٤٥٨ ، وفى القاموس المحيط الهودج : مركب النساء ١ / ٢١٢ .

فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين ، آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فاذا عقد لى من جزع ظفار[١] قد انقطع ، فالتمست عقدى وحبسنى ابتغاؤه ، وأقبل الرهط[٢] الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت ركبت وهم يحسبون أنى فيه ، وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم انما تأكل العلقة[٣] من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فأقمت منزلى الذى كنت فيه وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون الى فبينما أنا جالسه فى منزلى غلبتنى عينى فنمت ، وكان صفوان بن

---

(١) جزع ظفار : الجزع : هو خرز معروف فى سواده بياض كالعروق وظفار بوزن فطام وهى مبنيه على الكسر اسم مدينة لحمير باليمن ، انظر فتح البارى ٨/٤٥٨ ، والقاموس المحيط ٣/١٢ .

(٢) الرهط : هو عدد من ثلاثة الى عشرة وقيل الى الاربعين ولا تكون فيهم امراة ، انظر فتح البارى ٨/٤٥٨ .

(٣) العلقة : بضم المهملة وسكون اللام من الطعام : أى البلغه منه انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير : ٣/٢٨٩ .

المعطل السلمي[١] ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج[٢] فأصبح عند منزلي فـــرأى سواد انسان نائم ، فأتاني فعرفني حين رآني ، وكان يراني قبل الحجـــاب ، فاستيقظت باسترجاعه[٣] حين عرفني فخمرت وجهي[٤] بجلبابي والله ما كلمني كلمـــة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها .

فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين[٥] فـــي نحر الظهيرة[٦] فهلك من هلك ، وكان الذى تولى الافك عبد الله بن ابى سلول .

انتشار الدعاية في المدينـــــة :

قود منا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قـــــول أصحاب الافك لا أشعر بشئ من ذلك وهو يريبني[٧] أني لا أعرف من رسول اللـــه

---

(١) صفوان بن المعطل : صحابي جليل ، كان صاحب ساقه رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم في غزواته — أى يسير في مؤخرة الجيش يسوقه — وكان حصورا لا يأتي النساء ذكره ابن اسحاق من طريق عائشة ، قتل شهيـــدا رضي الله عنه في غزوة ارمينيه سنة تسع عشرة في زمان عمر رضي الله عنـــه انظر صحيح مسلم ٤ / ٢١٣٨ .

(٢) فأدلج : بالتشديد سار آخر الليل ، وبالتخفيف سار أول الليـــــل (النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٢ / ١٢٩ .

(٣) باسترجاعه : أى بقوله : انا لله وانا اليه راجعون .

(٤) فخمرت وجهي : أى غطيته النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٢ / ٧٧

(٥) موغرين : الوغرة : بسكون الغين المعجمة شدة الحر ، المصدر نفســـه ٥ / ٢٠٨ .

(٦) نحر الظهيرة : أولها وهو وقت شدة الحر ، ونحر النهار والشهر أولـــه (انظر القاموس المحيط ٢ / ١٣٩)

(٧) يريبني : يشككني ، يقال رابني الشئ وأرابني بمعنى شككني (النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٢ / ٢٨٦ .)

صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى ، انما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم(١) ثم ينصرف ، وذلك الذى يريبنى ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت فخرجت معى ام مسطح قبل المناصع(٢) وهو متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف(٣) قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى التبرز قبل الغائط فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة ابى رهم بن عبد مناف ، وامها بنت صخر بن عامر خالة ابى بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثه(٤) فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى قد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مرطها(٥) فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا قالت : أى —

---

(١) كيف تيكم : بالمثناه المكسورة وهى للمؤنث مثل ذاكم للذكر واستدلت عائشة بهذه الحالة على انها استشعرت منه بعض جفاء (فتح الباري : ٨/ ٤٦٥) .

(٢) المناصع : المواضع التى يتخلى فيها لقضاء الحاجة واحدها منصع كمقعد (النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٥/ ٦٥) .

(٣) الكنف : جمع كنيف : المكان الساتر وأرادت به هنا المكان المعد لقضاء الحاجة (القاموس المحيط ٣/ ١٩٢ ومختار الصحاح ص ٥٨٠) .

(٤) مسطح بن أثاثه بن عباد بن المطلب ومسطح لقبه ، واسمه عوف يكنى أبا عباد وقيل أبا عبد الله شهد بدرا توفى فى خلافة عثمان رضى الله عنه (فتح البارى ٨/ ٤٦٥) .

(٥) فعثرت فى مرطها : أى وطئته برجلها فسقطت والمرط : بكسر الميم واحد المروط وهى اكسيه من صوف أو خز كان يؤتزر بها (مختار الصحاح ص ٦٢١) .

هنتاه[1] أو لم تسمعى ما قال قال قلت : وما قال فاخبرتنى بخبر اهل الافك فازددت مرضا على مرض قالت فلما رجعت الى بيتى ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تعنى سلم ثم قال كيف تيكم فقلت اتأذن لى أن آتى أبوى قالت وانا حينئذ أريد ان استيقن الخبر من قبلهما قالت فأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت ابواى فقلت لامى يا أمتاه ما يتحدث الناس قالت يابنيه هونى عليك ، فوالله لقلما كانت امراة قط وضيئة[2] عند رجل يحبها ولها ضرائر لا كثرن عليها[3] قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا ؟

فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع[4] ، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكى .

استشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه عند تأخر نزول الوحى :

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وأسامة بن زيد رضى الله عنهما حين استلبث[5] الوحى يستأمرهما فى فراق أهله ، قالت فأما اسامة

---

(١) أى هنتاه : تفتح النون وتسكن وتضم الهاء الآخره وتسكن ومعناها : — يابلهاء كأنها نسبت الى قلة المعرفة ، بمكايد الناس وشرورهم (النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٥/٢٧٦) .

(٢) وضيئه : الوضاءه الحسن والبهجه .

(٣) لاكثرن عليها : أى القول فى عيبها .

(٤) لايرقأ لى دمع : لا ينقطع ولا يسكت .

(٥) استلبث الوحى : استفعل من اللبث وهو الابطاء والتأخر (النهاية فى غريب الحديث ٤/٢٢٤) واستلبث الوحى بالرفع طال نزوله ، وبالنصب استبطأ النبى صلى الله عليه وسلم نزوله (فتح البارى ٨/٤٦٨) .

فأشار على رسول الله بالذى يعلم من براءة أهله ، وبالذى يعلم لهم من الـود فقال : يارسول الله أهلك وما نعلم الا خيرا ، وأما على بن أبى طالب فقـال : يارسول الله لم يضيق الله عليك النساء سواها كثير وان تسأل الجارية تصدقك .

قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريره فقال أى بريره هل رأيت من شئ يريبك ؟ قالت بريره لا والذى بعثك بالحق ان رأيت عليها امـرا أغمضه(١) عليها أكثر من أنها جارية حديثه السن تنام عن عجين أهلها فتأتـى الداجن(٢) فتأكله . فقام رسول الله فاستعذر(٣) يومئذ من عبدالله بن ابى بن سلول قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر : يامعشر المسلميـن من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى ، فوالله ما علمت على أهلى الا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا(٤) ما علمت عليه الا خيرا ، وما كان يدخل على أهلـى الا معى ، فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال يارسول الله أنا أعذرك منه ان ، كان من الأوس ضربت عنقه ، وان كان من اخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .

---

(١) اغمضه عليها : أى أعيبها به واطعن به عليها (النهاية فى غريب — الحديث ٣/٣٨٦) .

(٢) الداجن : هى الشاة التى يعلفها الناس فى منازلهم ، وقد يقع علـى غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها (النهاية فى غريب الحديث ٢/١٠٢) .

(٣) فاستعذر : أى قال من يقوم بعذرى ان كافأته على سوء صنيعه فـلا يلومنى (النهاية فى غريب الحديث ٣/١٩٧) .

(٤) هو صفوان بن المعطل السلمى المصرح به أول الحديث صفحة ١٧٣ .

اثار فتنه الافك :

قالت فقام سعد بن عباده ، وهو سيد الخزرج — وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحميه — فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن خضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عباده لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين ، فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت .

قالت فمكث يومى لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ، قالت فأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوما ، لا أكتحل بنوم ، ولا يرقأ لى دمع يظنان ان البكاء فالق كبدى ، قالت فبينما هما جالسان عندى وأنا ابكى فاستأذنت على امراة من الانصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكى معى ، قالت فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ، قالت ولم يجلس عندى منذ ما قيل قبلها .

---

(١) احتملته الحميه : أى حملته الأنفه والغضب على الجهل (النهاية فى غريب الحديث ١/ ٣٢٢) .

(٢) فتثاور الحيان : أى تناهضوا للنزاع والعصبية (شرح مسلم للنووى ٥/ ٦٣٥) .

مقالته الرسول صلى الله عليه وسلم لعائشة وجوابها له :

وقد لبث الوحى شهرا[(١)] لا يوحى اليه فى شأنى قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ، ثم قال أما بعد : ياعائشة فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا[(٢)] فان كنت برئية فسيبرئك الله ، وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه ، فان العبد اذا أعترف لذنبه ، ثم تاب الى الله تاب الله عليه .

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى[(٣)] حتى ماأحس منه قطرة ، فقلت لابى أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى فيما قال ، قال والله ماأدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لامى أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ماأدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن انى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى منه برئيه ، والله يعلم أنى لبرئيه لا تصدقونى بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أنى منه برئية لتصدقن ، والله ما اجد لكم مثلا الا قول

---

(١) ذهب الامام ابن حزم الى أن المدة كانت خمسين يوما أو أزيد (جوامع السيرة ص٢٠٦) وقال ابن حجر ويجمع بأنها المدة التى كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن فى قصة الافك واما التقيد بالشهر فهو المدة التى اولها اتيانى عائشة الى بيت ابويها حين بلغها الخبر فتح البارى ٨/٤٧٥) .

(٢) كذا وكذا : قال ابن حجر هو كناية عما رميت به من الافك فتح البارى ٨/٤٧٥ .

(٣) قلص دمعى : أى ارتفع وذهب (النهاية فى غريب الحديث ٤/١٠٠) +

أبى يوسف[١] قال : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون[٢] ، قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشى ، قالت وانا حينئذ أعلم أنى برئيه ، وان الله مبرئى ببراءتى ، ولكن والله ما كنت أظن ان الله منزل فى شأنى وحيا يتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها .

نزول الوحى ببراءة عائشة :

قالت فوالله ما رام[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج احد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء[٤] حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان[٥] من العرق ، وهو يوم شات من ثقل القول الذى ينزل عليه .

---

(١) هو يعقوب عليه السلام .

(٢) جزء من آية ١٨ من سورة يوسف : " وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون " .

(٣) مارام : أى مابرح ومافارق مجلسه ، يقال رام يريم اذا برح وزال من مكانه ، وأكثر مايستعمل فى النفى (النهاية فى غريب الحديث ٢ / ٢٩٠

(٤) البرحاء : شدة الكرب من ثقل الوحى .

(٥) الجمان : هو اللؤلؤ الصغار وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ (النهاية فى غريب الحديث ١ / ٣٠١) .

قالت فلما سرى[1] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سرى عنه وهو يضحك فكانت أولى كلمة تكلم بها : ياعائشة أما الله عز وجل فقد برأك .

فقالت أمى قومى اليه ، قالت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله عز وجل .

وأنزل الله : " ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه ..... العشر الايات كلها[2] .

موقف ابو بكر الصديق ممن تكلم فى عائشة رضى الله عنها :

فلما أنزل الله هذا فى براءتى ، قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثه لقرابته منه وفقره ، والله لا انفق على مسطح شيئا ابدا بعد الذى قال لعائشة ماقال ، فأنزل الله " ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم "[3] .

قال أبو بكر بلى والله انى أحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقةالتى كان ينفق عليه ، وقال والله لا أنزعها منه ابدا .

قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش[4] عن أمرى ، فقال يازينب ماذا علمت او رأيت ، فقالت يارسول الله،

---

(١) سرى : انكشف عنه مايجده من الهم والثقل (مختار الصحاح ص ٢٥٧
والمراد هنا انكشف عنه مايجده من ثقل نزول الوحى .

(٢) سورة النور ، من آية ١١ — ٢٠ .

(٣) سورة النور ، آية ٢٢ .

(٤) هى زينب بنت جحش ام المؤمنين رضى الله عنها وهى بنت عمته صلى الله عليه وسلم .

أحمى (١) سمعى وبصرى ، ما علمت الا خيرا ، قالت وهى التى كانت تساميني (٢) من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمها (٣) الله بالورع (٤) .

وطفقت (٥) اختها حمنه (٦) تحارب لها ، فهلكت ممن هلك من أصحاب الافك (٧)

---

(١) أحمى سمعى وبصرى : أى أمنعهما من أن أنسب اليهما مالم يدركاه ومن العذاب لو كذبت عليهما (النهاية فى غريب الحديث ١ / ٤٤٨) .

(٢) تساميني : أى تعاليني وتفاخرني ، وهو مفاعله من السمو أى تطاولني عنده صلى الله عليه وسلم (النهاية فى غريب الحديث ٢ / ٤٠٥

(٣) ومعنى عصمها : حفظها ومنعها .

(٤) الورع فى الاصل : الكف عن المحارم والتحرج منها (النهاية فى غريب الحديث ٥ / ١٧٤) .

(٥) وطفقت : بكسر الفاء ، أى جعلت أو شرعت (فتح البارى ٨ / ٤٧٨) .

(٦) هى حمنه بنت جحش بنت عمة صلى الله عليه وسلم وهى اخت زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها .

(٧) أخرج هذا الحديث البخارى ومسلم ، انظر صحيح البخارى — كتاب التفسير — سورة النور ٦ / ١٢٧ ، وصحيح مسلم — كتاب التوبة — ٤ / ٢١٢٩ .

٢ — تفسير الآيات النازلة فيها :

قال تعالى فى سورة النور : " ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم مااكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم (١١) ، لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين (١٢) ، لولا جاءوعليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون (١٣) ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فى ماأفضتم فيه عذاب عظيم (١٤) ، اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم (١٥) ، ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم (١٦) ، يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين (١٧) ، ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم (١٨) ، ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين أمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون (١٩) ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم (٢٠) ،

يا أيها الذين أمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولو فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم (٢١) ، ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (٢٢) ، ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم (٢٣) ، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (٢٤) ، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين (٢٥) ، الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم (٢٦) .

سبب نزول هذه الآيات :

١ــ أخرج البخارى ومسلم من حديث عائشة الطويل[(١)] : (فأنزل الله عز وجل " ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، العشر ايات كلها .[(٢)]

هذا نص البخارى وزاد مسلم " قالت : فانزل الله عز وجل " ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، عشر ايات ، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الايات ببراتى . . .[(٣)]

٢ــ وذكره الواحدى النيسابورى بسنده عن الزهرى فى أسباب النزول[(٤)] وأورده الامام السيوطى كذلك فى أسباب النزول وقال : أخرج الشيخان وغيرهما من حديث عائشة . . . وذكر الحديث بطوله .[(٥)]

٣ــ قال القرطبى : وسبب نزولها مارواه الائمة من حديث الافك الطويل فى قصة عائشة رضوان الله عليها ، وهو خبر صحيح مشهور ، أغنى اشتهاره عن ذكره .[(٦)]

٤ــ وقال الامام الرازى : أما سبب النزول : فقد روى الزهرى . . . . وذكر حديث عائشة رضى الله عنها بطوله .[(٧)]

---

(١) ذكرنا الحديث بطوله ص ١٧٢ .

(٢) صحيح البخارى ــ كتاب التفسير ــ سورة النور ٦/ ١٢٧ .

(٣) صحيح مسلم ــ كتاب التوبة : ٤/ ٢١٢٩ .

(٤) اسباب النزول للواحدى ص ٢١٤ .

(٥) اسباب النزول للسيوطى ص ١٥٤ .

(٦) تفسير القرطبى : ١٢/ ١٩٧ .

(٧) تفسير الامام الرازى ٢٣/ ١٧٤ .

والذى يتأمل هذه الآيات التى نزلت فى حديث الافك ، يراها قد سبقتها آيات أخرى تحدثت عن حكم الزانى والزانيه وعن قبح فاحشة الزنا . وعما يجب على الحاكم أن يفعله اذا مارس احد الزوجين صاحبه .

وعن العقوبة التى أوجبها الله على الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى غير ذلك من الاحكام .

وقد افتتحت هذه الايات بعد ذلك بقوله تعالى :" ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكل امرئ منهم ماأكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ".(١١)

الافك : أسوء الكذب وأشنع صور البهتان ، يقال أفك كضرب وعلم أى كذب وهو قذف السيدة الحصان عائشة بالفاحشة .
قال الرازى : والافك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان وهو الامر الذى لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه .(١)

العصبة : من الثلاثة الى العشرة ، واصلها فى اللغة الجماعة الذين يتعصبون بعضهم لبعض .(٢)

كبره : قرئ كبره بالضم والكسر . وهو عظمه وهو عبدالله بن ابى بن سلول وهو الصحيح .(٣)

---

(١) تفسير الرازى : ٢٣/١٧٢ .
(٢) تفسير القرطبى : ١٢/١٩٨ .
(٣) المصدر نفسه : ١٢/٢٠٠ ، وأنظر صحيح البخارى : ٦/١٣٣ .

قال الرازى : والأقرب فى الرواية أن المراد به عبد الله بن أبى بن سلول فانه كان منافقا يطلب ما يكون قدحا فى الرسول عليه السلام ، وغيره كان تابعا له فيما كان يأتى[1].

ذكر — سبحانه — فى ست عشرة آية قصة الافك التى اتهمت فيها العفيفه البريئة الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بالكذب والبهتان فبرأها الله — سبحانه — مما أفتروه عليها وتوعد الذى تولى كبره وهو عبد الله بن أبى ابن سلول بالعذاب العظيم .

فقال تعالى : " ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم "

أى ان الذين جاءوا بالكلام الكاذب هم جماعة منكم أيها المؤمنون لأن ، عبد الله بن ابى بن سلول كان من جملة من حكم له بالاسلام ظاهرا .

وقد اشاع المنافقون خبر ألافك فى المدينة وتكلم به بعض المؤمنين فنشروا الخبر ولم يتثبتوا .

وقوله تعالى : " لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم " تسلية للمؤمنين عما أصابهم من غم بسبب هذا الحادث وهو خطاب لمن تأذى بهذه الفريه .

ينبه فيه — سبحانه — أن ما حصل انما هو ابتلاء . والمؤمن اذا ابتلى وصبر واحتسب كان له الأجر العظيم من الله ، فنرى — سبحانه — يوجه الخطاب لهم مطمئنا بأن الله كتب لهم الأجر العظيم لصبرهم واحتسابهم

---

(١) تفسير الرازى : ١٧٤/٢٣ .

فكان هذا الأمر خيرا لهم .

قال الرازى : أنه سبحانه شرح حال المقذوفه ومن يتعلق بها بقوله لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم " ، والصحيح أن هذا الخطاب ليس مع القاذفين ، بل مع من قذفوه وأذوه ، فان قيل هذا مشكل لوجهين :

أحداهما : أنه لم يتقدم ذكرهم .

الثانى : أن المقذوفين هما عائشة وصفوان فكيف تحمل صيغة الجمع فى قوله " لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم " .

والجواب عن الأول : أنه تقدم ذكرهم فى قوله (منكم) .

وعن الثانى : أن المراد من لفظ الجمع كل ما تأذى بذلك الكذب وأغتم ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم تأذى بذلك وكذلك أبو بكر ومن يتصل به .(1)

وقوله تعالى " لكل امرئ منهم ماأكتسب من الاثم " بيان لعدالة الله — تعالى — فى خلقه أى لكل فرد من القضية الكاذبة جزاء ما أحترح من الذنب على قدر خوضه فيه .

وقوله تعالى " والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم " بيان للعقوبة الشديدة التى أعدها الله — تعالى — للذين تولوا اشاعة هذا الحديث عن السيدة عائشة رضى الله عنها وكبره — بكسر الكاف وسكون الباء — هو عظمه .

فقد اعد الله لمن تولى نشر الفريه واختلقها العذاب العظيم المؤلم فى الأخره جزاء ما اقترفت يداه .

---

(١) تفسير الامام الرازى : ٢٣/١٧٣ .

واختلف فيمن تولى كبره على قولين :

١ ـ أنه عبد الله بن ابى بن سلول رأس النفاق وهو الصحيح والراجح والأقرب الى الصواب .

٢ ـ قيل انه هو حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ وهو قول ضعيف لا حجة له .

ويستفاد من الآية الكريمة مايلى :

أولاً :

نرى أعجاز القرآن وبلاغته فى الاية الاولى حيث ابطل الفريه وجلى الحقيقة وذكر حال المقذوفين كل ذلك فى آية واحدة ، ثم جمل بقية الايات بما يليق بالقصة من آداب وتوجيهات وزواجر .

ثانيا :

وصف سبحانه الفريه التى الصقت بالسيدة عائشة رضى الله عنها بالأفك وهو اشنع انواع الكذب لحكمة اوضحها الامام الرازى حين قال :

وانما وصف الله تعالى ذلك الكذب بكونه افكا لان المعروف من حال عائشة خلاف ذلك لوجوه :

احداها : أن كونها زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم المعصوم يمنع من ذلك لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ، فوجب ان لا يكون معهم ماينفرهم عنهم .

وثانيها : ان المعروف من حال عائشة قبل تلك الواقعة انما هو الصون والبعد عن مقدمات الفجور ، ومن كان كذلك كان اللائق احسان الظن به .

وثالثها : ان القاذفين كانوا من المنافقين وأتباعهم ، وقد عرفوا أن كلام العدو والمفترى ضرب من الهذيان ، فلمجموع هذه القرائن كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحى.(١)

ثم عاتب ــ سبحانه ــ المؤمنين على ما حصل منهم من الخوض فى حديث الافك فقال تعالى :

" لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين (١٢) " .

لولا : بمعنى هلا وتستعمل للحث على الشئ وتأكيد طلبه .

ظن : تستعمل للشك وتستعمل للاعتقاد والمراد بالظن هنا الاعتقاد .

بأنفسهم : باخوانهم والتعبير بانفسهم فيه من البلاغة ما لا يخفى حيث أكد أن المؤمنين كالنفس الواحدة والجسد الواحد كما جاء فى الحديث (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

افك مبين : أى كذب ظاهر واضح مبين .

قال سليمان الجمل فى حاشيته :

لما بين تعالى حال الخائضين فى الافك بقوله : لكل امرئ منهم .. الخ شرع هنا فى توبيخهم وتعييرهم وزجرهم بتسعة زواجر :

الأول : هذا ، والثانى لولا جاءوا عليه .. الخ، والثالث ولولا فضل الله .. الخ ، والرابع : اذا تلقونه .. الخ ، والخامس : ولولا اذ سمعتموه .. الخ ، والسادس : يعظكم الله .. الخ ، والسابع : ان الذين يحبون ...

---

(١) تفسير الامام الرازى ٢٣/٢٢ ١٧٣ .

الخ ، والثامن : لولا فضل الله عليكم .. الخ . والتاسع : ياأيها الذين أمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الى سميع عليم .(١)

المعنى :

يعاتب سبحانه وتعالى المؤمنين فى ظنهم حين قال أصحاب الأفك ماقالوا ويوضح أنه كان الأجدر بهم التروى وأن يظنوا خيرا باخوانهم فى العقيدة ، وأن يقيسوا ماأشيع عنهم على أنفسهم ، فان كان ذلك يبعد فيهم فذلك فى عائشة وصفوان أبعد . قال ابن كثير : هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين فى قصة عائشة حين افاض بعضهم فى ذلك الكلام السوء ، وهلا قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم فان كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى .(٢)

وروى أن هذا النظر السديد وقع من أبى أيوب الانصارى وامرأته ونقل صاحب الكشاف : أن أبا أيوب الأنصارى ، قال لام أيوب : ألا ترين مايقال ؟ فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا ؟ قال : لا . قالت : ولو كنت أنا بدل عائشة رضى الله عنها ماخنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير منى . وصفوان خير منك .(٣)

وقد ذكر الامام محمد بن اسحاق بن يسار هذه الرواية عن أبيه عن بعض بنى النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد الانصارى قالت له امرأته ... الخ .(٤)

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ٣/٢١٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٢٧٣ .

(٣) تفسير الكشاف ٣/٢١٨ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣/٢٧٣ .

وقد أوضح الامام الزمخشرى بعض النواحى البلاغية فى هذه الآية فقال :
فان قلت هلا يقال لولا اذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا . ولماذا عدل عن الخطاب الى الغيبه .

قلت: ليبالغ فى التوبيخ بطريقة الالتفات . وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن الاشتراك فيه يقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن .

وقوله تعالى " وقالوا هذا افك مبين " فيه تنبيه على ان من الواجب على المؤمن اذا سمع مقالة فى أخيه أن يبنى الأمر على الظن الحسن ، وأن يقول بملء فيه على ظنه بالمؤمن الخير " هذا افك مبين " هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال (١) . .

فكان من الواجب على كل مؤمن منكم أن يقول بدون شك وبدون تردد : هذا بهتان بين . واختلاق واضح ، لا يليق بالمؤمنين ، فكيف بعائشة أم المؤمنين ، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة يراها قد رسمت للمؤمنين المنهج السليم فى كيفية مواجهة الامور وذلك بأن يرجع كل مؤمن الى نفسه ويستفتى قلبه وان يقيس الامر على نفسه فاذا استبعده قلبه وانكره عن نفسه عليه أن يستبعد عن اخوانه المسلمين ماأبعده عن نفسه .

قال القرطبى : قال العلماء ان الاية أصل فى أن درجة الايمان التى حازها الانسان ، ومنزلة الصلاح التى حلها المؤمن ، ولبسه العفاف التى يتستر بها المسلم لا يزيلها عنه خبر محتمل وان شاع ، اذا كان أصله فاسدا أومجهولا (٢) .

---

(١) تفسير الكشاف ٣/٢١٨ .
(٢) تفسير القرطبى ١٢/٢٠٣ .

ثم علل ـ سبحانه ـ كذب الآفكين وبخهم على ما أختلقوه وأذاعوا ، فقال تعالى :ـ

" لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون " (١٣) .

وحرف لولا : هنا كسابقه ، أى هو للتحضيض بمعنى هلا .

والمعنى :

أن الله ـ تعالى ـ يوبخ الذين سمعوا الافك ولم ينكروه أول وهله قائلا : " لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء " .

أى هلا جاء أولئك المفترون بأربعة شهود يشهدون على ثبوت ما قالوا . . " فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون " أى فان لم يقيموا الدليل ويأتوا بالبينة على صدق ما قالوا فهم كاذبون فيما تفوهوا به من زور وبهتان .

وقد أوضح الامام أبو السعود بعض الجوانب البلاغية فى هذه الاية فقال هذا اما من تمام القول المخصص عليه مسوق لحث السامعين على الزام المستمعين وتكذيبهم ماسمعوه منهم بقولهم " هذا افك مبين " وتوبيخهم على تركه ،

أى هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا " فاذا لم يأتوا " بهم وانما قيل " بالشهداء " لزيادة التقرير " فاولئك " اشارة الى الخائضين ومافيه من معنى البعد للايذان بغلوهم بالفساد وبعد منزلتهم فى الشر أى اؤلئك هم المفسدون .

(عند الله) أى فى حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهره المتقنه (هم الكاذبون) الكاملون فى الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم كذلك رتب الحد عليه خاصة .

واما كلام مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم يكون ما قالوا قولا لا يساعده الدليل أصلا .(١)

هذا وقد حد مسطح وحسان وحمنه ، روى محمد بن اسحاق وغيره ان النبى صلى الله عليه وسلم جلد فى الافك رجلين وأمراة : مسطحا وحسان وحمنه وذكره الترمذى .(٢)

قال القرطبى والمشهور من الاخبار والمعروف عند العلماء أن الذى حد حسان ومسطح وحمنه ولم يسمع بحد عبد الله بن ابى .(٣)

وقد وردت آثار ضعيفه تدل على أن عبد الله بن ابى اقيم عليه الحد ولكنها كلها ضعيفه لا تقوم بها الحجة .(٤)

وكون عبد الله بن ابى تولى كبره وأنه كان يستوشى الحديث ويجمعه ويحكيه ثبت ذلك فى صحيح البخارى من حديث عائشة . .

---

(١) تفسير الامام ابو السعود ٤ / ٩٩ .
(٢) تفسير القرطبى ١٢ / ١٩٧ .
(٣) المصدر نفسه ١٢ / ٢٠١ .
(٤) انظر فتح البارى ٨ / ٤٧٩ ، ومرويات غزوة بنى المصطلق ص ٢٤٢ .

(وكان الذى تكلم فيه مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبد الله بن ابى وهو الذى كان يستوشيه ويجمعه وهو الذى تولى كبره منهم .. الحديث[1].

وقد ذكر الامام ابن القيم وجه الحكمة فى عدم حد عبد الله بن ابى فقال :

١ـ قيل : لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفاره ، والخبيث ليس أهلا لذلك وقد وعده الله بالعذاب العظيم فى الآخرة ، فيكفيه عن الحد .

٢ـ وقيل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه فى قوالب من لا ينسب اليه .

٣ ـ وقيل الحد لا يثبت الا ببينه أو اقرار وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه احد ، فانه كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه ولم يكن يذكره بين المؤمنين .

٤ ـ وقيل بل ترك حده لمصلحة هى أعظم من اقامته عليه ، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مرارا وهى تأليف قومه وعدم تنفيرهم من الاسلام .

ثم قال : ـ فى ختام كلامه ـ ولعل تركه لهذه الوجوه كلها[2] .

ثم واصلت الايات الكريمة حديثها لتوضح ملابسات حديث الافك ولتتبين جانب من فضل الله عليهم فقال تعالى :

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب التفسير ـ باب قوله (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين امنوا الاية الى قوله والله غفور رحيم) ٦ / ١٣٣

(٢) زاد المعاد ٢ / ٢٨٤ .

" ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فى ما افضتم فيه عذاب عظيم " . (١٤)

لـــولا : هنا للربط والتعليق ، وهى التى يقال فيها حرف امتناع وجود أى أمتنعت عنهم العقوبة المتوقعة لوجود الفضل والرحمة من الله عليهم .

لمسكـــم : لأصابكـــم .

أفضـــتم : من الافاضه : وهى الأخذ فى الحديث ، يقال أفاض القوم فى الحديث اذا أخذوا فيه [١]

عذاب عظيم : أى عذاب هائل ومريع يستحقر دونه الجلد والتعنيف والعقاب .

والمعـــــنى :

أنه ـ سبحانه ـ لولا فضله على المؤمنين الخائضين فى شأن عائشة لنزل بهم عذاب شديد وهائل بسبب خوضهم فى حديث الافك لكن رحمته سبحانه وسعت المؤمنين فلم يعاجلهم بالعقوبة المستحقة .

قال القرطبى : وهذا عتاب من الله بليغ ، ولكنه برحمته ستر عليكم فى الدنيا ويرحم فى الآخرة من أتاه تائبا . [٢]

ويؤخذ من قوله تعالى " ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة" كمال عنايته ـ سبحانه ـ بالامة المحمدية وتداركه لهذه الجماعة الناشئه بالفضل والرحمة ، فهو يسدد خطاها ويقوم بتربيتها بالدروس والعظات .

---

(١) تفسير القرطبى ١٢/ ٢٠٣ .

(٢) المصدر نفسه

ثم رسم القرآن الكريم صورة بليغه لحالة الاضطراب التى حلت بالمسلمين بعد اشاعة حديث الافك فقال تعالى :

" اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم " . (١٥)

تلقونه : يأخذه بعضكم من بعض ــ يقال : تلقى القول وتلقنه اذا أخذه عن غيره بسرعه ، ومنه قوله تعالى " فتلقى ادم من ربه كلمات"(١)

والمعنى :

أن الله ــ سبحانه ــ يذكر المؤمنين باخطائهم فيقول لهم : اذكروا أيها المؤمنون وقت أن أشاع المنافقون حديث الافك فكنتم (تلقونه بالسنتكم) أى يرويه بعضكم عن بعض ، يقول هذا سمعته من فلان ، وقال فلان كذا(٢) (وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم)

أى تقولون بالافواه قولا باطلا لا يستند الى دليل أو يقين أو علم وتظنونه هينا سهلا وهو عند الله من اكبر الكبائر واعظمها عند الله .

قال الزمخشرى : فان قلت : مامعنى قوله (بأفواهكم) والقول لا يكون الا بالفم ؟

قلت : معناه أن الشئ المعلوم يكون علمه فى القلب ، فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجرى بالسنتكم ويدور فى افواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب ، كقوله تعالى (يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم) .(٣،٤)

---

(١) تفسير الكشاف ٤/٢١٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٢٧٤ .

(٣،٤) سورة آل عمران ،ايه ١٦٧ ، تفسير الكشاف ٣/٢١٩ .

وقد لخص الامام المراغى أهم ما جاء فى هذه الاية فقال :

وخلاصة ذلك — انه وصفهم بارتكاب ثلاثة اثام وعلق مس العذاب العظيم بها :

١ — تلقى الافك بالألسنة ، فقد كان الرجل يلقى أخاه فيقول له ماوراءك ، — فيحدثه حديث الافك حتى شاع وانتشر حتى لم يبق بيت ولا ناد الا طار ، فيه فهم قد فعلوا جهذ' المستطاع فى نشره .

٢ —أنه قول بلا روية ولا فكر ، فهو قول باللسان لا يترجم عما فى القلب ، اذ ليس هناك علم يؤيده ولا قرائن ولا احوال وشواهد لصدقه .

٣ — استصغار ذلك وحسبانه مما لا يؤبه له ، وهو عند الله عظيم الـوزر ، مستحق لشديد العقوبة(١).

ويؤخذ من الاية وجوب الحرص والحذر فى الاقوال فان المسلم محاسب على كل مايقوله فقد جاء فى صحيح البخارى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات ، وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم)(٢).

وجاء — ايضا — فى صحيح البخارى ومسلم عن ابى هريرة عن النبى صلى اللهعليه وسلم قال : (ان العبد ليتكلم بالكلمة ، ينزل بها فى النار ، ابعد ما بين المشرق والمغرب)(٣).

---

(١) تفسير المراغى ١٨ / ٨٥ .

(٢) صحيح البخارى — كتاب الرقاق — باب حفظ اللسان ٨ / ١٢٥ ، وانظر فتح البارى ١١ / ٣٠٨ .

(٣) صحيح البخارى — كتاب الرقاق — باب حفظ اللسان ٨ / ١٢٥ ، وصحيح مسلم — كتاب الزهد والرقائق — باب التكلم بالكلمة يهوى بها فى النار ٤ / ٢٢٩٠ ، وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨ / ١١٧ .

فعلى المؤمنين الحذر كل الحذر من القاء القول جزافا فان الاثام التى ارتكبها المؤمنون فى حديث الافك كانت نتيجة لهذا التساهل .

وتستمر الايات فى ارشاد المؤمنين الى الذى كان ينبغى ان يصدر منهم فيقول تعالى :

" ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم " (١٦) .

سبحانك : للتعجب من عظيم الامر ، والاصل فى ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ، ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه[1] ، والمراد هنا التعجب من عظيم هذا الامر وممن تفوه به[2] .

هذا بهتان عظيم : أى كذب يبهت ويحير سامعه لفظاعته لا يقدر قدره لعظمه المبهوت عليه ، يقال : بهته بهتا وبهتا وبهتانا ، قال عليه مالم يفعل[3] .

وحقيقة البهتان أن يقال فى الانسان ماليس فيه ، والغيبة أن يقال فى الانسان ما فيه[4] .

المعنى :

وهلا أيها المؤمنون وقت أن سمعتم بهذا الحديث الكاذب عن ام المؤمنين عائشة ان تقولوا : (مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) .

---

(١) تفسير الكشاف ٤ / ٢٢٠ .

(٢) صفوة البيان لمعانى القرآن ٢ / ٧٧ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) تفسير القرطبى ١٢ / ٢٠٥ .

أى لا ينبغى ان نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لاحد وأن تنزهوا اللـــــه عن أن يقع مثل هذا من زوجة رسول الله — صلى الله علية وسلم — الطاهـــرة البرئية فان هذا الافتراء كذب وبهتان عظيم .

قال صاحب غرائب القرآن : والفرق بين هذه الاية وبين قوله (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون) هو أن تلك تميل الى العموم وهذه تميل الـــــى الخصوص ، فكانه بين أن هذا القذف خاصة ماليس لهم ان يتفوهوا به لمـــا فيه من ايذاء نبيه وايذاء زوجته التى هى حبيبته (١) .

ثم حذر — سبحانه — عباده المؤمنين أن يعودوا لمثل هذا الامـــر العظيم :

" يعظكم الله أن تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين " . (١٧)

" ويبين اللــه لكم الايات والله عليم حكيم " (١٨) .

أى يعظكم الله بهذه المواعظ التى بها تعرفون عظم الذنب ، وكـــبر هذا الجرم وان فيه النكال والعقاب بالحد فى الدنيا ، والعذاب فـــى الآخرة ، كى لا تعودوا لمثله ابدا ان كنتم من اهل الايمان تتعظون بعظات

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٨/ ٧٨ .

الله[١] ، وقوله (ان كنتم مؤمنين) .

قال القرطبى : توقيف وتوكيد ، كما تقول ينبغى لك ان تفعل كـــذا وكذا ان كنت رجلا[٢] ، (ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم) .

أى ويوضح — سبحانه — لكم الايات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب لتتعظوا وتتأدبوا بها فان الله عالم بما يصلح العباد ، حكيم فى تدبـــيره وتشريعه .

ومما يؤخذ من قوله (يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا) ماذكـــره القرطبى قال : قال هشام بن عمار سمعت مالكا يقول : من سب أبا بكـــر وعمر أدب ، ومن سب عائشه قتل ، لان الله تعالى يقول : (يعظكم اللـــه ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين)[٣] .

---

(١) تفسير المراغى ١٨ / ٨٦ .

(٢) تفسير القرطبى ١٢ / ٢٠٥ .

(٣) المصدر نفسه ١٢ / ٢٠٦ .

ولما كان من أنفع المواعظ بيان ما يستحقه المذنب من العقاب على جرمه بين ذلك بقوله :

" ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين امنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون " (١٩) .

قوله (تشيع) : أى تفشو ، يقال شاع الشئ شيوعا وشيعا وشيعانا ، أى ظهر وتفرق (١) .

الفاحشة : هى الفعل القبيح المفرط فى القبح كالزنى واللواط وغير ذلك من المنكرات القبيحه (٢) .

المعنى :

يوضح — سبحانه — أن الذين يحبون أن ينتشر الزنا وغيره من الفواحش فى المحصنين والمحصنات من المؤمنين والمؤمنات ، لهم أشد انواع العذاب فى الدنيا باقامة الحد عليهم واللعن والخزى والعزل عن أفراد المجتمع المسلم ، ولهم فى الاخرة عذاب النار الذى تقشعر منه الأبدان ، وذلك اذا ماتوا مصرين غير تائبين .

قال الحسن : عنى بهذا الوعيد واللعن المنافقين فانهم أحبوا وقصدوا ، اذاية الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك كفر وملعون صاحبه (٣) .

---

(١) تفسير القرطبى ١٢ / ٢٠٦ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) البحر المحيط ٦ / ٤٣٩ .

ويقول المودودى رحمه الله : ان المفهوم المباشر لهذه الايه هو أن الذين يختلقون مثل هذه الاتهامات الكاذبة ويعملون بنشرها على اشاعة الفاحشة فى المجتمع ووصم اخلاق الامة المسلمة ، يستأهلون العقاب ، الا ان الفاظ القرآن شاملة لجميع صور اشاعة الفاحشة والانحلال الخلقى .

فهى تنطبق كذلك على انشاء دور الفاحشة والبغاء ، وما يرغب الناس فيها ويثير غرائزهم الدنيئة من القصص والروايات والاشعار والغناء والصور والالعاب والمسارح والسينما ، كما هى تنطبق كذلك على المجالس والنوادى ، والفنادق التى يعقد فيها الرقص والطرب يشترك فيه الرجال والنساء على صور خليعه مختلطة .

فالقرآن يصرح بأن هؤلاء جميعا من الجناة يجب ان ينالوا عقابهم لا فى الاخرة فقط بل فى الدنيا كذلك فمن واجب كل دولة اسلامية ان تبذل جهدها فى استئصال جميع هذه الوسائل والأسباب لاشاعة الفاحشة .(١)

وقوله تعالى : " والله يعلم وانتم لا تعلمون "

أى هو تعالى عالم بالخفايا والنوايا وانتم لا تعلمون ذلك .

قال الرازى : وهذه الجملة فيها حسن الموقع بهذا الموضع ، لأن محبة القلب كامنة ونحن لا نعلمها الا بالامارات اما الله — سبحانه — فهو لا يخفى عليه شئ ، فصار هذا الذكر نهاية فى الزجر لأن من أحب اشاعة الفاحشة وان بالغ فى اخفاء تلك المحبة فهو يعلم ان الله تعالى يعلم ذلك منه ويعلم قدر الجزاء عليه.(٢)

---

(١) تفسير سورة النور للمودودى ص ١٣٢ .

(٢) تفسير الامام الرازى ٢٣/١٨٣ .

ثم كرر ـ سبحانه ـ ذكر فضله ورحمته على عباده فقال تعالى :

" ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم " (٢٠) .

جواب لولا محذوف لتهويل الامر .

أى : لولا فضله تعالى على عباده ورحمته بهم لاهلكهم وعذبهم بسبب خوضهم فى حديث الافك ، ولكنه ـ سبحانه ـ رؤف رحيم بعباده ، فلا يعاجلهم بالعقوبة .

ثم حذر ـ سبحانه ـ عباده المؤمنين من اتباع الشيطان فقال تعالى :

" ياأيها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات ـ الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم " (٢١) .

خطوات الشيطان : واحد الخطوات خطوة ، وهو ما بين القدمين والخطوة (بالفتح) المصدر ، يقال خطوت خطوة وجمعها خطوات والمراد بها مسالكه ومذاهبه (١) .

الفحشاء : الاسم من الفحش ، ويطلق لفظ الفحشاء على كل خصلة قبيحة شديدة القبح ، بيد أن الفحشاء اذا اطلقت فى القرآن تتناول اولا فاحشة الزنى واللواط ثم تعم كل خصلة قبيحة شديدة القبح .

المنكر : اسم مفعول من أنكر الشئ ينكره اذا لم يعرفه ، وهو هنا : كل ماأنكره الشرع لفساده وضرره من كل المعتقدات والاقوال والافعال .

---

(١) تفسير القرطبى ١٢/٢٠٦ .

مازكـــى : يقال : زكى يزكو زكاء ، أى صلح ، والمعنى أى مااهتدى ولا ، عرف رشدا ، قال ابو حيوة : أى أن تزكيته لكم وتطهيره وهدايته انما هى بفضله لا بأعمالكم .(١)

والمعـــــنى :

ناداهم ــ سبحانه ــ بصفة الايمان لتحريك حرارة العقيدة فى قلوبهـــم فقال (ياأيها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أى يامن صدقتـم بالله ورسوله لا تتبعوا مسالك الشيطان ومذاهبه ، ولا تقتفوا آثاره .

ثم ذكر سبب النهى فقال تعالى (ومن يتبع خطوات الشيطان فانـــــه يأمربالفحشاء والمنكر) أى ومن يتبع وساوس الشيطان وهمزاته ، يقع فـــى الهلاك والخسران ، فان الشيطان لا يأمر الا بالفحشاء والمنكر .

ثم اكد ــ سبحانه ــ منته على عباده فقال (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من احد ابدا) أى ولولا فضل الله عليكم أيها المؤمنون بالتوفيق للتوبه التى تمحو الذنوب وتغسل أدرانها ماطهر احد منكم من ذنبه ، ــ (ولكن الله يزكى من يشاء) أى ولكن الله بفضله ورحمته يطهر من يشـــــاء بتوفيقه للتوبه النصوح وقبولها منه (والله سميع عليم) أى والله سميع لمــــا تقولون بأفواهكم من القذف واثبات البراءة عليم بما فى قلوبكم من محبــــــة اشاعة الفاحشة أوكراهيتها ، ومجازيكم بكل ذلك .

وفى هذا حث لهم على الاخلاص فى التوبة ، والابتعاد جهد المستطاع عن المعصية وارتكاب الاوزار والاثام .(٢)

---

(١) المصدر نفسه

(٢) تفسير المراغى بتصرف ١٨/ ٨٨ .

ثم دعا ــ سبحانه ــ عباده المؤمنين الى الصفح والغفران بين بعضهم البعض فقال تعالى :

" ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم " (٢٢) .

ولا يأتل : معناها يحلف وزنها يفتعل ، من الألية وهى اليمين [١] ، ومنه قوله تعالى (للذين يؤلون من نساءهم) [٢] .

(وليعفوا وليصفحوا) :

اللام فيه لام الأمر ، وهى غالبا لأمر الغائب .

العفو : ترك العقاب على الذنب ، وأصل العفو المحو من قولهم عفت الريح رسم الديار وآثارها أى محتها .

والصفح : ترك المؤاخذه على الذنب ، فكل صفح عفو ولا عكس .

سبب النزول :

١ـ أخرج الامام البخارى ومسلم من حديث عائشه الطويل فى الافك [٣] قالت :

(فلما أنزل الله هذا فى براءتى ، قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثه لقرابته منه وفقره ، والله لا أنفق على مسطح

---

(١) تفسير القرطبى ١٢ / ٢٠٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٢٦ .

(٣) ذكرنا الحديث بطوله ص ١٧٢ .

شيئا ابدا بعد الذى قال لعائشه ما قال ، فانزل الله :

" ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم"[1] .

قال ابو بكر بلى والله انى احب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه ، وقال والله لا أنزعها منه ابدا . . . الحديث[2] واللفظ للبخارى .

٢ ــ وكذلك أخرج الامام البخارى من حديث أسامه[3] عن هشام بن عروه قال قال أخبرنى أبى عن عائشة : وذكر جزءا من حديثها الطويل ــ قالت : فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنافعه ابدا . فأنزل الله عز وجل (ولا يأتل اولو الفضل) الى آخر الايه يعنى أبا بكر (والسعة أن ــ يؤتوا اولى القربى والمساكين) يعنى مسطحا الى قوله (الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) حتى قال ابو بكر : بلى والله ياربنا انا لنحب أن تغفر لنا ، وعاد له بما كان يصنع[4] .

٣ ــ قال القرطبى : المشهور من الروايات أن الاية نزلت فى قصة أبى بكر بن أبى قحافه رضى الله عنه ومسطح بن أثاثه .

---

(١) زاد مسلم : قال حبان بن موسى ، قال عبد الله بن المبارك : هذه ، ارجى آيه فى كتاب الله .

(٢) صحيح البخارى ــ كتاب التفسير ــ سورة النور ٦ / ١٣٢ .
وصحيح مسلم ــ كتاب التوبه ــ ٤ / ٢١١٦ .

(٣) ذكر هذه الرواية عند باب قوله (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشه الى والله غفور رحيم) .

(٤) صحيح البخارى ــ كتاب التفسير ــ سورة النور ٦ / ١٣٦ .

وقال الضحاك وابن عباس : أن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال فى الافك وقالوا : والله لا نصل من تكلم فى شأن عائشه ، فنزلت الاية فى جميعهم ، والاولى أصح ، غير أن الاية تتناول الامة الى يوم القيامة بالا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من هذه صفته غابر الدهر .[1]

هذه بعض الروايات التى جاءت فى سبب نزول هذه الاية[2].

والمعنى :

عليكم — أيها المؤمنون — أن تصلوا أرحامكم ، حتى ولو أساءوا اليكم ، ولا تحلفوا بالله الا تعطوهم شيئا من اموالكم بسبب اساءتهم وعليكم بالصفح والعفو عنهم .

وقوله سبحانه (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) زيادة فى الحض على فعل الخير ، والتحريض على الاستمرار فيه .

أى ان كنتم تحبون أن يغفر الله لكم ذنوبكم فداوموا على الصفح والعفو عمن أساء اليكم .

(والله غفور رحيم) أى والله غفور لذنوب من أطاعة واتبع أمره من عباده وهو رحيم به لا يعذبه عليها اذا استغفر منها وتاب ورجع .

---

(١) تفسير القرطبى ٢٠٧/١٢ .

(٢) انظر بقية الروايات فى تفسير الرازى ١٨٦/٢٣ .

قال ابن كثير :

وهذه الاية غاية فى الترفق والعطف على صلة الارحام .

وهذه الاية نزلت فى الصديق رضى الله عنه حين حلف ان لا ينفع مسطح بن اثاثه بنافعه ابدا بعد ما قال فى عائشه ماقال كما تقدم فى حديث الافك فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين وطابت النفوس المؤمنه واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين فى ذلك واقيم الحد على من اقيم عليه .

شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنه يعطف الصديق على قريبه ونسيبه مسطح بن أثاثه فانه كان ابن خالة الصديق وكان مسكينا لا مال له الا ما ينفق عليه أبو بكر رضى الله عنه ، وكان من المهاجرين فى سبيل الله وقد زلق زلقة تاب الله عليها منها ، وضرب الحد عليها .

وكان الصديق رضى الله عنه معروفا بالمعروف ، له الفضل والأيادى على الاقارب والأجانب فلما نزلت هذه الاية الى قوله (الا تحبون ان يغفر الله لكم) الاية .

فان الجزاء من جنس العمل فكما تغفر ذنب من أذنب اليك يغفر الله لك وكما تصفح يصفح عنك ، فعند ذلك قال الصديق : بلى والله انا نحب أن تغفر لنا ياربنا ، ثم رجع الى مسطح ماكان يصله من النفقه وقال : والله لا أنزعها منه ابدا ، فى مقابلة ماكان قال : والله لا أنفعه بنافعة ابدا . فلهذا كان الصديق هو الصديق رضى الله عنه وعن ابنته[(١)] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٧٦ .

قال قال بعض العلماء [١] : هذه أرجى آية فى كتاب الله تعالى ، من حيث لطف الله بالقذفه العصاة [٢] .

ثم ذكر — سبحانه — عقوبة الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات فقال تعالى :

" ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم " (٢٣)

المحصنات : من الاحصان وهو فى اللغة بمعنى المنع .

يقال هذه درع حصينه ، أى مانعة صاحبها من الجراحه

ويقال هذا موضع حصين ، أى مانع من يريده بسوء .

ويقال امرأة حصينه أى مانعه نفسها من كل فاحشة بسبب غفتها أو حريتها أو زواجها .

قال الراغب : ويقال حصان للمرأة العفيفة ولذات الحرمه قال تعالى : " ومريم بنت عمران التى أحصنت فرجها " وقال — تعالى — " فاذا أحصن " أى تزوجين .

والحصان فى الجملة : المرأة المحصنة اما بعفتها او — تزوجها أو بمانع من شرفها وحريتها [٣] .

والمراد بها هنا : الحره البالغة العفيفه .

---

(١) منهم عبد الله بن المبارك وجاء هذا فى رواية مسلم لحديث الافك انظر هامش ص ٢٠٦ من الرسالة .

(٢) تفسير القرطبى ١٢ / ٢٠٨ .

(٣) المفردات فى غريب القرآن ص ١٢١ .

الغافـــلات : اى عن الفواحش وعن التقيات القلوب اللاتى لا يفكرن فـى فعلها .

لعنوا فى الدنيا والآخرة : (اللعن الطرد والابعاد من الخير وبابه قطع و(اللعنه) الاسم والجمع (لعان) و(لعنات)[1] .
والمراد به هنا الحد ، يعنى حدوا فى الدنيا وعذبـــوا فى الآخرة[2] وللامام القرطبى تفصيل سنذكره قريبا عنــــــد تفسير الايه .

المعـــــنى :

يهدد الله ــ تعالى ــ الذين يشيعون الفاحشة فى الذين امنـــــوا فيقول (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيـــا والآخرة ولهم عذاب عظيم) .

أى ان الذين يقذفون المحصنات العفيفات الطاهرات الغافلات عــــن الفواحش وعن التفكير فيها المؤمنات بالله ورسوله لهم الخزى فى الدنيـــــا باقامة الحد عليهم ولهم فى الآخرة عذاب اليم شديد .

وقد فصل العلماء القول فى المراد بقوله (لعنوا فى الدنيا والآخـــرة)

قال القرطبى :

قال العلماء : ان كان المراد بهذه الايه المؤمنين من القذفه فالمراد

---

(١) مختار الصحاح ص ٥٩٦ .

(٢) اصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم ص ٤١٦ .

باللعنة الابعاد وضرب الحد واستيحاش المؤمنين منهم وهجرهم لهم ، وزوالهم عن رتبة العدالة والبعد عن الثناء الحسن على السنة المؤمنين .

وعلى قول من قال نزلت في عائشة (خاصة) تترتب هذه الشدائد في جانب عبد الله بن أبي وأشباهه (1) .

وفصل الامام الطبري القول في المراد بالمحصنات فقال :

وأختلف أهل التأويل في المحصنات اللاتي هذا حكمهن ، فقال بعضهم :

١ ـ انما ذلك لعائشة خاصة ، وحكم من الله فيها وفيمن رماها دون سائر نساء امة نبينا صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ وقال آخرون : نزلت هذه الآية في شأن عائشة ، وعنى بها كل من كان بهذه الصفة التي وصف الله في هذه الآية ، قالوا : فذلك حكم كل من رمى محصنة ، لم تقارف سوءا .

٣ ـ وقال آخرون : نزلت هذه الآية في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة فأوجب الجلد وقبل التوبة .

وأولى الاقوال عندى بالصواب ، قول من قال نزلت هذه الآية في شأن عائشة والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصف الله بها فيها . وقال ابن كثير (2) :

وأختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح ويعضد العموم ماجاء في الصحيحين

---

(١) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٠٩ .

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ١٠٣ .

من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(اجتنبوا السبع الموبقات قيل وماهن يارسول الله ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .(١)

هذا وقد أجمع العلماء على ان حكم المحصنين فى القذف كحكم المحصنات قياسا واستدلالا .(٢)

وقوله تعالى : " يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بماكانوا يعملون " (٢٤)

بيان لسوء عاقبتهم يوم الحساب .

أى ولهم ذلك العذاب العظيم يوم يجحدون ماأكتسبوا فى الدنيا من الذنوب حين سؤالهم عنها ، فتشهد عليهم ايديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون من قول أو فعل ، اذ ينطقها الله بقدرته .

وشبيهه بهذه الآية قوله تعالى : " وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون " .(٣)

وقوله تعالى : " اليوم نختم على أفواهم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بماكانوا يكسبون " .(٤)

---

(١) صحيح البخارى — كتاب الوصايا — باب قوله تعالى " ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما " ٤ / ١٢ ، وفتح البارى ٥ / ٣٩٣ ، وصحيح مسلم — كتاب الايمان — باب الكبائر واكبرها ١ / ٩٢ ، وانظر تفسير ابن كثير ٣ / ٢٧٧ .

(٢) تفسير القرطبى ١٢ / ٢٠٩ .

(٣) سورة فصلت ، آية ٢١ .

(٤) سورة يس ، آية ٦٥ .

أخرج الامام مسلم فى صحيحه من حديث أنس بن ملك : قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فضحك فقال :

(هل تدرون مم أضحك) ؟

قال : قلنا : الله ورسوله أعلم .

قال : من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم ؟ قال يقول : بلى . قال فيقول فانى لا أجيز على نفسى الا شاهدا منى .

قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا . قال : فيختم على فيه فيقال لاركانه أنطقى فتنطق ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل .(١)

وقوله تعالى " يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين " (٢٥) دينهم : المراد بها هنا عقابهم وحسابهم . والآية بيان للعقاب العادل الذى عاقب الله — تعالى — به هؤلاء الذين يرمون المحصنات .

أى وفى هذا اليوم الهائل الذى يوفيهم الله فيه جزاءهم العادل على أعمالهم ، ويعلمون حينئذ أن ماكانوا يوعدون به فى حياتهم الدنيا من العذاب هو الحق الذى لا شك فيه .

---

(١) صحيح مسلم — كتاب الزهد والرقائق : ٤ / ٢٢٨٠ ، رقم الحديث ١٧ — ٢٩٦٩ .

ثم بين — سبحانه — سنته الالهية الجارية فى الكون فقال تعالى :

" الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون ، لهم مغفرة ورزق كريم " (٢٦)

للعلماء فى تفسير هذه الآية قولان :

أحدهما : قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم :

الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء .

والقول الثانى : قول عبد الله بن عباس — رضى الله عنه — الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثين من القول .

والطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول .(١)

وأختار هذا القول ابن جرير الطبرى فقال :

وأولى هذه الاقوال فى تأويل الآية ، قول من قال : عنى بالخبيثات الخبيثات من القول ، وذلك قبيحه وسيئه للخبيثين من الرجال والنساء .

والخبيثون من الناس للخبيثات من القول ، هم بها أولى ، لأنهم أهلها .

والطيبات من القول ، وذلك حسنه وجميله للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول لأنهم أهلها وأحق بها .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٧٨ .

وأنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية ، لأن الأيات قبلها انما جاءت بتوبيخ الله للقائلين فى عائشة الافك ، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات واخبارهم ما خصهم به على افكهم ، فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالافك من الرامى والمرمى به ، أشبه من الخبر عن غيرهم .(1)

(اولئك مبرءون مما يقولون)

أى هم بعداء عما يقوله أهل الافك والعدوان . (لهم مغفرة ، أى بسبب ما قيل فيهم من الكذب (ورزق كريم) أى عند الله فى جنات النعيم .

قال ابن كثير :

وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة .(٢)

وبهذه الآية الكريمة ختم الحديث عن الافك .

قال ابن الديبع الشافعى(٣) :

(فائدة فى توضيح أوجه المناسبة بين نزول " سورة المنافقون " وحديث الافك .

لا يخفى أن بين حديث نزول " سورة المنافقون " وحديث الافك مناسبة من وجوه منها :

* انهما وقعا فى الرجوع من غزوة واحدة .

---

(١) تفسير الامام الطبرى ١٨/١٠٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٢٧٨ .

(٣) هو عبد الرحمن بن على بن محمد الشيبانى الزبيدى الشافعى ، وجيه الدين " المعروف بابن الديبع " ، ٨٦٦ — ٩٤٤ هـ ، مؤرخ ، محدث من أهل زبيد من اليمن ولد وتوفى فيها .

ومنها :

* ان سورة المنافقون فى براءة " زيد بن أرقم " عن الأفك " وهـــــو الكذب المتهم به .

وحديث " الافك " فى براءة " عائشة " عما قذفت به . (1)

(١) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار ٢/ ٥٧٥ .

((أهم الآداب والأحكام التى تؤخذ من آيات الافك))

هذا وقد أخذ العلماء من هذه الآيات الكريمة التى نزلت فى حادثة الافك أحكاما وآدابا من أهمها مايأتى :—

١ — تبرئة السيدة الحصان عائشة رضى الله عنها من الافك بقرآن يتلى الى آخر الزمان ، قال تعالى " ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم " الآية .

٢ — ان حكمة الله — تعالى — اقتضت أن ينزع الخير من ثنايا الشر ، فقد كان ابتلاء اسرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بحديث الافك خيرا لهم حيث كتب لهم الأجر العظيم على صبرهم وقوة ايمانهم ، قال تعالى (لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم . . الآية " .

٣ — الحرص على سمعة المؤمنين ، وعلى حسن الظن فيما بينهم . قال تعالى " لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين " .

٤ — تكذيب القائلين بالافك ، قال تعالى " لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأؤلئك عند الله هم الكاذبون " .

٥ — بيان فضل الله على المؤمنين ورأفته بهم " ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة . . الآية " .

٦ — وجوب التثبت من الاقوال قبل نشرها والتأكد من صحتها ، قال تعالى " ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم " .

٧ — النهى عن اقتراف مثل هذا الذنب العظيم أو العودة اليه ، قال تعالى : " يعظكم الله أن تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم " .

٨ - النهى عن اشاعة الفاحشة بين المؤمنين ، قال تعالى : " ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين أمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون " .

٩ - بيان فضل الله - سبحانه - على عباده المؤمنين ورأفته بهم وكرر ذلك تأكيدا له ، قال تعالى : " ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم " .

١٠- النهى عن تتبع خطوات الشيطان التى تؤدى للهلاك قال تعالى : " يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم " .

١١- الحث على النفقة على الأقارب وان أساءوا . قال تعالى : " ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم " .

١٢- غيرة الله - تعالى - على عباده المؤمنين الصادقين ، ودفاعه عنهم وتهديده لمن يرميهم بالفحشاء باللعن فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : " ان الذين يرمون المحصنات الغافلات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين " .

ورحم الله صاحب الكشاف فقد قال عند تفسيره لهذه الآيات :

ولو قلبت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاه لم تر الله قد غلظ فى شئ تغليظه فى افك عائشة رضوان الله عليها ، ولا أنزل من

الآيات القوارع ، المشحونه بالوعيد الشديد ، والعقاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام ماركب من ذلك ، واستفظاع ماأقدم عليه ، مـــا انزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة ، كل واحد منها كاف فـــى بابه . ولو لم ينزل الا هذه الآيات الثلاث " ان الذين يرمـــون المحصنات " . . . الى قوله " هو الحق المبين " لكفى بها حيـــث جعل القذفة ملعونين فى الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيـم فى الآخرة ، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكـوا وبهتوا ، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الذى هم أهله (١) .

١٣ـ بيان سنة من سنن الله الجارية فى الكون وهى أن الطيبين يجعلهم الله من نصيب الطيبات والطيبات يجعلهن من نصيب الطيبين . قـــال تعالى : " الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اؤلئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم " .

١٤ـ والناس عند ما رميت الصديقه بنت الصديق بالافك كانوا أربعة أقسام :

* قال فضيلة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد ـ عند تعليقـــه على حديث يتعلق بقصة الافك : (ان الناس عند مارميت الصديقـــة بنت الصديق بالافك كانوا أربعة أقسام :

قسم وهم أكثر الناس ، حموا أسماعهم وألسنتهم فسكتوا ولم ينطقوا الا بخير ولم يصدقوا ولم يكذبوا .

وقسم سارع الى التكذيب وهو أبو أيوب الأنصارى وأم أيوب رضى الله عنهما فقد وصفوه عند سماعه بأنه افك وبرءوا عائشة مما نسبت اليه فـــى الحال .

---

(١) تفسير الكشاف ٣/٢٢٣ .

أما القسم الثالث فكانوا جملة من المسلمين لم يصدقوا ولم يكذبوا ولم ينفوا . ولكنهم يتحدثون بما يقول أهل الافك وهم يحسبون أن الكلام بذلك أمر هين لا يعرضهم لعقوبة الله لأن ناقل الكفر ليس بكافر وحاكي الافك ليس بقاذف ومن هؤلاء حمنة بنت جحش وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثه .

أما القسم الرابع فهم الذين جاءوا بالافك وعلى رأس هؤلاء عدو الله عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين لعنة الله وهو الذى تولى كبره .

وقد أشار الله عز وجل الى فضل القسم الثانى من هذه الأقسام وأنه كان ينبغى لجميع المسلمين أن يقفوا هذا الموقف فقال : " لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين " .

أما القسم الثالث فقد أشار الله عز وجل الى أنه ماكان ينبغى لهم أن يتحدثوا بمثل هذا الحديث حيث يقول : " اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم " .

وقد اثبت الله عز وجل لأهل هذا القسم فضائلهم التى عملوها حيث أثبت لمسطح هجرته وايمانه عندما حلف أبو بكر أنه لن ينفق على مسطح ولن يتصدق عليه وهو من ذوى قرابته فقال عز وجل " ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم " .

أما القسم الرابع وهو جماعة عبد الله بن أبى الذين جاءوا بالافـــــك واخترعوا هذا الكذب فقد أشار الله الى موتهم على الكفر ، وأنه لن يقبل منهم توبة ، وأنه أنزل عليهم لعنته فى الدنيا والآخرة حيث قال : " ان الذيـــن يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيـم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يومئذ يوفيهـم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين " (١) .

---

(١) فقه الاسلام ٩/٥ .

((تفسير آية الحجرات))

وهى قوله تعالى :

" ياأيها الذين أمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين " . آية ٦ من سورة الحجرات .

فاسق : الفسق الخروج عن الطاعة ، من قولهم : فسق الرطب فسوقا — من باب قعد — اذا خرج عن قشره .

ويقع بالقليل والكثير من الذنوب ، ولكن تعورف فيما كان كثيرا وهو أعم من الكفر ، فيقال للعاصى : فاسق ، وللكافر : فاسق ، لخروجه عما ألزمه العقل واقتضته الفطرة .(١)

بنبأ : النبأ هو الخبر المهم .

أن تصيبوا : تعليل للأمر بالتبين أى فتبينوا كراهة أن تصيبوا أو لئلا تصيبوا .

بجهالة : أى متلبسين بجهالة لحالهم .

سبب النزول :

ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت فى الوليد بن عقبه بن أبى معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بنى المصطلق .(٢)

وقد روى هذا السبب من ثلاثة طرق مرفوعة ، وهى حديث الامام أحمد فى قدوم الحارث ابن أبى ضرار المدينة واسلامه(٣) ، وحديث أم سلمة رضى الله عنها(٤)

---

(١) تفسير صفوة البيان لمعانى القرآن ١ / ٢٢ .

(٢) انظر على سبيل المثال تفسير الطبرى ٢٦ / ١٢٣ ، وتفسير ابن كثير ٤ / ٢٠٨ .

(٣) مسند الامام أحمد ٤ / ٢٧٩ .

(٤) انظر تفسير الطبرى ٢٦ / ١٠٣ .

وحديث ابن عباس رضى الله عنهما (١) ،كما ورد من خمس طرق مرسلة (٢) .

قال ابن كثير : ومن أحسنها ماروا‌ه الامام أحمد في مسنده (٣) عن الحرث ابن أبى ضرار الخزاعى قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى الى الاسلام فدخلت فيه وأقررت به .

ودعانى الى الزكاة فأقررت بها وقلت يارسول الله أرجع اليهم فأدعوهم الى الاسلام واداء الزكاة فمن استجاب لى جمعت زكاته ــ وترسل الى يارسول الله رسولا ابان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليه ءاحتبس عليه الرسول ولم يأته ، وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لى وقتا يرسل الى رسوله ليقبض ماكان عندى من الزكاة وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف ولا أرى حبس رسوله الا من سخطه .

فانطلقوا بنا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبه حتى بلغ بعض الطريق فرق ــ أى خاف ــ فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الحارث قد منعنى الزكاة وأراد قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث البعث الى الحارث رضى الله عنه .وأقبل الحارث بأصحابه حتى اذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) راجع مرويات غزوة بنى المصطلق : من ١١٩ الى ١٣٥ .

(٣) وصفه الامام السيوطى (فى أسباب النزول : ص ١٩٦) بأن سنده جيد .

فلما غشيهم قال لهم الى من بعثتم ؟ قالوا اليك . قال ولم ؟ قالوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله .

قال رضى الله عنه : لا والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق مارأيته بتة ولا أتانى فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " منعت الزكاة وأردت قتل رسولى " قال : لا والذى بعثك بالحق مارأيته ولا أتانى وماأقبلت الا حين احتبس على رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله . قال فنزلت الحجرات :

يا أيها الذين أمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ ـ الى قوله ـ حكيم " .(١)

والحديث حسن لغيره .(٢)

وقد ذكر الامام الرازى توجيها جيدا للاستدلال بهذا الحديث فقال : ـ ماذكره المفسرون من أن هذه الآية نزلت فى الوليد بن عقبة حين بعث الى بنى المصطلق ... الخ .

ان كان مرادهم أن الآية نزلت عامة لبيان وجوب التثبت من خبر الفاسق ، وانها نزلت فى ذلك الحين الذى وقعت فيه حادثة الوليد فهذا جيد .

وان كان غرضهم أنها نزلت لهذه الحادثة بالذات فهو ضعيف ، لأن الوليد لم يتقصد الاساءة اليهم ، وحديث احمد يدل على أن الوليد خاف وفرق

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٠٩ ، وانظر مسند الامام أحمد ٤/٢٧٦ .

(٢) مرويات غزوة بنى المصطلق ص ١٣٥ .

حين رأى جماعة الحارث وقد خرجت فى انتظاره ـ فظنها خرجت لحربه فرجع وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخبره ظنا منه أنهم خرجوا لقتاله . . . الى أن قال : ويتأكد ماذكرنا أن اطلاق لفظ (الفسق) على الوليد شىء بعيد لأنه توهم وظن فأخطأ والمخطئ لا يسمى فاسقا .(١)

المعنى :

يأمر الله ـ تعالى ـ عباده المؤمنين بالتثبت فى خبر الفاسق والتأكد من صدق قوله وعدم الاستعجال فى الحكم احتياطا فقد يكون كاذبا فى قوله أو مخطئا فاذا أخذ المؤمنون بقوله وقعوا حينئذ فى الخطأ والظلم .

وقوله " فتصبحوا على مافعلتم نادمين " أى بسبب استعجالكم واخذكم بقوله بلا تثبت أو روية .

ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه فى نفس الأمر .

وقبلها آخرون لأن انما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لانه مجهول الحال .(٢)

ومناسبة تفسيرى لهذه الآية هنا ، ذلك لأن سبب نزولها يتعلق بزكاة بنى المصطلق فذكرتها هنا لاتمام الفائدة .

---

(١) تفسير الرازى ٢٨ / ١١٩ ، وانظر روائع البيان تفسير آيات الاحكام للصابونى ٢٠ / ٤٧٦ ، فالعبارة بتصرف .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٠٨ .

الباب الثالث

حديث القرآن عن غزوة الأحزاب

الباب الثالث

الفصل الأول

غزوة الأحزاب من خلال كتب السيرة والتاريخ

((الفصـــل الأول))

:: غزوة الأحزاب من خلال كتب السيرة والتاريـــــخ ::

وقد كانت فى شوال من السنة الخامسة من الهجرة على القول الراجـــح (1) ،

وكلامنا عن هذه الغزوة يتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : متى وقعت هذه الغزوة ؟ وما أسبابها ؟

المبحث الثانى : أحداث غزوة الأحزاب .

المبحث الثالث : نتائج هذه الغزوة .

---

(١) انظر ص ٢٣٤ .

((المبحث الأول))

:: متى وقعت هذه الغزوة ؟ وما أسبابها ؟

*

*   *   *

((المبحث الأول))

:: متى وقعت هذه الغزوة ؟ وما أسبابها ؟ ::

١ — ذهب جمهور أهل السير والمغازى على أن غزوة الاحزاب كانت فى شهر شوال من السنة الخامسة .

وقد ذهب الى هذا القول ابن سعد فى طبقاته[١] وابن اسحاق فى سيرة ابن هشام[٢] والواقدى فى مغازيه[٣] وابن كثير فى السيرة النبوية[٤] والطبرى فى تاريخه[٥] والذهبى فى كتابه التاريخ الكبير[٦] وابن القيم فى زاد المعاد[٧] .

قال ابن سعد :

ثم غزا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم الخندق ، وهى غزوة الاحزاب فى ذى القعدة سنة خمس من مهاجره[٨] .

وقال ابن كثير : والصحيح قول الجمهور : أن أحدا فى شوال سنة ثلاث وأن الخندق فى شوال سنة خمس[٩] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ٦٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٥٣ .

(٣) مغازى الواقدى ٢ / ٤٤٠ ، ٤٤١ .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ١٨٠ .

(٥) تاريخ الطبرى ٢ / ٥٦٢ ، ٥٦٤ .

(٦) التاريخ الكبير للذهبى ١ / ٢٦٠ .

(٧) زاد المعاد لابن القيم ٢ / ٢٨٦ .

(٨) طبقات ابن سعد ٢ / ٦٥ .

(٩) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ١٨١ .

٢ — وذهب طائفة من العلماء على أنها فى السنة الرابعة . منهم : الامام مالك بن أنس (١) والامام ابن حزم (٢) ، وموسى بن عقبة والامام البخارى (٣) ، وابن (٤) قتيبة (٥) والامام النووى (٦) وغيرهم .

قال موسى بن عقبة فى مغازيه (٧) :

كانت فى شوال سنة أربع ونقل عنه الامام البخارى هذا القول وذهب اليه (٨) .

وقال الامام ابن حزم :

ذكر أصحاب المغازى ان الخندق كانت سنة خمس من الهجرة ، والثابت أنها فى الرابعة بلا شك . لحديث عبد الله بن عمر : قال : عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وأنا ابن أربع عشرة سنة ، فردنى ، ثم عرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ١٨٠ .

(٢) جوامع السيرة لابن حزم ، ص ١٨٥ .

(٣) فتح البارى ٥ / ٢٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ٧ / ٣٩٣ .

(٥) المعارف لابن قتيبة ص ٧٠ .

(٦) شرح صحيح مسلم للنووى ١٣ / ١٢ .

(٧) نقلا عن ابن حجر (انظر فتح البارى) ٧ / ٣٩٣ .

(٨) صحيح البخارى — كتاب المغازى — باب غزوة الخندق ٥ / ١٣٧ .

فأجازني . رواه البخاري[1] ومسلم[2] وأبو داود[3] والترمذي[4] والنسائي[5] وابن ماجه[6] .

فصح أن بينهما سنة واحدة[7] .

٣ ـ وقد حاول البيهقي الجمع هذه الاقوال فقال :

قلت لا اختلاف بينهم في الحقيقة وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل يوم بدر لسنة ونصف من مقدمه المدينة في شهر رمضان ثم قاتل يوم احد من السنة القابلة لسنتين ونصف من مقدمه في شوال ثم قاتل يوم الخندق بعد احد بسنتين رأس أربع سنين ونصف من مقدمه المدينة فمن قال سنة أربع أراد بعد أربع سنين ونصف قبل بلوغ الخمس ومن قال سنة خمس أراد بالدخول في السنة الخامسة وقبل انقضائها والله أعلم[8] .

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب الشهادات ـ باب بلوغ الصبيان وشهادتهم ٢٣٢/٣ ، وكذلك في كتاب المغازي (باب غزوة الخندق) ١٣٧/٥ .

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الاماره ـ باب بيان سن البلوغ ١٤٩٠/٣ .

(٣) سنن أبو داود ـ كتاب الخراج والامارة والفئ ـ باب متى يفرض للرجل في المقاتلة ١٣٧/٣ . وكذلك في كتاب الحدود ـ باب في الغلام يصيب الحد ١٤١/٣ .

(٤) سنن الترمذي ـ كتاب الجهاد ـ باب ماجاء في حد بلوغ الرجل ومتى يفرض له ١٦١/٤ ، وكذلك في ابواب الاحكام ـ باب ماجاء في بلوغ الرجل والمرأة ٦٤١/٣ .

(٥) سنن النسائي ـ كتاب الطلاق ـ باب متى يقع طلاق الصبي ١٥٥/٦

(٦) سنن ابن ماجه ـ كتاب الحدود ـ باب من لا يجب عليه الحد ٨٥٠/٢

(٧) جوامع السيرة لابن حزم ص ١٨٥ .

(٨) مرويات غزوة الخندق ص ٥٠ ، نقلا عن دلائل النبوة ١٢٢/٢ل ب .

وقد رجح الامامان المحققان ابن القيم وابن حجر على أنها فى السنة الخامسة من الهجرة معتمدين على تأويل الامام البيهقى :

قال ابن القيم :

وكانت سنة خمس من الهجرة فى شوال ، على أصح القولين اذ لا خلاف أن احدا كانت فى شوال سنة ثلاث ، وواعد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل ، وهو سنة أربع ، ثم أخلفوه لاجل جدب تلك السنة ، فرجعوا فلما كانت سنة خمس جاءوا لحربه هذا قول أهل السير والمغازى .

ورد استدلال الامام ابن حزم بحديث ابن عمر فقال :

وأجيب عن هذا بجوابين :

١ — أن ابن عمر أخبر : أن النبى صلى الله عليه وسلم رده لما استصغره عن القتال ، وأجازه لما وصل الى السن التى راه مطيقا وليس فى هذا ماينفى تجاوزها بسنة او نحوها .

٢ — أنه لعله كان فى أحد فى أول الرابعة عشرة ، ويوم الخندق فى آخر الخامسة عشرة .(1)

وقال ابن حجر :

بعد أن ذكر رأى موسى بن عقبة وحديث ابن عمر ؛ (لا حجة فيه ، اذ ثبت أنها سنة خمس ، لاحتمال أن يكون ابن عمر فى احد كان أول ما طعن فى الرابعة عشر وكان فى الاحزاب قد استكمل الخمس عشرة ، وبهذا

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ٢/٢٨٨ .

أجاب البيهقى ، ويؤيد قول ابن اسحاق أن أباسفيان قال للمسلمين لما رجع من احد : موعدكم العام المقبل ببدر فخرج النبى صلى الله عليه وسلم من السنة القابلة الى بدر.

فتأخر مجئ ابى سفيان تلك السنة للجذب الذى كان حينئذ وقال لقومه انما يصلح الغزو فى سنة الخصب ، فرجعوا بعد أن وصلوا الى عسفان أودونها ، ذكر ذلك ابن اسحاق وغيره من أهل المغازى .

وقد بين البيهقى سبب لاختلاف ، وهو أن جماعة من السلف كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذى وقع بعد الهجرة ، ويلغون الأشهر التى قبل ذلك الى ربيع الأول وعلى ذلك جرى يعقوب بن سفيان فى تاريخه ، فذكر أن غزوة بدر الكبرى كانت فى السنة الأولى ، وأن غزوة احد كانت فى السنة الثانية ، وأن الخندق كانت فى الرابعة ، وهذا عمل غير صحيح على ذلك البناء ، لكنه بناء واهٍ مخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة .

وعلى ذلك تكون بدر فى الثانية واحد فى الثالثة والخندق فى الخامسة وهو المعتمد (١) .

٤ — هذا والذى ارجحه هو قول الجمهور — القائل بأنها سنة خمس من الهجرة — لما يأتى :

---

(١) فتح البارى : ٣٩٣/٧ .

١ــ أن عامة أهل المغازى والسير قالوا به ، فهذا من المرجحات على صحته فهم أعلم بهذا الفن من غيرهم .

٢ــ قول المحققين من المؤرخين ــ أمثال ابن القيم وابن كثير وابن حجر على أنها فى السنة الخامسة من الهجرة ــ يقوى هذا الرأى ويجعله راجحا على غيره .

٣ــ نرد على استدلال الامام ابن حزم بحديث عبد الله بن عمر باجابة الامام البيهقى ، وهو توجيه سديد قد أخذ به الامام ابن القيم وابن كثير وابن حجر .

أما أسباب هذه الغزوة فمن أهمها :

أن يهود بنى النضير بعد أن خرجوا من المدينة الى خيبر ، خرجوا وهم يحملون معهم أحقادهم على المسلمين فما أن استقروا بخيبر حتى أخذوا يرسمون الخطط للانتقام من المسلمين .

فاتفقت كلمتهم على التوجه الى القبائل العربية المختلفة لتحريضها على حرب المسلمين وكونوا لهذا الغرض الخبيث وفدا يتكون من سلام بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وهوذه بن قيس الوائلى وابو عمار الوائلى (1) .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٥٣ ، وانظر ص ٥٢ .

وقد نجح الوفد نجاحا كبيرا فى مهمته ، حيث وافقت قريش وغطفان ومن تابعهما على الاتحاد جميعا لغزو المدينة ليكون لهم النصر المبين وكسر شوكة المسلمين .

ولم يعد وفد خيبر من رحلته الا وهو على رأس عشرة آلاف مقاتل — أربعة الاف من قريش واحلافها ، وستة آلاف من غطفان وأحلافها — وقد نزلت تلك الاعداد الهائلة بالقرب من المدينة (1) .

والمطالع لكتب السيرة والمغازى يراهم قد أطبقوا جميعا على ذكر هذا السبب لهذه الغزوة .

وهكذا نرى المسلمين ماأن خرجوا من محنة الافك التى أذاعها المنافقون حتى واجهوا الكيد العلنى من كل من المشركين واليهود والمنافقين وهذا ماسنفصله فى المباحث التالية .

أما سبب تسميتها بغزوة الأحزاب :

فذلك لاجتماع طوائف المشركين على حرب المسلمين وعلى رأسهم قريش وغطفان ومعهم اليهود .

وأما تسميتها بغزوة الخندق : فلأجل الخندق الذى حفر حول المدينة بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(1) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٦٢ .

((المبحث الثانى))

:: أحداث غزوة الأحــــزاب ::

((المبحث الثانى))

:: أحداث غزوة الأحزاب ::

غزوة الأحزاب من أهم الغزوات التى خاضها النبى صلى الله عليه وسلم وخاضها المسلمون معه . فقد كانت معركة حياة أوموت .

وكان المسلمون فيها على خطر كبير من جموع الأحزاب . ولكن الله سلم وصرف الله الاحزاب وكفى الله المؤمنين القتال .

وسأذكر ان شاء الله أحداث هذه الغزوة(1) بتسلسل منظم يجلو للقارئ حقيقة هذه الغزوة موضحا ومرتبا أحداثها حسب ترتيبها فى الوقوع .

وسنتكلم ان شاء الله فى الموضوعات الآتية :—

ماحدث قبل المعركة :

أولا : استعداد المسلمين لملاقاة الأحزاب .

ثانيا : بيان كيفية حفر الخندق وماصاحبه من أحداث . (مع بيان طوله ، ومدته ، وعرضه) .

ثالثا : وصول جيوش الأحزاب الى المدينة .

رابعا : مفأجاة الأحزاب بالخندق وضربهم الحصار على المدينة .

سير المعركة وأحداثها :

لكثرة أحداثها وطول زمان هذه الغزوة فانى سأقسمها على ثلاث مراحل

---

(١) قد سرت فى ترتيب الحوادث على منهج أهل السير والمغازى خاصة الامام ابن كثير .

المرحلة الأولى : (ازدياد قوة الأحزاب وضعف موقف المسلمين) :

أولا : نقض بنو قريظة للعهد ومحاولة ضرب المسلمين من الخلف .

ثانيا : تشديد الحصار على المسلمين .

ثالثا : انسحاب المنافقين من الجيش الاسلامي ونشر آرجيفهم بين المسلمين .

رابعا : محاولة الرسول صلى الله عليه وسلم تخفيف الحصار بعقد صلح مع غطفان .

المرحلة الثانية : (اقتحام بعض المشركين الخندق — وتكرار محاولة العبور — وتأزم الموقف بالنسبة للمسلمين) :

أولا : الالتحام بكوكبة من الفرسان ومقتل فارس قريش .

ثانيا : تكرار محاولة عبور الخندق — وتشديد الحصار على منزل النبى صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : اشتداد الكرب ودعائه صلى الله عليه وسلم على الأحزاب .

المرحلة الثالثة : (تغير الموقف لصالح المسلمين كمايلى) :

أولا : موقف نعيم بن مسعود .

ثانيا : وقوع الخلاف الشديد بين اليهود والأحزاب .

ثالثا : اشتداد الريح الباردة ونزول الملائكة .

نهاية المعركة :

* كيفية فك الحصار وانسحاب الاحزاب .

سير النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة وذكر ماحدث فيها (بايجاز) .

* أحداث غزوة بنى قريظة .

:: ماحدث قبل المعركة ::

أولا : استعداد المسلمين لملاقاة الأحزاب :

١ — سبق أن ذكرنا ان اليهود خططوا لتجميع جموع الاحزاب لقتال المسلمين وقد نجحوا فى ذلك .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان . وخرجت غطفان وقائدها عينه بن محصن فى بنى فزارة . والحارث بن عوف بن أبى حارثة فى بنى مرة ومسعود بن رخيلة فى بنى أشجع وطليحه بن خويلد فى بنى أسد .

وقد تولى قيادة جموع الأحزاب أبو سفيان وكان عددهم عشرة الاف مقاتل ، بينما كان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف فقط وكان قصدهم احتلال المدينة .

٢ — ولما سمع بهم النبى صلى الله عليه وسلم وبما أجمعوا عليه اجتمع بأصحابه للمشورة .

وقد أشار الصحابى الجليل سلمان الفارسى على النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (يارسول الله ، انا كنا بأرض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا) .

وأعجب النبى صلى الله عليه وسلم بفكرة سلمان رضى الله عنه وأمر المسلمين بالشروع فى حفر الخندق (وسنفصل ذلك بعد قليل) .

٣ — نظم المسلمون أنفسهم بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك كمايلى :

أ — وضع الاطفال والنساء فى الحصون المنيعة فى المدينة . وقد وضع النبى صلى الله عليه وسلم زوجاته وأهل بيته فى أحصنها وهو حصن بنى حارثه .

ب — جعل المسلمون جبل سلع خلفهم وعسكروا هناك .

ثانيا : بيان كيفية حفر الخندق وماصاحبه من أحداث :

١ ــ بدأ المسلمون فى حفر الخندق فى ليال شاتية وكان المسلمون فى ضيق وضنك من العيش .

وكان طول الخندق لا يقل عن خمسة الاف ذراع[(١)] وعرضه حوالى ثلاثة امتار[(٢)].

وقد وزع الرسول صلى الله عليه وسلم العمل على المهاجرين والانصار بحيث لكل عشرة منهم أربعون ذراعا[(٣)].

واستمر العمل فيه ستة أيام[(٤)] كان المسلمون يعملون فيه نهارا فاذا جاء الليل آووا الى دورهم . وقد أشرف النبى صلى الله عليه وسلم على الحفر بنفسه وحمل التراب معهم . وأمر المؤمنين الا يغادر أحد منهم مكانه الا بأذن منه ، لكن المنافقين كانوا يتسللون خفية من اماكن العمل ويذهبون الى منازلهم .

والى ذلك اشار القرآن الكريم بقوله : " انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه ان الذين يستئذنوك اولئك يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم ان الله غفور رحيم(٦٢) ، لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم (٦٣) "[(٥)]

---

(١) غزوة الاحزاب لمحمد احمد باشميل ص ١٧٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الرسول القائد ص ١٥٠ .

(٤) قال القسطلانى فى المواهب اللدنية (١ / ١١٢) :

وقد وقع عند موسى بن عقبة أنهم أقاموا فى عمل الخندق قريبا من عشرية ليلة وعند الواقدى اربعا وعشرين ليلة . وعند النووى فى الروضة خمسة عشر يوما . وعند ابن القيم فى الهدى النبوى شهرا . أهـ وذهب ابن سعد فى الطبقات ٢ / ٦٧ أنهم فرغوا من حفره فى ستة أيام .

(٥) الآيتان من سورة النور .

وهذه الآيات ساقها ابن هشام[1] وغيره للاستدلال على الفريقين . لكنها عامة في الاستئذان سواء في الحرب أو في السلم .

وهي في الحقيقه نزلت كما قال ابن كثير في الذين يستأذنون في الخروج الى الجمعة .[2]

٢ — وقد أشار سلمان الفارسي — رضى الله عنه — أن يحفر الخندق في المنطقة الشمالية للمدينة المنورة وذلك يرجع لأن المدينة محصنة طبيعيا من ثلاث جهات .

الجهة الشرقية : وفيها حرة واقم (وتسمى اليوم بالحرة الشرقية) ومن الناحية الغربية : توجد حرة الوبرة (وتسمى اليوم بالحرة الغربية) ، ومن الناحية الجنوبية : محصنة بالحرة وجبل عير .

والمنطقة المفتوحة : هي المنطقة الشمالية وهي الواقعة مابين جبل احد وحرة الوبرة . لذلك فقد حفر الخندق فيها .

وقد حفرت كذلك خنادق جزئية ثانوية يرتبط بعضها ببعض تمتد من طرف الخندق الرئيسي عند الطرف الغربي لجبل سلع وتتجه جنوبا حتى مجمع وادى بطحان ورانونا بحيث تجوء هذه الخنادق المترابطة خلف المسجد النبوي من الناحية الغربية .[3]

٣ — وقد أوضحت الاحاديث النبوية جوانب عديدة عن طريقة حفر المسلمون للخندق نذكرها فيما يلي :

أ — برودة الطقس وقت حفر الخندق :

جاء في صحيح البخاري[4] ومسلم[5] — واللفظ للبخاري — من حديث أنس رضى الله عنه قال :

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٥٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٠٦ .

(٣) غزوة الاحزاب لمحمد احمد باشميل ص ١٥٠ .

(٤) صحيح البخاري — كتاب المغازي — باب غزوة الخندق ٥ / ١٣٧ ، وانظر فتح الباري ٧ / ٣٩٢ .

(٥) صحيح مسلم — كتاب الجهاد والسير — باب غزوة الاحزاب ٣ / ١٤٣١ .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق ، فاذا المهاجرون والانصار يحفرون فى غداة باردة ، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى مابهم من النصب والجوع قال : (اللهم ان العيش عيش الآخرة فأغفر للأنصار والمهاجرة) .

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا .... على الجهاد مابقينا ابدا

ب ـ اعتراض صخرة كبيرة فى الخندق وشدة الفاقة بين المسلمين :

روى البخارى (١) ومسلم (٢) من حديث جابر رضى الله عنه ـ واللفظ للبخارى ـ قال : انا يوم الخندق نحفر فعرضت كيدة (٣) شديدة ، فجاءوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كدية (٤) عرضت فى الخندق فقال : أنا نازل . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فى الكدية ، فعاد كثيبا أهيل أو أهيم (٥) .

فقلت يارسول الله ائذن لى الى البيت . فقلت لامرأتى : رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم شيئا ماكان فى ذلك صبر ، فعندك شئ ؟

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب المغازى ـ باب غزوة الخندق ٥/١٣٨ ، وانظر فتح البارى ٧/٣٩٥ .

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الأشربه ـ باب جواز استتباعه غيره الى دار من يثق برضاه ، واستحباب الاجتماع على الطعام ٣/١٦١٠ . وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/٢١٥ .

(٣) كيده : بفتح الكاف وسكون التحتانية هى القطعة الشديدة الصلبة من الأرض . فتح البارى ٧/٣٩٦ .

(٤) كديه : (بضم الكاف وتقديم الدال المهملة على التحتانية) هى القطعة الصلبة ، وفى رواية أحمد عن وكيع عن عبد الواحد بن أيمن (وههنا كدية من الجبل) . فتح البارى ٧/٣٩٦ .

(٥) فعاد كثيبا أهل اواهيم : المعنى انه صار رملا يسيل ولا يتماسك وقوله " أواهيم) شك من الراوى أى المراد الرمال التى لا يرويها الماء فتح البارى ٧/٣٩٧ .

فقالت : عندي شعير وعناق[(١)] . فذبحت العناق ، وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم بالبرمة[(٢)] . ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر ، والبرمة بين الأثافي[(٣)] قد كانت تنضج ، فقلت : طعيم لي ، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال كم هو ؟ فذكرت له ، فقال كثير طيب .

قال : قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي .

فقال : قوموا . فقام المهاجرون والانصار . فلما دخل على امرأته قال : ويحك ، جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم . قالت : هل سألك ، قلت : نعم . فقال ادخلوا ولا تضاغطوا . فجعل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا ، وبقي بقية قال كل هذا وأهدي فان الناس اصابتهم مجاعة .

وقد جاء تفصيل أكثر لحديث الصخرة عند النسائي :

حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا ضمرة ، عن أبي زرعة الشيباني ، عن ابي سكينه عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال : " وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم " فندر ثلث الحجر ، وسلمان

---

(١) عناق : بفتح العين المهملة وتخفيف النون هي الانثى من المعز .

(٢) البرمه : هي القدر . مختار الصحاح ص ٥٠ .

(٣) البرمة بين الأثاني : أي الحجارة التي يوضع عليها القدر وهي ثلاثة . فتح الباري ٧/٣٩٨ .

الفارسى قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم برقة ، ثم ضرب الثانية وقال : " وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم " فندر الثلث الآخر فبرقت برقة فرآها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال :

" وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم " فندر الثلث الباقى .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رداءه وجلس ، قال سلمان يارسول الله رأيتك حين ضربت ما تضرب ضربة الا كانت معها برقة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياسلمان رأيت ذلك ؟

فقال : اى والذى بعثك بالحق يارسول الله .

قال : فانى حين ضربت الضربة الأولى رفعت لى مدائن كسرى وماحولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعينى قال له من حضرة من أصحابه : يارسول الله ادع الله ان يفتحها علينا ويغنمنا ديارهم ويخرب بايدينا بلادهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك .

ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لى مدائن قيصر وماحولها حتى رأيتها بعينى قالوا يارسول الله ادع الله ان يفتحها علينا ويغنمنا ديارهم ويخرب بايدينا بلادهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ثم ضربت الثالثة فرفعت لى مدائن الحبشة وماحولها من القرى حتى رأيتها بعينى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعو الحبشة ماودعوك واتركوا الترك ماتركوكم .(١)

جـ ــ حمل النبى صلى الله عليه وسلم التراب بنفسه من الخندق :

---

(١) سنن النسائى . كتاب الجهاد وغزو الترك والحبشه ٤٣/٣ ، وانظر السيرة النبوية لابن كثير ١٩٥/٣ . وتفسير القرطبى ١٣١/١٤ ، وتفسير الطبرى ١٢٥/٢١ .

أخرج البخارى ومسلم من حديث البراء (١) (٢) واللفظ للبخارى — قال :

كان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى اغمر بطنه أو اغبر بطنه — يقول :

والله لولا الله مااهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
مانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الألى قد بغوا علينا * اذا ارادوا فتنة أبينا

---

(١) صحيح البخارى — كتاب المغازى — باب غزوة الخندق ٥/١٤٠ .

(٢) صحيح مسلم — كتاب الجهاد والسير — باب غزوة الاحزاب ٣/١٤٣٠ .

ثالثا : وصول جيوش الأحزاب الى مشارف المدينة :

كانت قيادة الأحزاب قد خططت أن تعسكر فى المنطقة الشمالية بين الحرتين لتزحف على المدينة على هيئة قوس يمتد من الشمال الغربى حتى الشمال الشرقى .

فيطبق هذا القوس فى زحف سريع عارم على المسلمين .

لذلك كانت الأمانى والأحلام تراودهم بأن الانتقام من المسلمين اصبح وشيكا فقد اعتمدوا على جميع الوسائل المادية الكفيلة بسحق المسلمين من الوجود . مطمئنين على ان الكثرة تغلب الشجاعة مهما بلغت .

هذا وقد تكاملت حشود الأحزاب حول المدينة فى أول شهر شوال . وقد اسندت القيادة الى أبى سفيان بن حرب .

ونزلت قريش وأحلافها فى مجمع الأسيال من رومه بين الجرف وزغابه . كما نزلت غطفان وأحلافها بذنب نقمى فى الطرف الغربى من جبل أحد .

رابعا : مفاجأة الأحزاب بالخندق وضربهم الحصار على المدينة :

وبينما الأحزاب فرحين بأحلامهم وأمانيهم التى جاءوا من أجلها اذا بهم يفاجأوا بما لم يكن بالحسبان . حيث فوجئوا بالخندق يحول بينهم وبين المسلمين . وسقط فى أيديهم ، فهم ماعهدوا الا الغزوات الخاطفة السريعة التى لا تستمر اكثر من يوم أو يومين وتكون غالبيتها مواجهة الاعداء فى ساحة المعركة . بدون حواجز .

والذى زاد من دهشتهم وحطم جميع أمالهم أنهم لم يألفوا هذه المكائد وهذه الخدع الحربية .

فما كان أمامهم الا أن يرابطوا أمام الخندق .

وأصبحت المدينة واقعة تحت حصار جموع الأحزاب التى مافتئت تحاول البحث عن ثغرات فى الخندق تمكنها من الزحف الى المدينة واستمروا على تلك الحالة والغيظ يغرى قلوبهم ، وأبلسوا حين رأو الخندق يحول بينهم وبين اقتحامها ، ومضت ايام تبادل المسلمون فيها مع اعدائهم التراشق

بالنبال ودب اليأس من النصر فى قلوب قادة الأحزاب ، وذلك لأن المدينة محصنة بقوة وحكمه ، والخندق يحول بينهم وبين الوصول اليها ، ولأن المؤمنين مصرين على الدفاع عن أنفسهم ، والطقس قارس البرودة ، عاصف الرياح ، وخيامهم لا تحميهم من أذاه .

وكثرة كاثرة جيش الأحزاب تتكون من الاعراب الذين لم يتعودوا المكث فى مكان واحد لفترة طويلة .

وبنو قريظة مازالوا على عهدهم مع النبى صلى الله عليه وسلم .

اذن ففى امكان المسلمين أن يقاوموا شهورا طويلة ، وبناء عليه فمن الخير للأحزاب أن تعود أدراجها ثم ترجع لقتال المسلمين فى الوقت المناسب

وشعر حيى بن أخطب (1) وبطانته بعزم الأحزاب على العودة الى ديارهم فجن جنونهم ، لأن عودتهم الى ديارهم معناها تمكين المسلمين من رقاب اليهود .

فحاول حيى بن أخطب وزمرته بكل وسيلة أن يغريهم بالبقاء ، وأن يهون عليهم الصعاب ، وأن يبشرهم بانه مقتع بنى قريظة بنقض عهودهم مع المسلمين حتى ينقطع عنهم المدد ، ويحاط بهم من كل جانب . وتنفتح الطريق أمام الأحزاب لدخول المدينة من الجهة الجنوبية التى يسكنها بنو قريظة ، وفرحت الأحزاب بفكرة حيى ، وارتفعت روحها المعنوية .

---

(1) انظر ترجمته ص ٣٤ .

((سير المعركة واحداثها))

المرحلة الأولى : ازدياد قوة الأحزاب ــ وضعف موقف المسلمين :

أولا : نقض بنو قريظة العهد ومحاولة ضرب المسلمين من الخلف :

كان أخشى مايخشاه المسلمون هو غدر يهود بني قريظة عندما تتحرج الحالة ، لان ذلك يعني الاجهاز على المسلمين ، حيث يسكن اليهود في جنوب المدينة ــ فيقع المسلمون حينئذ بين نارين ــ اليهود خلف خطوطهم ، والاحزاب باعدادهم الهائلة من أمامهم .

وهذا ماحدث بالفعل .

اذ سارع حيي بن اخطب (١) بالذهاب الى كعب بن أسد (٢) ليغريه بنقض العهد مع المسلمين ، وسمع به الاخير فأغلق دونه حصنه ، قال ابن اسحاق : فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حيي ، فأستأذن عليه فأبى ان يفتح له ، فناداه : ويحك ياكعب افتح لي .

قال : ويحك ياحي ، انك امرؤ مشئوم ، واني قد عاهدت محمدا فلست بناقض مابيني وبينه ، ولم أر منه الا وفاء وصدقا .

ــ قال : ويحك افتح لي أكلمك .

ــ قال : ما انا بفاعل .

ــ قال : والله ان اغلقت دوني الا خوفا على جشيشتك (٣) ان آكل معك

---

(١) انظر ترجمته ص ٣٤ .

(٢) هو كعب بن أسد القرظي ، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده وعاهده . وقد نقض عهده مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب فكان جزاءه القتل فقتل مع من قتل من بني قريظة بعد حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فيهم وكان ذلك في السنة الخامسة من الهجرة . انظر سيرة ابن هشام ٢٦٣/٣ .

(٣) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش وهو البر يطحن غليظا ثم تجعل =

منها فأحفظ الرجل ففتح له ، فقال : ويحك ياكعب ! جئت بعز الدهر وبحر طام (١) .

ـ قال : وماذاك ؟

ـ قال : جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بذنب نقمى الى جانب أحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه .

ـ فقال كعب : جئتنى والله بذل الدهر وبجهام (٢) قد هراق (٣) ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شئ ، ويحك ياحى فدعنى وماانا عليه ، فانى لم أر من محمد الا وفاء وصدقا .

فلم يزل حيى بكعب يفتله فى الذروة والغارب (٤) حتى سمح له ، ونقض كعب كعب بن أسد عهده مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وبرئ مما كان بينه وبين المسلمين ، ومزق الصحيفة التى كانت بينه وبينهم (٥) .

وسرت الشائعات بين المسلمين بأن قريظة قد نقضت عهدها معهم ، وأراد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان يتثبت مما بلغه ، فأرسل سعد بن معاذ وسعد بن عباده وعبد الله بن رواحه وخوات بن جبير ـ رضى الله عنهم ـ

(=) فى القدور ويلقى عليها لحم أو تمر وتطبخ . النهاية فى غريب الحديث ـ باب الجيم مع الشين مادة جشش : ١ / ٢٧٣ .

(١) البحر الطامى : المرتفع الكثير الماء ، وأراد تشبيه عدد القوم فى كثرتهم بالبحر لأنه يغطى جوانبه كلها .

(٢) بجهاهم : الجهام : هو السحاب الذى لا ماء فيه .

(٣) وهراق : فى رواية ـ أهريق ، بضم الهمزة وسكون الهاء وكسر الراء ، ومعناها : صب ماؤه .

(٤) الذروة والغارب : مثل ، أصله البعير يستصعب عليك فتأخذ القراد من من ذروته وغارب سنامه فيجد لذه فيأنس عند ذلك ، فضرب مثلا فى المراوضه .

(٥) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ١٩٨ ، وسيرة ابن هشام ٣ / ٢٦٣ .

وقال لهم :

(انطلقوا حتى تنظروا أحق مابلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ، فان كان حقا فالحنو لى لحنا (١) أعرفه ، ولا تفتوا فى أعضاد الناس ، وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس (٢) .

فخرجوا حتى اتوهم . فوجدوهم قد نقضوا العهد .

وحينئذ حاول سعد بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ أن يذكرهم بعهودهم مع النبى صلى الله عليه وسلم وأن يحذرهم من سوء المصير اذا استمروا على نقضهم بالعهد .

فاستهزؤا به قائلين : أكلت أيرابيك .

ووقعوا فى النبى صلى الله عليه وسلم فقال كبيرهم كعب بن مالك : من رسول الله !!؟ لاعهد بيننا وبينه ولا عقد ،

وبلغ الغضب بسعد بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ منتهاه ، وكان رجلا فيه حدة ، فشاتمهم وشاتموه فقال له سعد بن عبادة ـ رضى الله عنه ـ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ،

وعاد الصحابة الأربعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قالوا : عضل والقارة ،ـ أى غدرت قريظة بالمسلمين كما غدرت عضل والقارة بخبيب وأصحابه ـ وفرحت الاحزاب لغدر قريظة وارتفعت روحها المعنوية وأعدت كتائبها لغزو المدينة من كل جانب .

قال موسى بن عقبة :

ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه حين جاءه الخبر عن بنى قريظة ، فاضطجع ومكث طويلا ، فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه

---

(١) أى كلمونى بكلام يخالف ظاهره معناه ولا يفهمه احد سواى وأصل اللحن : العدول بالكلام عن الوجه المعروف الى وجه لا يعرفه الا صاحبه ، كما ان اللحن هو الخطأ : عدول عن الصواب الذى هو معروف .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٣/١٩٩ . وسيرة ابن هشام ٣/٢٦٤ .

اضطجع ، وعرفوا أنه لم يأته عن بنى قريظة خير . ثم أنه رفع رأسه وقال : ابشروا بفتح الله ونصره[1] .

هكذا أستقبل الرسول صلى الله عليه وسلم غدر بنى قريظة بالثبات والحزم ، واستخدام كل الوسائل التى من شأنها ان تقوى روح المؤمنين ، وتصرع جبهات المعتدين .

فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم فى الوقت نفسه (سلمة بن أسلم) فى مائتى رجل . وزيد بن حارثة فى ثلاثمائة رجل ، يحرسون المدينة ، ويظهرون التكبير ليرهبوا بنى قريظة .

وفى هذه الاثناء استمدت قريظة للمشاركة مع الأحزاب فأرسلت الى جيوش الأحزاب عشرين بعيرا كانت محملة تمرا وشعيرا وتبنا ، لتمدهم بها وتقويهم على البقاء .

لكن من حسن التوفيق ظفر بها رجال من الانصار خرجوا ليدفنوا ميتا لهم فى المدينة فصادفوا هذه القافلة ، فصادروها وأتوا بها الى النبى صلى الله عليه وسلم[2] .

ثانيا : تشديد الحصار على المسلمين :

زادت جيوش الأحزاب فى تشديد الحصار على المسلمين بعد انضمام بنى قريظة اليها وأشتد الكرب على المسلمين وتأزم الموقف .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن حالة الحرج والتدهور التى أصابت المسلمين ووصف ما وصل اليه المسلمون من جزع وخوف وفزع فى تلك المحنة الرهيبة أصدق وصف حيث قال تعالى :

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢٠٠ .

(٢) السيرة الحلبيه ٢ / ٣٢٣ .

" اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا "(١) (الاحزاب ٩ — ١٠) .

وكان المسلمون ظنهم بالله قويا وقد سجله القرآن الكريم بقوله تعالى :

" ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدقا الله ورسوله ومازادهم الا ايمانا وتسليما " . (الأحزاب ٢٢) .(٢)

وهذا الموقف المشرف من المؤمنين يتباين كل التباين من موقف المنافقين الذى كان على العكس تماما .

ثالثا : انسحاب المنافقين من الجيش ونشرهم الآراجيف بين المسلمين :

واشتد البلاء واشتد الخوف حتى نجم النفاق وحتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط .

وحتى قال أوس بن قيظى احد بنى حارثة :

يارسول الله ان بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نرجع الى دارنا فانها خارج المدينة .

وهؤلاء وامثالهم هم المرادون بقوله تعالى :(٣)

" واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا * واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لا مقام لكم فأرجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا " سورة الاحزاب ، آية ١٢ — ١٣ .(٤)

---

(١) انظر تفسير الآية ،ص ٢٩٠

(٢) انظر تفسير الآية ،ص ٢٢٠

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢٠١ .

(٤) انظر تفسير الآيات ، ص ٢٩٤

رابعا : محاولة النبي صلى الله عليه وسلم تخفيف حدة الحصار بعقد صلح مع غطفان :

أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخذل المشركين بعضهم ببعض ونظرا لمعرفته باحوال اعدائه فهو يعلم سبب مجئ غطفان الى المدينة حيث لم يكن لها سوى الطمع فى خيرات خيبر التى وعدهم بها اليهود .

لذلك أراد أن يطمع غطفان ومن معها من نجد ، فأرسل الى عيينة بن حصن والى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى وهما قائدا غطفان وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه .

فجرى بينه وبينهم الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع شهادة ولا عزيمة الصلح الا المراوضه .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك بعث الى السعدين فذكر لهما ذلك ، واستشارهما فيه ، فقالا : يارسول الله امر تحبه فنصنعه ،أم شيئا امرك الله به لابد لنا من العمل به ، ام شيئا تصنعه لنا ؟ فقال : بل شئ اصنعه لكم ، والله ماصنع ذلك الا لأنى رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فأردت ان اكسر عنكم من شوكتهم الى امر ما .[1]

فقال له سعد بن معاذ : يارسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الاوثان ، لانعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة الا قرى أو بيعا ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ؟ مالنا بهذا من حاجة ، والله لانعطيهم الا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢٠٢ .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أنت وذاك .

فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا مافيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا (١) .

وقد أفاد عرض الصلح أمرين عظيمين :

أولهما : ان النبى صلى الله عليه وسلم علم عزيمة أصحابه ، وأنهم يريدون لقاء الاحزاب .

ثانيهما : ان ذلك أطمع غطفان ومن معها من القبائل ، والطمع اذا سكن حل العزيمة . فقد ترتب على ذلك الاطماع ، أنهم تلطلوا بطول الحصار وجرى بينهم وبين القرشيين خلاف وهموا ان يعودوا من حيث جاءوا من غير ان ينالوا شيئا (٢) .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢٠٢ .

(٢) خاتم النبيين — لمحمد ابو زهرة — ٢ / ٣٠٩ .

المرحلة الثانية : اقتحام بعض المشركين الخندق — وتكرار محاولة العبور — وتأزم الموقف بالنسبة للمسلمين :

اولا : الالتحام بكوكبة من الفرسان ومقتل فارس قريش :

استمر الحصار من قبل الأحزاب للمسلمين وضاقوا بالخندق ، واخذ الفرسان الشجعان منهم يبحثون ثغرة فى الخندق يهجمون منها على المسلمين .

وفى الاخير وجدوا ثغرة ضيقة اقتحمها بعض الفرسان وكلهم من قريش قال ابن اسحاق :

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه محاصرين ، ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال الا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عبد ود بن أبى قيس ، أحد بنى عامر بن لؤى ، وعكرمة بن أبى جهل ، وهبيرة بن ابى وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطاب بن مرداس أحد بنى محارب بن فهر ، تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بنى كنانه فقالوا : تهيأوا يابنى كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم .

ثم اقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا : والله ان هذه لمكيدة ماكانت العرب تكيدها ، ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع .

وخرج على بن ابى طالب فى نفر معه من المسلمين حتى اخذوا عليه الثغرة التى اقتحموا منها خيلهم واقبلت الفرسان تسرع نحوهم .[1]

مصرع فارس قريش :

وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/١٦٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣/٢٠٢ .

فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه ، فلما خرج هو وخيله قال له علي : ياعمرو ، انك كنت تعاهد الله ألا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا أخذت منه احداهما ، قال : أجل قال له علي بن ابي طالب : فاني ادعوك الى الله عزوجل والى رسوله والى الاسلام ، قال لاحاجة لي بذلك . قال : فاني أدعوك الى النزال ، قال : ولم يابن أخي ، فوالله ماأحب أن أقتلك .

قال علي : ولكن والله أحب أن اقتلك .

قال : فحمي عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه فعقره ـ اوضرب وجهه ـ ثم أقبل على علي ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علي عليه السلام وخرجت خيله منهزمه ، حتى اقتحمت الخندق هاربة (١) .

وذكر ابن اسحاق ، أن عليا طعنه في ترقوته حتى أخرجها من تراقسه ، فمات في الخندق .

وبعث المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفته بعشرة الاف ، فقال : هو لكم لا نأكل ثمن الموتى ،

وفي رواية الامام أحمد : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ادفعوا اليهم جيفته ، فانه خبيث الجيفة خبيث الدية) . فلم يقبل منهم شيئا (٢) .

ثانيا : تكرار محاولة عبور الخندق ، وتشديد الهجوم على منزل النبي صلى الله عليه وسلم :

وقد تزايد نشاط خيل المشركين ، فكانت هذه الخيل تطوف باعداد كبيرة كل ليلة حول الخندق حتى الصباح .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٧٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢٠٣ ، وتاريخ الطبري ٢ / ٥٧٤ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢٠٥ .

وفى ليلة من ليالى الاحزاب العصيبة حاول خالد بن الوليد مع مجموعة من فرسان قريش أن يقتحم الخندق على المسلمين فى ناحية ضيقة منه، ويأخذهم على حين غرة .

لكن كان اسيد بن خضير فى مئتين من الصحابة يراقبون تحركاتهم وقد حصلت مناوشات استشهد فيها الطفيل بن النعمان والذى قتله وحشي — قاتل حمزة يوم أحد — رماه بحربة عبر الخندق فأصابت منه مقتلا .

أصابة سعد بن معاذ سيد الأوس (١) :

كان المشركون يتناوبون بينهم ، فيغدوا أبو سفيان بن حرب فى أصحابه يوما ، وضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم .

وكان معهم رماة منهم حبان بن العرقة ، وأبو اسامة الجشمى وغيرهم . ورمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ — رضى الله عنه — بسهم فأصاب أكحلة (٢) وقال خدها وانا ابن العرقه !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرق الله وجهك فى النار (٣) .

---

(١) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسى الانصارى ، سيد الأوس . أسلم على يد مصعب بن عمير ، شهد بدرا باتفاق ، ورمى بسهم يوم الخندق ، فعاش بعده شهرا حتى حكم فى بنى قريظة وأجيبت دعوته فى ذلك ، ثم انتقض جرحه فمات وكان ذلك سنة خمس من الهجرة . وهو ابن سبع وثلاثين سنة . انظر طبقات ابن سعد (٣/٢/ص ٢) .

(٢) اكحلة : الاكحل : عرق فى اليد أو عرق الحياة (القاموس المحيط ٤٤/٤) .

(٣) المغازى للواقدى ٤٦٩/٢ .

وقال سعد عندما اصيب :

اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فأنه لا قوم أحب الى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . اللهم وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها شهادة ، ولا تمتنى حتى تقرعينى من بنى قريظة .

قال ابن كثير :

وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ فى بنى قريظة[1] ـ وسيأتى ذلك مفصلا ـ[2].

ثم وجه المشركون كتيبة غليظة نحو منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلهم المسلمون يوما الى الليل .

فلما حانت صلاة العصر دنت كتيبة فلم يقدر النبى صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا ، وشغل بهم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يصل العصر ولم تنصرف الكتيبة الا مع الليل .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس)[3].

وأخرج البخارى من حديث جابر بن عبد الله ان عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش وقال : يارسول الله ماكدت أصلى حتى كادت الشمس أن تغرب ، قال النبى صلى الله عليه وسلم (والله ماصليتها " فنزلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها ، فصلى العصر بعد ماغابت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب[4].

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢٠٨ .

(٢) انظر ص ٢٧٣ من الرسالة .

(٣) صحيح البخارى ـ كتاب المغازى ـ باب غزوة الخندق ٥ / ١٤١ ، وانظر فتح البارى ٧ / ٤٠٥ .

(٤) صحيح البخارى ـ كتاب المغازى ـ غزوة الخندق ٥ / ١٤١ ، وانظر فتح البارى ٧ / ٤٠٥ .

ثالثا : اشتداد الكرب ، ودعائه صلى الله عليه وسلم على الأحزاب :

وقد اشتد الكرب على المسلمين اكثر مما سبق حتى بلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالا عظيما لدرجت الاعياء فما كان منهم الا أن توجهوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا ــ كما جاء في الحديث ــ يارسول الله هل من شئ نقوله ؟ فقد بلغت القلوب الحناجر !

قال : (نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا) .(١)

وأخرج الأمام احمد من حديث جابر بن عبد الله : ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى مسجد يعني الأحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مدا يدعوا عليهم ولم يصل قال : ثم جاء ودعا عليهم وصلى .(٢)

وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله على الأحزاب فقال :

(اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم الأحزاب ، اللهم أهزمهم وزلزلهم) .(٣)

وروى الامام البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :

---

(١) أخرجه الامام أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري عن أبيه : ٣ / ص ٣ .

(٢) مسند الامام أحمد ٣ / ٣٩٣ .

(٣) صحيح البخاري ــ كتاب المغازي ــ باب غزوة الخندق ٥ / ١٤٢ ، وانظر فتح الباري ٧ / ٤٠٦ .

وصحيح مسلم ــ كتاب الجهاد والسير ــ باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ٣ / ١٣٦٣ .

(لا اله الا الله وحده ، أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شئ بعده) [(١)] .

وقد استجاب الله — سبحانه — دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم فأقبلت بشائر الفرج ، فقد صرفهم الله بحوله وقوته زلزل أبدانهم وقلوبهم وشتت جمعهم بالخلاف ، ثم أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة والقى الرعب فى قلوبهم .

ولهذا تغير الموقف واصبح فى صالح المسلمين وذلك بدعائه صلى الله عليه وسلم وصدقه وصدق المسلمين معه — وهذا ماسنفصله واليك بيانه .

---

(١) صحيح البخارى — كتاب المغازى — باب غزوة الخندق ٥ / ١٤٢ ، وانظر فتح البارى ٧ / ٤٠٦ .

وصحيح مسلم — كتاب الحج — باب مايقوله اذا فصل من سفر الحج وغيره ٢ / ٩٨٠ .

المرحلة الثالثة : تغير الموقف لصالح المسلمين :

أولا : موقف نعيم بن مسعود الغطفانى ـ رضى الله عنه ـ :

وبينما المسلمون فى هذه الشدة وهذا الضنك والخوف الشديد بدأت البشائر بالفرج تظهر .

فقد استعمل النبى صلى الله عليه وسلم سلاح التشكيك والدعاية لتمزيق مابين الأحزاب من ثقة وتضامن فلقد كان يعلم صلى الله عليه وسلم أن هناك تصدعا خفيا بين صفوف الأحزاب فاجتهد أن يبرزه ويوسع شقته ويستغله فى جانبه فقد سبق أن أطمع غطفان ففكك عزمها .

وهو الآن فى هذه الساعات الحرجة حدث أن أسلم سرا نعيم بن مسعود الغطفانى وأتى النبى صلى الله عليه وسلم ليعلن اسلامه وقال له :

يارسول الله ان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بماشئت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت ، فان الحرب خدعه .(١)

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة ـ وكان لهم نديما فى الجاهلية ، فقال : يابنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة مابينى وبينكم .

قالوا : صدقت لشئ عندنا بمتهم ،

فقال لهم : ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه اموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره .

وان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم ونساءوهم بغيره ، فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة (فرصة) أصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلو بينكم وبين الرجل ببلدكم ،

---

(١) قال الامام النووى :

اتفق العلماء على جواز خداع الكفار فى الحرب كيفما أمكن الا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز .

ولا طاقة لكم ان خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه .

قالوا : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش :

قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا ، وأنه بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا عنى .

قالوا : نفعل .

قال : اعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد .

وقد أرسلوا اليه : انا قد ندمنا على مافعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم .

فأرسل اليهم أى نعم . فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج الى غطفان فقال :

يامعشر غطفان انكم أصلى وعشيرتى واحب الناس الى ولا أركم تتهمونى .

قالوا : صدقت ماأنت عندنا بمتهم .

قال : فاكتموا عنى .

قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم ماحذرهم .(١)

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣/٢١٥ ، وسيرة ابن هشام ٣/٢٢٨ .

ثانيا : وقوع الخلاف الشديد بين اليهود والأحزاب :

وقد نجحت دعاية نعيم بن مسعود أيما نجاح . ففرست روح التشكيك وعدم الثقة بين قادة الأحزاب . مما أدى الى كسر شوكتهم وتهبيط عزمهم .

قال ابن اسحاق :

فلما كانت ليلة السبت من شوال ، وكان من صنيع الله — تعالى — لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبوسفيان ورؤوس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان ،

فقال لهم : انا لسنا بدار مقام ، هلك الخف والحافر ، فاعدوا للقتال حتى تناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه .

فأرسلوا اليهم : ان اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، وقد أخذت فيه بعضنا حدثا فأصابهم ما لم يخف عليكم ،

ولسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشتمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه .

فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق .

فأرسلوا الى بنى قريظة : انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فأخرجوا فقاتلوا .

فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا : ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، مايريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم .

فأرسلوا الى قريش وغطفان : انا والله مانقاتل معكم حتى تعطونا رهنا . فأبوا عليهم وخذل الله بينهم (١) .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣/٢١٦ ، وسيرة ابن هشام ٣/٢٧٨ .

ثالثا : اشتداد الريح ونزول الملائكة :

وخذل الله بين الاحزاب وبعث الريح عليهم فى ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم وتطفئ نيرانهم وأزعجتهم غاية الازعاج فلم يطب لهم المقام .

وأنزل الله الملائكة تنصر رسوله وتؤيده .

قال تعالى " فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها " . الاحزاب ،آية ٩ (١)

هذا والجدير بالذكر أن جو المدينة فى الشتاء شديد البرودة خاصة اذا كان معه ريح باردة .

والجيش القرشى لم يعتاد هذا الجو القارس فمكه جوها دافئ فى الشتاء ماجعلهم يتضررون أشد الضرر بهذه الريح الباردة . وجعلهم يفكرون جديا فى الرجوع .

---

(١) انظر تفسير هذه الآية ص ٢٨٥ .

((نهاية المعركة))

كيفية فك الحصار وانسحاب الأحزاب :

أخرج الامام مسلم فى صحيحه من حديث الأعمش عن ابراهيم بن يزيد التيمى عن أبيه ، قال :

كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت .

فقال له حذيفة : انت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب فى ليلة ذات ريح شديدة وقر(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ألا رجل يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة ؟ فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله ، ثم قال : ياحذيفة قم فأتنا بخبر القوم ولا تذعرهم(٢) على .

قال : فمضيت كأنما أسير فى حمام ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابنى البرد حين رجعت وقررت ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسنى فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها ، فلم ابرح نائما حتى الصبح ، فلما أن اصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قم يانومان !(٣)

قال ابن كثير(٤) :

روى الحاكم والحافظ البيهقى فى الدلائل هذا الحديث مبسوطا من حديث عكرمة بن عمار ، عن محمد بن عبد الله الدؤلى ، عن عبد العزيز بن

---

(١) وقر : القر هو البرد (مختار الصحاح ص ٥٢٨) .
(٢) لا تذعرهم : أى لا تفزعهم على ولا تحركهم على .
(٣) صحيح مسلم ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب غزوة الاحزاب ٣/١٤١٤ .
(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٣/٢١٩ .

اخى حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه :

أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا .

فقال حذيفة : لا تمنوا ذلك ، لقد رأيتنا الليلة الاحزاب ونحن صافون قعود ، وأبو سفيان ومن معه فوقنا ، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا وماأتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها فى أصوات ريحها أمثال الصواعق وهى ظلمة مايرى أحدنا أصبعه .

فجعل المنافقون يستأذنون النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون :ان بيوتنا عورة وماهى بعورة .

فما يستأذنه أحد منهم الا أذن له ،ويأذن لهم ويتسللون ، ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك .

اذ استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا حتى أتى على وما على جنة من العدو ولا من البرد الا مرط لامراتى مايجاوز ركبتى ، قال : فأتانى وأنا جاث على ركبتى فقال : من هذا ؟ فقلت : حذيفة فقال: حذيفة فتقاصرت للأرض فقلت : بلى يارسول الله . كراهية أن أقوم . فقمت . فقال : انه كائن فى القوم خبر فأتنى بخبر القوم . قال وانا من أشد الناس فزعا وأشدهم مرا . قال : فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته ".

قال : فوالله ماخلق الله فزعا ولا قرا فى جوفى الا خرج من جوفى فماأجد فيه شيئا !

قال : فلما وليت قال : ياحذيفة لاتحدثن فى القوم شيئا حتى تأتينى .

قال : فخرجت حتى اذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نارهم توقد ، واذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل .

ولم اكن اعرف ابا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهما من كنانتي أبيض الريش فأضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحدثن فيهم شيئا حتى تأتيني . فأمسكت ورددت سهمي الى كنانتي ، ثم اني شجعت نفسي حتى دخلت العسكر ، فاذا أدنى الناس من بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم . واذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا ، فوالله اني لاسمع صوت الحجارة ثم انى خرجت نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتصفت بي الطريق أو نحو من ذلك اذا أنا بنحو من عشرين فارسا أو نحو ذلك معتمين فقالوا : اخبر صاحبك ان الله قد كفاه .

قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل في شملة يصلي ، فوالله ماعدا أن رجعت راجعني القر وجعلت أقرقف(١) فأومأ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهو يصلي ، فدنوت منه فأسبل عليه شملته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى فأخبرته خبر القوم ، اخبرته أني تركتهم يرحلون(٢).

وأخرج البخاري من حديث سليمان بن صرد يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلى الأحزاب عنه : الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم(٣).

وهكذا ارتدت جيوش الاحزاب مدحورة الى ديارها ، تحمل معها الفشل والخيبة . وتنفس المسلمون الصعداء وشكروا الله على نعمته حيث نجاهم من عدوهم .

---

(١) أقرقف : أرتجف من البرد .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢٢١ .

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب غزوة الخندق ٥ / ١٤٢ ، والفتح ٧ / ٤٠٥ .

((سير النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظـــــة))

أحداث غزوة بنى قريظة (١) :

١ ــ شاء الله ــ عز وجل ــ أن يكون القصاص العادل من بنى قريظة سريعا وحاسما . فقد أخرج الشيخان : عن عائشة قالت : لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال :

قد وضعت السلاح ، والله ماوضعناه فأخرج اليهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم فالى أين ؟ قال هنا وأشار الى بنى قريظة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم اليهم (٢) .

ثم أمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يسرعوا فى الخروج لقتال بنى قريظة ، وألا يشغلهم أى شاغل عن الخروج . أخرج الامام البخارى من حديث ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب لا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة ، فأدرك بعضهم العصر فى الطريق ، فقال بعضهم لا نصلى حتى نأتيها وقال بعضهم : بل نصلى لم يرد منا ذلك ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحد منهم (٣) .

٢ ــ لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا أن يخرج المسلمون الى

---

(١) سنتكلم عنها ــ بايجاز ــ وذلك لتعلقها بغزوة الأحزاب اتماما للفائدة .

(٢) صحيح البخارى ــ كتاب المغازى ــ باب مرجع النبى من الاحزاب ومخرجه الى بنى قريظة ٥/١٤٢ ، وانظر فتح البارى ٧/٤٠٧ .

وصحيح مسلم ــ كتاب الجهاد والسير ــ باب جواز قتال من نقض العهد وجواز انزال اهل الحصن على حكم حاكم عدل اهل للحكم ٣/١٣٨٩ (رقم الحديث ١٧٦٩) .

(٣) صحيح البخارى ــ كتاب المغازى ــ باب مرجع النبى من الاحزاب ومخرجه الى بنى قريظة ٥/١٤٣ ، وانظر فتح البارى ٧/٤٠٨ .

بنى قريظة باقصى سرعة ، ليباغتوهم ويبادئوهم قبل ان يستكملوا عدتهم ويقووا حصونهم ، ويستجمعوا اشتات فكرهم .

لذا بادر المسلمون اليهم ، يحمل رايتهم (على بن ابى طالب) كرم الله وجهه ــ فلما اقترب من منازلهم وجدهم مصرين على غوايتهم وغرورهم ، فقد تطلعوا الى المسلمين بغل وحقد ، ثم سبوا النبى صلى الله عليه وسلم ونساءه سبا قبيحا .

ولكى يصرف الامام على ــ كرم الله وجهه ــ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيدا عن منازل أولئك السفهاء حتى لا يسمع سبهم أعطى الرايه لأبى قتادة الأنصارى .

ثم ذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم فأعترض طريقه وهو مقبل اليهم ، فقال له يارسول الله : لاعليك أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث !

فقال لم ؟ أظنك سمعت لى منهم أذى ؟

قال : نعم يارسول الله ، قال لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا ثم دنا من حصونهم : فقال لهم : يااخوان القردة والخنازير ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟

فقالوا : ياأبا القاسم ماكنت جهولا .(١)

٣ ــ وقد ضيق الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم الخناق ، وأحكم عليهم الحصار لمدة خمسة وعشرين ليلة ، لم يستطع بنو قريظة خلالها أن يخرجوا من حصونهم .

وأيقنوا أن حصونهم لن تغنى عنهم من الهلاك شيئا اذا استمر الحال على ذلك ،

وفى أحلك الاوقات التى مرت بهم وهم فى غمرة يأسهم جمعهم كبيرهم ــ كعب بن أسد ــ وقال لهم :

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٨٤ .

يامعشر يهود قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخذوا ايها شئتم .

قالوا : وماهى ؟

قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل ، وأنه الذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم .

قالوا : لانفارق حكم التوراة أبدا ، ولا تستبدل به غيره .

قال : فاذا أبيتم على هذه ، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا ومعنا السيوف ، لم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وان نظهر فلعمرى لنتخذن النساء والابناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم .

قال : فان أبيتم هذه على ، فان الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها ، فأنزلوا لعلنا نصيب منهم غرة .

قالوا : تفسد علينا سبتنا ، ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت ، فأصابه من المسخ ما لم يخف عليك .

قال كعب :

مابات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازما .(١)

٤ — حاول بنو قريظة بعد ذلك أن يظفروا بصلح يضمنون معه حياتهم ، فأرسلوا شاس بن قيس ليعرض على النبى صلى الله عليه وسلم أنهم يريدون أن ينزلوا على مانزلت عليه بنو النضير من أن لهم ماحملت الابل الا السلاح ، فأبى عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) تاريخ الطبرى ٢/٥٨٣ — ٥٨٤ .

فأرسلوا ثانيا يعلنون تنازلهم عن الأموال بشرط أن تحقن دماؤهم وتسلم لهم نساؤهم وذرياتهم .

فأبى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقبل منهم الا النزول على حكمه بدون شرط .

٥ — واخيرا لجأوا الى وسيلة يستدرون بها عطف حلفائهم من الأوس فأرسلوا اليهم من يقول لهم : الا تخدون لاخوانكم مثل ماأخذت الخزرج لاخوانهم ؟ يريدون أن الخزرج قد وقف واحد منهم هو عبد الله بن ابى ابن سلول بجانب حلفائه بنى قينقاع ، حتى نجوا من القتل واكتفى النبى صلى الله عليه وسلم منهم بالجلاء من المدينة ، فعلى الأوس أن يفعلوا مع حلفائهم بنى قريظة مثل مافعل واحد من الخزرج مع حلفائه من بنى قينقاع .

ومشى رجال من الأوس الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله : الا تقبل من حلفائنا مثل الذى قبلت من حلفاء الخزرج ؟ فقال لهم : يامعشر الأوس ، ألا ترضون أن أجعل بينى وبين حليفائكم رجلا منكم ، قالوا بلى ،

فقال : فذاك الى سعد بن معاذ ، وفرح بنو قريظة بحكم سعد ابن معاذ — رضى الله عنه — فيهم ، ظنا منهم أن الحلف الذى كان بينهم وبينه فى الجاهلية سينفعهم ويشفع لهم عنده فيخفف حكمه عليهم .

هذا وقد أكثر الأوس عليه الرجاء فقال :

لقد آن لسعد ان لا تأخذه فى الله لومة لائم .(١)

فلما انتهى — رضى الله عنه — الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، — وقد كان جريحا يمرض فى خيمة رفيده بالمسجد النبوى من جراء سهم أصابه فى غزوة الاحزاب —(٢) قال الرسول صلى الله

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٩٢ ، وتاريخ الطبرى ٢ / ٥٨٧ .

(٢) انظر تفصيل الحادثة ص ٢٥٨ .

عليه وسلم : قوموا الى سيدكم فقاموا فى صفين ، كل رجل منهم يحيى سعدا حتى وصل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : احكم ياسعد فقال : الله ورسوله أحق بالحكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أمرك الله أن تحكم فيهم فالتفت سعد الى الجهة التى فيها بنو قريظة وقال : أترضون بحكمى . قالوا : نعم فأخذ عليهم العهد بذلك . ثم قال : ومن هاهنا ــ يريد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يستطع أن يلتفت اليه حياء واجلالا له ــ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نعم ،

فقال سعد : (فانى حكمت فيهم ان تقتل الرجال ، وتقسم الأموال وتسلب الذرارى والنساء) .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات .(١)

٦ ــ هذا ، وفى اصابة سعد بن معاذ يوم الخندق ، وفى حكمه على بنى قريظة وفى انفجار جراحته أخرج الشيخان (٢) حديثا طويلا نرى من المناسب ذكره هنا .

فعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له (ابن العرقة) ، رماه فى الأكحل ــ عرق وسط الذراع اذا قطع لم يرقأ الدم ــ فضرب النبى صلى الله عليه وسلم خيمة فى المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح وأغتسل ، فأتاه

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٩٣/٣ ، وتاريخ الطبرى ٥٨٨/٢ .

(٢) صحيح البخارى ــ كتاب المغازى ــ باب مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من الاحزاب ومخرجه الى بنى قريظة ومحاصرته اياهم ١٤٤/٥ .

وانظر فتح البارى ٤١١/٧ ، ٤١٢ .

وصحيح مسلم ــ كتاب الجهاد والسير ــ باب جواز قتال من نقض العهد وجواز انزال اهل الحصن على حكم حاكم عدل اهل للحكم ١٣٨٨/٣ ، رقم الحديث (١٧٦٨) .

جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار ، فقال : قد وضعت السلاح والله ماوضعته أخرج اليهم ، قال النبى صلى الله عليه وسلم فأين . فأشار الى بنى قريظة ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على حكمه فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم الى سعد .

قال سعد : فانى أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسلب النساء والذرية وأن تقسم أموالهم .

قال هشام : فأخبرنى أبى عن عائشة أن سعدا قال اللهم انك تعلم أنه ليس احد أحب الى أن اجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فانى أظن انك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فان كان بقى من حرب قريش شئ فابقنى له حتى اجاهدهم فيك ، وان كنت وضعت الحرب فأفجرها واجعل موتى فيها .

فأنفجرت من ليلته ، فلم يرعهم — وفى المسجد معه خيمة من بنى غفار — الا الدم يسيل اليهم ، فقالوا : ياأهل الخيمة : ماهذا الذى يأتينا من قبلكم ؟ فاذا سعد جرحه يغذ دما — أى يسيل بقوة — فمات منها رضى الله عنه . رواه البخارى ومسلم.(١)

٧ — ثم حفرت الخنادق فى سوق المدينة لتنفيذ حكم سعد فيهم ، وسيق اليها رجال بنى قريظة ، ليدفعوا ثمن خيانتهم وغدرهم ، وكان عددهم مابين الستمائة والسبعمائة .

وقال بعضهم فى ذهول لسيدهم كعب بن أسد وهم يقدمون لمصارعهم : ياكعب ماتراه يصنع بنا ؟

فأجابهم ، أفى كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعى لا ينزع وأنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل.(٢)

---

(١) المصدر السابق .

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٢٩٤ .

وأتى فى النهاية برأس الفتنة حيى بن أخطب[1] ليلقى جزاءه العادل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يخذل ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه) .

وفيه قال الشاعر :

لعمرك مالام ابن اخطب نفسه
ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها
وقلقل يبغى العز كل مقلقل[2]

ولم يقتل المسلمون من نساء بنى قريظة الا امرأة واحدة ، لأنها ألقت رحى على أحد المسلمين فقتلته . ولم يقتلوا من ذكورهم الا من كان بالغا . وقد قسم النبى صلى الله عليه وسلم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد أن أخرج منها الخمس .

فأعطى للفارس سهمين ولفرسه سهم . وأعطى الراجل سهما وكانت الخيل يوم قريظة ستا وثلاثين فرسا[3].

---

(١) انظر ترجمته ص ٣٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٢٩٤ .

والمعنى : أنه جاهد فى حرب الاسلام وعداوته حتى بلغ الحد الذى يعذر نفسه فيه وقلقل يعنى : سعى وتحرك .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٣/٢٤٢ .

وهكذا انتهت أحداث غزوة بني قريظة [1].

هذا وقد قطع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق وبنى قريظة بقية شوال ، وذى القعدة وبعضا من ذى الحجة .

وقد أجمع المعنيون بأخبار معارك الاسلام على أن المسلمين لم يكونوا على درجة من الخوف والشدة والقلق والجزع والاضطراب ، مثلما كانوا عليه فى غزوة الاحزاب .

وقد نجح المؤمنون فى هذا الاختبار الصعب .

قالت أم المؤمنين (أم سلمة ـ رضى الله عنها) : (شهدت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشاهد فيها قتال وخوف المريسيع وخيبر وكنا بالحديبيه وفى الفتح وحنين ، لم يكن من ذلك أتعب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أخوف عندنا من الخندق ، وذلك أن المسلمين كانوا فى مثل الحرجه ـ الشجرة الصغيرة الملتف عليها الشجر من كل ناحية ـ وأن قريظة لا نأمنها على الذرارى .

فالمدينة تحرس حتى الصباح يسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا خوفا ، حتى ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا) [2].

وفى شأن غزوة الاحزاب وبنى قريظة نزلت تسع عشرة آية فى سورة الأحزاب سنقوم بتفسيرها انشاء الله فى الفصل الثانى .

---

(١) ذكرتها باختصار ، ومن أراد التوسع عليه بالرجوع الى كتاب غزوة بنى قريظة لمحمد احمد باشميل ، وكتاب بنواسرائيل فى الكتاب والسنة ٣٨٤/١ ، وسيرة ابن هشام ٢٨٢/٣ ، وغيرها من كتب السيرة .

(٢) المغازى للواقدى ٤٦٧/٢ ، ٤٦٨ .

((المبحث الثالث))

:: نتائج هذه الغـــــزوة ::

((المبحث الثالث))

:: نتائج هذه الغزوة ::

كانت غزوة الاحزاب من الغزوات الهامة التى خاضها المسلمون ضد أعدائهم وقد وجد فيها المسلمون شدة وخوفا (١).

ومن أهم النتائج لهذه الغزوة ما يلى :

١ — انتصار المسلمون وانهزام أعدائهم وتفرقهم ورجوعهم مدحورين بغيضهم قد خابت آمانيهم وآمالهم .

٢ — تغير الموقف لصالح المسلمين فانتقلوا من موقف الدفاع الى الهجوم وقد أشار الى ذلك النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : (الآن — نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم) (٢).

٣ — كشفت هذه الغزوة خبث يهود بنى قريظة وحقدهم على المسلمين وتربص الدوائر بهم .

فقد نقضوا عهدهم مع النبى صلى الله عليه وسلم فى أحلك الظروف وأصعبها .

---

(١) انظر حديث أم سلمة ص ٢٧٦ .

(٢) رواه الامام البخارى — كتاب المغازى — باب غزوة الخندق ٥ / ١٤٢ ، وانظر فتح البارى ٧ / ٤٠٥ .

٤ — كشفت غزوة الأحزاب حقيقة صدق ايمان المسلمين وحقيقة المنافقين وحقيقة يهود بنى قريظة فكان الابتلاء بغزوة الاحزاب تمحيصا للمسلمين واظهار حقيقة المنافقين واليهود .

وقد تكلم القرآن الكريم بالتفصيل عن هذه المواقف .

٥ — كانت غزوة بنى قريظة نتيجة من نتائج غزوة الاحزاب حيث تم فيها محاسبة يهود بنى قريظة الذين نقضوا العهد مع النبى صلى الله عليه وسلم فى أحلك الظروف وأقساها .

* * *

الباب الثالث

الفصل الثانى

حديث القرآن عن غزوة الأحزاب
وتفسير الآيات الواردة فى ذلك

((الفصل الثاني))

(حديث القرآن عن غزوة الاحزاب)
وتفسير الآيات التى وردت فيهـــا

والآن وقد انتهينا من الحديث عن زمان غزوة الاحزاب ، وعن أسبابها وعن احداثها ونتائجها .

نتجه الى القرآن الكريم لنتأمل الايات التى نزلت فى شأن هذه الغزوة فنجد أن سورة كاملة قد سميت باسم هذه الغزوة وهى سورة الأحزاب .

وهذه السورة كلها مدينة وعدد آياتها ثلاث وسبعون[(١)] .

والذى سنتولاه بالدراسة من هذه السورة الجليلة هو ذاك الحديث المستفيض الذى جاء فيها عن غزوة الأحزاب .

واذا تأملنا الايات الكريمة التى نزلت فى هذه الغزوة نراها تناولت ما يأتى[(٢)] :

١ ـ الوصف العام للغزوة ، وذلك من الآية ٩ الى الآية ١١ .

٢ ـ موقف المنافقين مـــــن المسلمين ، من الآية ١٢ الى الآية ٢٠ .

٣ ـ موقف المؤمنين ، من الآية ٢٠ الى الآية ٢٧ .

٤ ـ نهاية المعركة ، الآية ٢٥ .

٥ ـ نهاية اليهود الذين ظاهروا المشركين ـ وهم بنو قريظة ـ من الآية ٢٦ الى الآية ٢٧ .

---

(١) تفسير البغوى ١٨٦/٥ ، والقرطبى ١١٣/١٤ .

(٢) التفسير الواضح ٦٧/٢١ .

هذا وأغلب المفسرين أطنب من ذكر الغزوتين وجمع مروياتها من السيرة والسنن[(1)].

وقد ابتدأت هذه السورة الكريمة حديثها عن الغزوة من قوله تعالى :

" ياأيها الذين أمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا (٩) اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠) هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (١١) واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا (١٢)

واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا (١٣) ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا (١٤)

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا (١٥) قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا (١٦) قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧) قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا (١٨)

أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا (١٩)

يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وان يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون ، فى الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلا (٢٠) لقد كان

---

(١) نذكر على سبيل المثال لا الحصر : تفسير الطبرى ٢١/١٢٨ .
وتفسير الخازن ٥/٢٠٥ ، وتفسير البغوى ٥/١٩٣ ، (المطبوع بحاشية الخازن) وتفسير القاسمى ١٣/٤٨٣٩ .

لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (٢١) ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم الا ايمانا وسليما (٢٢) من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا (٢٣) ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما (٢٤) ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا (٢٥)

وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياحيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا (٢٦) وأورثكم أرضهم وديارهم واموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا (٢٧)" .

وقد ذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الآيات روايات منها :

١ — ماأخرجه البيهقى فى الدلائل عن حذيقة قال :

لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعودا وأبو سفيان ومن معه من الاحزاب فوقنا وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا .

وما أتت قط ليلة أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها فجعل المنافقون يستأذنون النبى صلى الله عليه وسلم يقولون : ان بيوتنا عورة ، وماهى بعورة فما يستأذن أحد منهم النبى الا اذن له فيتسللون .

اذ استقبلنا النبى صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا حتى اتى على ، فقال : ائتنى بخبر القوم ، فجئت فأخبرته خبر القوم ، وأنزل الله :

" ياأيها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود .". الايه [1]

---

(١) اسباب النزول للسيوطى ص ١٧٢ .

٢ — ومنها ماأخرجه ابن اسحاق والبيهقى أيضا عن عروة بن الزبير ومحمد ابن كعب القرظى وغيرهما قال : قال معتب بن قشير : كان محمد يرى أن يأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب الى الغائط .

وقال أوس بن قيظى فى ملأ من قومه :

ان بيوتنا عورة ، وهى خارجة عن المدينة اذن لنا ترجع الى نسائنا وأبنائنا .

فأنزل الله على رسوله حين فرغ عنهم ماكان من البلاء يذكرهم نعمته عليهم وكفايته اياهم بعد سوء الظن منهم ومقالة من قال من أهل النفاق : "ياأيها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود الايه "(١)

---

(١) أسباب النزول للسيوطى ص ١٧٣ .

تفسير هذه الآيات :

لقد جاءت هذه الايات الكريمة فى أعقاب دعوة المؤمنين — فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم — الى تقوى الله — تعالى — والى توضيح ، بعض التشريعات والتنظيمات فى المجتمع الاسلامى الناشئ .

والى بيان منزلته صلى الله عليه وسلم ومنزلة ازواجه والى تبشير الصادقين بحسن الثواب ، وانذار الكافرين بسوء العذاب .

وقد افتتحت هذه الايات بنداء المؤمنين قال تعالى :

" ياأيها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا "

"ياأيها الذين امنوا : فى هذه الاية الكريمة يتوجه الخطاب من الله الى الذين امنوا طالبا منهم أن يذكروا نعمته عليهم — وناداهم بصفة الايمان ، لتحريك حرارة الايمان فى قلوبهم ، وتحريضهم على الامتثال والطاعة ، قال ابن أبى حاتم — بسنده — أن رجلا أتى عبد الله ابن مسعود فقال أعهد الى ، فقال : اذا سمعت الله يقول " ياأيها الذين امنوا " فأرعها سمعك فانه خير يأمر به أو شر ينهى عنه (١) .

" اذكروا نعمة الله عليكم : المراد بالذكر + . التذكر وعدم النسيان — والمداومة على شكر الله على نعمة ،

---

(١) تفسير ابن كثير ١/١٤٨ .

قال القرطبي : الذكر اسم مشترك ، فالذكر بالقلب ضد النسيان ، والذكر باللسان ضد الانصات .

وذكرت الشئ بلساني وقلبي ذكرا ، واجعله منك على ذكر (بضم الدال) أي لا تنسه[1].

والمراد بالنعمة هنا انجاؤهم من أعدائهم الذين جاءوهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

ومن فوائد تذكر النعم أنها تنبه العقل والقلب لدى المؤمنين لتلك المنافع التي جاءتهم وبالتالي عليهم القيام بحقوقها ، والاكثار من الحديث عنها بالسنتهم فالتحدث بها يغرى بشكرها .

وقوله ـ سبحانه ـ

" اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ":

تفصيل وبيان للنعمة التي أنعم الله على المؤمنين خلال غزوة الاحزاب والمراد بقوله " اذ جاءتكم جنود " قريش وغطفان ويهود بني النضير وقريظه[1].

فأرسل الله عليهم من عنده ريحا وجنودا لم يرها المسلمون قال الرازي : قضى حاجاتكم وأنتم لا ترون[2].

والمراد بالريح : ما أرسله الله على جنود الأحزاب من ريح زلزلتهم وأكفأت قدورهم وكانت ريحا شديدة الهبوب ، شديدة البروده ، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء .

قال مجاهد : وهي ريح الصبا ، ويؤيده الحديث الذى جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس عن

---

(١) تفسير الامام البغوى ٥/١٩٥ (مطبوع بحاشية الخازن)

(٢) تفسير الرازى ٢٥/١٩٨ .

النبى صلى الله عليه وسلم قال : (نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور) [١] .

والمراد بالجنود فى قوله " وجنودا لم تروها : هم الملائكة الذين أرسلهم الله — تعالى — لنصر المؤمنين وسحر الكافرين قال ابن كثير : هم الملائكة زلزلتهم وألقت الرعب والخوف فكان كل رئيس قبيلة يقول الى ، فيجتمعون اليه فيقول : النجاء ، النجاء لما القى الله عز وجل فى قلوبهم الرعب [٢] .

وقد شاركت الملائكة فى غزوة الاحزاب بجانب المسلمين — وذلك بالقاء الرعب وغيره فى قلوب الأحزاب — وقد جاء ذكر حمل الملائكة للسلاح فى غزوة الأحزاب فى صحيح البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها ، قالت: لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال : وضعت السلاح ، والله ماوضعناه . فأخرج اليهم قال : أين ؟ قال هاهنا وأشار الى قريظة ، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم اليهم [٣] .

---

(١) صحيح البخارى — كتاب المغازى — باب غزوة الخندق ٥ / ١٤٠ ، وانظر فتح البارى ٧ / ٣٩٩ ، وصحيح مسلم — كتاب صلاة الاستسقاء — باب فى ريح الصبا والدبور ٢ / ٦١٧ رقم (٩٠) .

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٧٠ .

(٣) صحيح البخارى — كتاب المغازى — باب مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من الاحزاب ٥ / ١٤٢ ، وانظر فتح البارى ٧ / ٤٠٧ وصحيح مسلم — كتاب الجهاد والسير — باب قتال من نقض العهد — ٣ / ١٣٨٩ رقم (١٧٦٩) .

وكذلك قد من الله على رسوله فأيده بنصره فى حنين بالملائكة فقـــال تعالى " وأنزل جنودا لم تروها " التوبة ٢٥ (١)، فكانت الملائكة نعمة أنعمهـــا الله على عباده المؤمنين .

والمعــــنى :

يامن آمنتم بالله واليوم الآخر داوموا على شكر الله ـ تعالى ـ علـــى نعمة حيث من عليكم بنصره ولطفه ، وقت ان جاءتكم جنود كثيرة من كل حــدب وصوب لاستئصال شأفتكم ، ومحو دولتكم فأرسلنا على هؤلاء الجنود المعتدين ريحا شديدة البرودة ، كما أرسلنا عليهم جنودا من ملائكتنا لم تروها .

وكان سبحانه بما تعملون أيها المؤمنون من اتخاذكم التدابير الوقائية من حفر الخندق والالتجاء اليه بصيرا لا تخفى عليه خافية من اقوالكـــم وأعمالكم .

وترى معى أيها القارئ الكريم أن هذه الاية رغم أنها موجزة الكلمـــات الا أنها تتضمن معان كثيرة أشار اليها صاحب الظلال فقال :

وهكذا . . يرسم القرآن الكريم فى هذه البداءة المجملة بدء المعركـة وختامها ، والعناصر الحاسمة فيها . . يرسم مجئ الأعداء وارسال ريح اللـــه التى لم يرها المؤمنون ونصر الله المرتبط بعلم الله بهم وبصره بعملهم . (٢)

وناداهم سبحانه بصفة الايمان على سبيل التكريم لهم والحض على شكـر نعمه .

---

(١) أضواء البيان ٦/٥٧٣ .

(٢) فى ظلال القرآن ٥/٢٨٣٦ .

وكذلك أضاف النعمة اليه سبحانه تشريفا وتعظيما لهذه النعمة وبيان رفعتها وسمو قدرها .

ونكر لفظ " جنود " فى قوله " اذ جاءتكم جنود " للتهويل والتكثير .

وكذلك الشأن فى قوله " فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها " جاءت بالتنكير وهو يفيد التهويل والتعظيم .

والتعبير بالريح دون الرياح يشير الى أنها ريح مهلكه .

قال الراغب :

والريح معروف وهى فيما قيل الهواء المتحرك وعامة المواضع التى ذكر فيها ارسال الريح بلفظ الواحد عبارة عن العذاب وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع عبارة عن الرحمة .(١)

فمن المواضع التى ذكر فيها الريح قوله تعالى " انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر " (القمر ١٩) .

وقوله تعالى " فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها " (الاحزاب ٩)

وقوله تعالى " واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتيه " (الحاقه ٦) .

وقوله تعالى " وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم " (الذاريات ٤١)

ومن المواضع التى جاءت بصيغة الجمع قوله تعالى :

" وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين " (الحجر ٢٢) .

وقوله تعالى " ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات " (الروم ٤٦)

وقوله تعالى " وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته " (الاعراف ٥٧).

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ٢٠٦ .

ثم وصف ـ سبحانه ـ حالة المؤمنين فى المدينة وهم محاصرون من قبل جموع الأحزاب فقال تعالى :

" اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا "

وقوله تعالى :

" اذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم " تصوير للهول الذى دهم المؤمنين بسبب جموع الأحزاب التى كشرت عن أنيابها تريد أن تستبيح المدينة .

وأنه حقا رهبه روع المدينة بأسرها بلغ الكرب فيه كل مبلغ والاية توضح كيفية مجيئهم .

وأذ : هنا فى موضع نصب بمعنى واذكر .(١)

ومعنى من فوقكم : يعنى من فوق الوادى ، وهو أعلاه من قبل المشرق جاء منه عوف بن مالك فى بنى النضير ، وعيينه بن حصن فى أهل نجد ، وطلحة بن خويلد فى بنى أسد

ومعنى من أسفل منكم : يعنى بطن الوادى من قبل الغرب ، جاء منه ابو سفيان بن حرب على أهل مكه.(٢)

وذهب ابن كثير : الى أن الذين جاءوهم من فوقهم هم جموع الأحزاب وأن ، الذين جاءوا من أسفل منهم هم بنو قريظة واستشهد برواية حذيفة رضى الله عنه.(٣)

---

(١) تفسير القرطبى ١٤/١٢٨ ،

(٢) المصدر نفسه .

(٣) انظر الرواية ص ٢٨٣ وانظر تفسير ابن كثير ٣/٤٧٢ .

هذا ومن فسر بالأول اعتبر أصل القدوم ومن أخذ بالثانى اعتبر نفس الموقعة ، فكانت قريظة أسفل وجموع الأحزاب فوق من ناحية أحد ،

والحقيقة أن المقصود أن الاحزاب أحاطوا بالمؤمنين من أعلى الوادى وأسفله ، لأنهم كانوا يريدون استئصالهم .

وقوله سبحانه " واذ زاغت الابصار "

تصوير لما أصاب المسلمين من كروب بسبب مداهمة أعدائهم لهم .

وزاغت الأبصار : أى مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا (١) وذلك لعظم المصاب وشدة الهول .

ثم قال تعالى " وبلغت القلوب الحناجر "

أى اشتد بها الخوف والفزع ، فانتقلت من مكانها الى مكان الحناجر وهو نهاية الحلقوم .

وذلك أن الرئة تنتفخ من الفزع ، فترتفع ، ويرتفع القلب بارتفاعها

قال قتادة :

أى زالت عن أماكنها عن الصدور حتى بلغت الحناجر وهى الحلاقيم واحدها حنجرة فلولا أن الحلوق ضاقت عنها لخرجت. (٢)

والجملة الكريمة تصوير ما أصاب المسلمين من اضطراب القلوب تصويرا بليغا .

وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قلنا يوم الخندق يارسول الله هل من شئ نقول ، فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال

---

(١) تفسير الكشاف ٣/٥٢٦ .

(٢) تفسير القرطبى ١٤/١٤٥ .

صلى الله عليه وسلم ، نعم قولوا : (اللهم استر عوراتنا ، وامن روعاتنا) قال فضرب وجوه أعدائه بالريح فهزمهم بالريح[١] .

وقوله " وتظنون بالله الظنونا " .

قال الحسن : ظنون مختلفة ظن المنافقون أن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه يستأصلون وأيقن المؤمنون أن ماوعد الله ورسوله حق سيظهره على الدين كله ولوكره المشركون[٢] .

وقال الطبرى :

(وتظنون بالله الظنونا) يقول وتظنون بالله الظنون الكاذبة وذلك كظن من ظن منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغلب وأن ماوعده الله من النصر لا يكون ، ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التى ظنها ممن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عسكره[٣] .

وقال محمد بن اسحاق : فى قوله (وتظفون بالله الظنونا)

ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على أن يذهب الى الغائط[٤] .

ويحدثنا الامام الرازى عن النواحى البلاغية فى الاية فيقول :

(وتظنون بالله الظنونا) الألف واللام يمكن أن يكونا بمعنى الاستغراق

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣ / ٤٧٢ ، والحديث رواه الامام أحمد فى مسنده عن أبى عامر العقدى عن الزبير بن عبد الله عن ربيح بن أبى سعيد الخدرى عنه أبيه ٣ ص ٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٧٢ .

(٣) تفسير الطبرى ٢١ / ١٣١ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٧٢ .

مبالغة يعنى تظنون كل ظن لأن عند الأمر العظيم كل أحد يظن شيئا .

ويمكن أن يكون ظنونهم المعهودة ، لأن المعهود من المؤمن ظن الخير بالله كما قال عليه السلام " ظنوا بالله خيرا " ومن الكافر الظن السوء كما قال تعالى " ذلك ظن الذين كفروا " .

والفائدة من قوله " الظنونا " هى أن الله تعالى لو قال : تظنون ظنا جاز أن يكونوا مصيبين فاذا قال : ظنونا ، تبين أن فيهم من كان ظنه كاذبا لأن الظنون قد تكذب كلها ، وقد يكذب بعضها اذا كانت فى أمر واحد فقوله (الظنونا) أفاد فيهم من اخطأ الظن .

ولو قال تظنون ظنا ما كان يفيد هذا .(1)

ثم ذكر سبحانه ان هذه الشدائد محصت المؤمنين ، وأظهرت المنافقين (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا).

هنالك ابتلى المؤمنون : قال القرطبى : هنا : للقريب من المكان ، وهنالك : للبعيد ، وهناك : للوسط ، ويشار به الى الوقت أى عند ذلك اختبر المؤمنون ليتبين المخلص من المنافق ، وكان هذا الابتلاء بالخوف والقتال والجوع والحصر والنزال .(2)

وزلزلوا زلزالا شديدا : أصل الزلزله شدة التحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب وتزعزها(3) و(الزلازل) الشدائد أى شدد عليهم وهول .(4)

---

(1) تفسير الرازى ٢٥/١٩٨ بتصرف

(٢) تفسير القرطبى ١٤/١٤٦ .

(٣) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى ٣/١٣٤ .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبه ـ بتحقيق سيد صقر ص ٣٤٨ .

والمعـــــنى :

فى ذلك الوقت المصيب اختبر الله المؤمنين فتميز الصادق مــــن الكاذب والمؤمن من المنافق ، وزلزلوا وأزعجوا وحركوا تحريكا شديدا وبلغوا غاية الجهد والضيق .

وعلل الامام الرازى هذا الابتلاء بقوله :

والامتحان من الله ليس لاستبانة الأمر له بل لحكمة أخرى ، وهـــى أن الله تعالى عالم بما هم عليه لكنه أراد اظهار الأمر لغيره من الملائكـــة والأنبياء .

كما أن السيد اذا علم من عبده المخالفة وعزم على معاقبته على مخالفته وعنده من العبيد وغيرهم ، فيأمره بأمر عالما بأنه يخالفه فيبين الأمر عنـــد الغير ، فتقع المعاقبة على أحسن الوجوه حيث لا يقع لاحد أنها بظلــــم أو من قلة حلم .(١)

ثم تحدث ــ سبحانه ــ باسهاب عن موقف المنافقين فى هذه الغــزوة فقال تعالى :

" واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسولــه الا غرورا "

غرورا : من غرر يقال غررت فلانا أصبت غرته ونلت منه ماأريده .

والغره غفلة فى اليقظة ، والغرار غفلة مع غفوة ، وأصل ذلك مــن الغر وهو الأثر الظاهر من الشئ ومنه غرة الفرس .

وغرة كذا غرورا كأنما طواه على غره .(٢)

---

(١) تفسير الرازى ٢٥/١٩٩ .

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٥٨ .

وقوله تعالى " واذ يقول المنافقون "

شرع — سبحانه — فى تفصيل موقف المنافقين الذين يظهرون الايمان ، ويخفون الكفر .

وقوله تعالى " والذين فى قلوبهم مرض "

صفة اخرى للمنافقين فهم قلوبهم مريضة مليئة بالشبهات والوساوس .

وقال الألوسى : ظاهر العطف أنهم قوم لم يكونوا منافقين فقيل : هم قوم كان المنافقون يستميلونهم بادخال الشبهة عليهم .

وقيل : قوم كانوا ضعفاء الاعتقاد لقرب عهدهم بالاسلام .

وجوز أن يكون المراد بهم المنافقين أنفسهم والعطف لتغاير الوصف كقولك الى الملك القرم وابن الهمام .(١)

وقوله تعالى " ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا "

هذه مقالة المنافقين ، ويقصدون أى ماوعدنا الله الا باطلا من القول

قال القرطبى(٢) :

(وذلك أن طعمه بن أبيرق ومعتب بن قشير وجماعة نحو من سبعين رجلا قالوا يوم الخندق : كيف يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع أحدنا أن يتبرز ؟ .(٣)

والمعنى :

اذكروا — أيها المؤمنون — لتزدادوا حذرا من المنافقين وأشباههم وقت أن قالوا على سبيل التهكم والتشكيك ، ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا — وخداعا .

---

(١) تفسير الألوسى ٢١/١٥٨ .

(٢) تفسير القرطبى ١٤/١٤٦ .

(٣) انظر رواية ابن اسحاق والبيهقى فى اسباب النزول ص ٢٨٤

ثم بينت الايات مزيدا من مواقف المنافقين المخزيه ، فهم لم يكتفوا باتهام النبى صلى الله عليه وسلم بخداعهم بل قام فريق منهم يدعوا الى الفرار من المعركة قال تعالى :

" واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعوره ان يريدون الا فرارا "

قوله تعالى " واذ قالت طائفة منهم ": الطائفة تقع على الواحد فما فوقه[1] ، واختلف فى تحديدها ، قال السدى : هم عبدالله بن ابى بن سلول وأصحابه ، وقال مقاتل : هم بنو سلمة ، وقال أوس بن رومان : هم أوس بن قيظى وأصحابه بنو حارثة[2] .

قوله تعالى " واذ قالت طائفة منهم يااهل يثرب ": يثرب : هى المدينة المنورة ، وقال أبو عبيد : يثرب اسم أرض — والمدينة ناحية منها ، وقال ابن كثير : يعنى المدينة كما جاء فى الصحيح "، أريت فى المنام دار هجرتكم أرض بين حرتين فذهب وهلى أنها هجر فاذا هى يثرب " وفى لفظ المدينة[3] .

وقال السهيلى : وسميت يثرب لان الذى نزلها من العماليق اسمه يثرب بن عميل بن مهائيل بن عوف بن عملاق بن لاوذ بن آرم[4] .

---

(١) تفسير القرطبى ١٤/١٤٦ .
(٢) تفسير الالوسى ٢١/١٥٩ .
(٣) تفسير ابن كثير ٣/٤٧٣ .
(٤) تفسير القرطبى ١٤/١٤٦ .

وقال الراغب : التثريب التقريع بالذنب والثرب شحمة رقيقة ، ويثرب يصح ان يكون اصله من هذا الباب[١]. هذا ويكره تسمية المدينة يثرب لورود النهى بذلك وما جاء هنا هو حكاية عن قول المنافقين وليس اقرارا ، للاسم[٢].

وقوله " لا مقام لكم فارجعوا " : قال القرطبى : بفتح الميم قراءة العامة ـ أى عامة القراء ـ وقرأ حفص والسلمى والجحدرى وأبو حيوه بضم الميم ، يكون مصدرا من امام يقيم أى لا ـ اقامة ، ومن فتح فهو اسم مكان ، أى لا موضع لكم تقيمون فيه[٣].

والمعنى :

يحدثنا ـ سبحانه ـ فى هذه الاية عن أقوال المنافقين ، فيخبرنا عن قول طائفة منهم حيث قالوا " ياأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا " أى لا ـ مكان لكم وعليكم بالرجوع الى المدينة وأتركوا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يواجه الأحزاب وحده .

---

(١) تفسير الالوسى ٢١/١٥٩ .
(٢) انظر وفاء الوفا : ١/٨ ، والمدينة فى العصر الجاهلى ص ٢٣ .
وتفسير الالوسى ٢١/١٥٩ .
(٣) تفسير القرطبى ١٤/١٤٨ .

ثم بينت الآية الكريمة كيفية انسحاب المنافقين من جبهة القتال فقد استأذنوا من النبى صلى الله عليه وسلم معتذرين بشتى الأعذار الواهية قال تعالى " ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعوره ان يريدون الا فرارا " .

وأصل العورة من العار وذلك لما يلحق فى ظهوره من العار والمذمة والعوار والعوره شق فى الشئ كالثوب والبيت ونحوه(١) .

والمراد يستأذن فريق من المنافقين النبى ويقولون له ان بيوتنا مكشوفة غير محروسه وهى فى الحقيقة محصنة فالمنافقين يكذبون ويختلقون الأعذار الواهية ، وما مقصدهم من ذلك الا الفرار من ساحة المعركة وترك المسلمين فى أشد الظروف وأحرج الاوقات .

قال ابن كثير : قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما هم بنو حارثه قالوا : بيوتنا نخاف عليها السراق وكذا قال غير واحد(٢) .

ونستفيد من هذه الاية أن موقف المنافقين كان سلبيا بل كانوا مرجفين .

فهم بدل المساعدة قاموا بأشد ما قام به الأحزاب حيث انسحبوا فى أحلك الاوقات ناشرين الأراجيف فى الجيش الاسلامى بأن لا مقام لهم وأن ، بيوتهم مكشوفة .

ومعروف أن الأراجيف لها أثر كبير فى هزيمة الجيوش وهى أشد من وقع السيوف وذلك لأنها تهبط الحالة المعنوية للجيش فيصيبه الخور والضعف .

وهكذا مرت ساعات عصيبة على الجيش الاسلامى تعرض فيها المسلمون لأشد المحن وصدق الله العظيم حيث قال : " وزلزلوا زلزالا شديدا " .

---

(١) المفردات فى غريب القرآن : للراغب : ص ٣٥٢ .
(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٧٣ .

وتستمر الايات في كشف خبايا المنافقين وما تضمره نفوسهم وما تتمنـــاه قلوبهم وتهوى اليه افئدتهم فقال تعالى :

" ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بهـــا الا يسيرا " .

وقوله " دخلت : فعل مبني للمجهول والفاعل محذوف للعلم به والتقدير ولو دخل الأعداء ، قال الالوسي : وفاعل الدخـــول من أهل الفساد من كان أي لو دخل كل من أراد — الدخول من أهل الدعاره والفساد بيوتهم وهم فيها . (1)

والأقطار في قوله تعالى " من أقطارها " : جمع قطر ، قال الشوكاني : — يعني بيوتهم أو المدينة ، والأقطار : النواحي جمع قطر ، وهو الجانب والناحية . (٢)

والمراد بالفتنة في قوله تعالى " ثم سئلوا الفتنة " : هي الدخول في الكفـــر قال ابن كثير : يخبر سبحانه عن هؤلاء الذيـــــــن (يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعوره ان يريدون الا فرارا) أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانـــب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها ثم سئلوا الفتنـــة وهي الدخول في الكفر لكفروا سريعا وهم لا يحافظون على الايمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفـــــزع هكذا فسرها قتادة وعبد الرحمن بن زيد وابن جريـــــر وهذا ذم في غاية الذم . (٣)

---

(١) تفسير الالوسي ٢١/١٦١ .
(٢) تفسير فتح القدير للشوكاني ٤/٢٦٧ .
(٣) تفسير ابن كثير ٣/٤٧٣ .

واختلف القراء في قراءة قوله (لاتوها) :

فقرأ عامة قراء المدينة وبعض قراء مكة (لأتوها) بقصر الألف ، بمعنى جاءوها منهم نافع وابن كثير وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفة والبصره (لآتوها) بمد الألف بمعنى لاعطوها .[1]

وقال الجمل (لاتوها) بالمد والقصر سبعيتان .[2]

والضمير المجرور في قوله (وما تلبثوا بها) :

يعود الى المدينة التي هي محل مساكنهم والمعنى على ذلك : ولو دخل الاعداء على هؤلاء المنافقين بيوتهم ، ثم طلبوا منهم الدخول في الكفر لاستجابوا لهم بعد قبولهم للفتنة وما تلبثوا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا يسيرا حتى يهلكهم الله ، وذهب الى هذا السدى والحسن .[3]

ويرى كثير من المفسرين أن الضمير يعود الى الفتنة والمعنى على ذلك : ما ترددوا في قبولها الا زمنا قليلا ، ثم هرولوا اليها مسرعين ، لضعف ايمانهم وفساد نفوسهم .[4]

فالاية الكريمة تصور ـ أكمل تصوير ـ ماجبلت عليه نفوس هؤلاء المنافقين من جبن خالع ، ومن مسارعة الى الدخول في الكفر والفسوق والعصيان بدون تريث أو تفكير .

---

(١) تفسير الطبرى ٢١/١٣٦ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ٣/٤٢٧ .

(٣) و(٤) انظر تفسير القرطبي ١٤/١٤٩ .

ثم ذكرهم — سبحانه — بما كانوا قد عاهدوه عليه من قبل فقال تعالى ::

" ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا " (١٥) .

قال الطبرى : ذكر ان ذلك نزل فى بنى حارثة لما كان من فعلهم فى الخندق بعد الذى كان منهم بأحد .

ثم قال عن يزيد بن رومان فى قوله تعالى "

" ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا " هم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين هما بالفشل يوم احد ، ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها ، — لكنهم عادوا — فذكر الله لهم الذى اعطوه انفسهم[1].

المعنى :

ولقد كان هؤلاء المنافقون — وهم بنو حارثة — ومن كان على شاكلتهم قد هربوا يوم احد وفروا من لقاء عدوهم ، ثم تابوا وعاهدوا الله الا يعودوا الى مثلها والا ينكصوا على أعقابهم حين قتالهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى : " وكان عهد الله مسئولا " تذييل قصد به تأكيد ماللعهد من حرمه أى وكان عهد الله محلا للسؤال يسأل عنه الوفاء به يوم القيامة ، وسيجازى — سبحانه — الناقضين لهذا العهد بما يستحقونه من عقاب .

وفى قوله تعالى " لا يولون الأدبار " كناية عن الفرار من الزحف[2].

---

(١) تفسير الطبرى ٢١/١٣٧ بتصرف يسير .

(٢) صفوة التفاسير ٢/٥١٨ .

ثم امر الله رسوله ان يقول لهم : ان فراركم لا يؤ خر آجالكم ولا يطيل أعماركم فقال تعالى :

" قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا " (١٦) .

أى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الفارين من قتال العدو ومنازلته فى الميدان قل لهم : ان فراركم هذا لن ينجيكم من الموت متى حل بكم وقته ، أو من القتل متى حضركم آوانه ، فهذه سنة الله فى الكون ، قال تعالى " ان أجل الله اذ جاء لا يؤ خر لو كنتم تعلمون " (١) . وقال تعالى " فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " (٢) . وقال تعالى " قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم (٣) .. الاية .

فالاية الكريمة تحرض هؤلاء الجبناء على الثبات فى وجوه الأعداء وتأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يوبخهم على سوء أفعالهم ، وأن يبين لهم أن الموت آت لا ريب فيه ، وأنهم حتى ولو فروا منه فسيدركهم ، ولو بعد زمن يسير .

وقوله " واذا لا تمتعون الا قليلا " بيان لقله تمتعهم بالحياة حتى وان نجوا من الموت والقتل بالفرار .

فالمعنى :

وان نفعكم الفرار بأن دفع عنكم الموت فتمتعتم بالحياة فان ذلك التمتع لن يدوم الا زمنا قليلا ، فان ايام الحياة مهما طالت قصيرة .

---

(١) سورة نوح ، اية ٤ .
(٢) سورة الاعراف ، اية ٣٤ .
(٣) سورة آل عمران ، آية ١٥٤ .

ثم اكد — سبحانه — هذا المعنى السابق وهو ان فرارهم لن ينجيهم من الموت أو القتل فقال تعالى :

" قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءًا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا " (١٧) .

الاستفهام فى قوله (من ذا الذى يعصمكم من الله) :

للنفى قال الألوسى : استفهام فى معنى النفى أى ، لا أحد يمنعكم من الله عز وجل وقدره جل جلاله أن خيرا وان شرا[١].

والمعنى :

قل لهم يا محمد لهؤلاء المنافقين على سبيل التوبيخ والتذكير : لا — أحد يستطيع أن يمنع عنكم شرا — من قتل أو بلاء — قدره الله عليكم ، أو يؤتيكم خيرا ان لم يكن أراده لكم ، وشبيه بهذه الايه قوله تعالى : " ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم "[٢] .

وقوله — سبحانه — " ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا" — تذييل قصد به التأكيد لما سبق من الحض على الطاعة ، والنهى عن الجبن والمعصية أى ولا يجد هؤلاء المنافقون وليا ينفعهم غير الله ، ولا نصيرا يدفع السوء عنهم .

قال الرازى : أى ليس لكم ولى يشفع لمحبته اياكم ولا نصير ينصركم ويدفع السوء اذا أتاكم[٣].

---

(١) تفسير الالوسى ٢١/١٦٣ .

(٢) سورة فاطر ، آية ٢ .

(٣) تفسير الرازى ٢٥/٢٠١ .

ثم يقرر — سبحانه — علمه المؤكد بالمرجفين والمخذلين من المنافقين

فقال تعالى :

" قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا " (١٨) .

قـــد : هنا للتحقيق والتأكيد ، والتحقيق هنا أتى مـــن موضوعها وهو علم الله — تعالى — لا من ذاتها .

قال أبو حيان : (قد) كـربما في التحليل والصرف الى معنى المضي يعنى اذا دخلت على المضـــارع قال هذا ظاهر قول سيبويه ، فان خلت من معـــنى التقليل خلت غالبا من الصرف الى معنى المضي .

وتكون حينئذ للتحقيق والتوكيد نحو قوله " قد يعلـــم انه ليحزنك " وقوله " لم تؤذونني وقد تعلمون أنـــي رسول الله اليكم " (١) .

المعوقيـــــن : المتبطين عن القتال ، قال القرطبي :

والمعوقين مشتق من عاقني عن كذا أي صرفني عنـــــه وعوق : على التكثير .

والعوق : المنع والصرف يقال : عاقه يعوقه عوقـــــا وعوقه واعتاقه بمعنى واحد (٢) .

هلـــــم : بمعنى أقبل قال الزمخشري :

وهي لغة أهل الحجاز : يسوون فيه بين الواحـــــد والجماعة وأما تميم فيقولون : هلم يارجل وهلموا يارجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب (٣) .

---

(١) تفسير البحر المحيط ٤ / ١١٠ .
(٢) تفسير القرطبي ١٤ / ١٥١ .
(٣) تفسير الكشاف ٣ / ٥٢٠ .

وهناك ثلاثة أقوال فى تفسير قوله تعالى : " والقائلين لاخوانهم هلم الينا " ذكرها القرطبى فقال :

أحداهـا : أنهم المنافقون ، قالوا للمسلمين : مامحمد وأصحابه الا أكله رأس — أى هم قليل يشبعهم رأس واحد وهو جمع آكل — وهو هالك ومن معه فهلم الينا .

ومن ذهب الى هذا القول قتادة — حيث قال :

كان المنافقون يقولون لاخوانهم من ساكنى المدينة من الأنصار : مامحمد وأصحابه الا أكلة رأس — يريدون أنهم قليلو العدد — لو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه ، فخلوهم (1) .

وقال الشوكانى : قال المفسرون : هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبى صلى الله عليه وسلم ، فخلوهم وتعالوا الينا (٢) .

الثانى : أنهم اليهود من بنى قريظة ، قالوا لاخوانهم من المنافقين : هلم الينا ، أى تعالوا الينا وفارقوا محمدا فانه هالك وأن أبا سفيان ان ظفر لم يبق منكم احدا .

الثالث : ماحكاه ابن زيد :

أن رجلا من أصحاب النبى محمد صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف ، فقال له أخوه — وكان من امه وابيه — هلم الى ، قد يقع بك وبصاحبك ،(أى قد

---

(١) تفسير الالوسى ٢١/١٦٤ .

(٢) تفسير فتح القدير ٤/٢٦٩ .

أحيط بك وبصاحبك) فقال له كذبت ، والله لا خبرنه
بأمرك وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره
فوجده قد نزل عليه جبريل — عليه السلام — بقوله (قد
يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا [(١)] "

هذا والذى أميل اليه أن الآية الكريمة تشمل كل من وقف موقفا متخاذلا في غزوة الأحزاب ، ولم يشارك المؤمنين فى جهادهم ، ويدخل فى ذلـــك المنافقون وخولا أوليا فهم على رأس هؤلاء المعوقين للمؤمنين عن الجهاد .

وقوله تعالى (ولا يأتون البأس الا قليلا) :

البأس : القتال والحرب قال ابن قتيبه : فى قولـــه
(وحين البأس [(٢)]) أى حين الشدة ، ومنه يقال لا بأس
عليك ، وقيل للحرب : البأس .
قال الراغب : والبؤس والبأس والبأساء الشدة والمكروه
الا أن البأس فى الفقر والحرب أكثر .
قال الطبرى : ولا يشهدون الحرب والقتال ان شهدوا
الا تعذيرا ودفعا عن أنفسهم .

---

(١) تفسير القرطبى ١٤/١٥١ .
(٢) تفسير الالوسى ٢١/١٦٣ .
(٣) تفسير فتح القدير ٤/٢٦٩ .
(٤) سورة البقرة ،آية ١٧٧ .
(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبه ص ٧٠ .
(٦) المفردات فى غريب القرآن للراغب ص ٦٦ .
(٧) تفسير الطبرى ٢١/١٣٩ .

المعنـــــى :

الخطاب فى الآية الكريمة للرسول صلى الله عليه وسلم ـ فهى تابعـــة للآية السابقة ـ وهى تحذر هؤلاء المنافقين من الأعمال التى قاموا بهـــا موكدة علم الله بهم وهم يثبطون المسلمين عن القتال وعن نصرة رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم .

وكذلك أكدت علم الله بالمنافقين القائلين لاخوانهم من الانصار هلـــم الينا ـ فهم يريدون أن يبقى النبى صلى الله عليه وسلم وحده فى المعركـة ليهلك فيحصل مبتغاهم ـ وهم مع هذا كله لا يشهدون القتال الا نادرا ـ وذلك ليعتذروا به ويدفعون به التهم عن أنفسهم .

ويمكن أن نلخص أعمال المنافقين التى ذكرتها الآية كما يلى :

١ ـ أن المنافقين لم يكتفوا بالانسحاب بدعوى أن بيوتهم عورة بل قامـــوا بمحاربة المسلمين كجبهة داخله منشقة تريد هدم معنويات الجيـــش الاسلامى .

٢ ـ استعمل المنافقون أساليب عديدة للوصول لغرضهم ، منها :

أ ـ القيام بالتثبيط والارجاف فى الجيش الاسلامى .

ب ـ دعوة الجيش للتمرد والانسحاب عن الجبهة وترك النبى صلى الله عليه وسلم وحده يواجهه الهلاك .

هذا ويستفاد من الآية مايلى :

١ ـ تحذير المنافقين سوء عاقبة صنيعهم هذا وبيان أن الله محيط بهـــم عالم بما يصنعون .

٢ ــ تأكيد علم الله بجميع مايصدر عن المنافقين من أفعال وأقوال ونيات سيئه .

٣ ــ فضح المنافقين وبيان أنهم لا يحضرون القتال الا نادرا وأن قصدهم دفع التهم عنهم لا لرفع كلمة الله .

ثم ذكر ــ سبحانه ــ حالة المنافقين عند الخوف والأمن وعلل سبب ذلك منهم فقال تعالى :

" أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا " (١٩)

قوله (أشحة عليكم) : أشحة : جمع شحيح وهو البخيل[1] .

قال الألوسى : و(اشحة) جمع شحين على غير القياس اذ القياس فعيل الوصف المضعف عينه ولامه أن يجمع على افعلاء كضنين وأضناء وخليل وأخلاء ، فالقياس اشحاء وهو مسموع ايضا .

ونصبه عند الزجاج وأبى البقاء على الحال من فاعل (يأتون) على معنى تركوا الاتيان أشحة[2] .

والمقصود أى بخلاء عليكم بالنفقة والنصره ، فهم لا يودون مساعدتكم لا بنفس ولا مال ، وقد جاءت عدة معان لها عند السلف ذكرها القرطبى فقال : قوله تعالى (اشحة عليكم) أى بخلاء عليكم فى الحفر فى الخندق والنفقة فى

---

(١) تفسير البحر المحيط ٧/٢٢٠ .

(٢) تفسير الالوسى ٢١/١٤٤ .

سبيل الله ، قاله مجاهد وقتادة . وقيل : بالقتال معكم . وقيل : بالنفقة على فقرائكم ومساكينكم . وقيل : أشحة بالغنائم اذا أصابوها ، قاله السدى.[١]

والآية الكريمة لم تذكر المتعلق ليشمل شحهم كل ذلك من البخل والنفقة وغيرها .

وقوله " فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت " .

تصوير بديع لما جبلت عليه نفوسهم من جبن خالع وشح شديد .

والمراد بالخوف هنا : هو الخوف من مقدمات القتال وهو اقبال العدو .

قال السدى : الخوف من قتال العدو اذا أقبل.[٢]

والمراد بقوله " تدور أعينهم " : أى أحداقهم والجملة حالية أى دائرة أعينهم من شدة الخوف والمعنى : تدير أعينهم أحداقهم.[٣]

والمراد من قوله " كالذى يغشى عليه من الموت " :

أى دورانا كدوران عين الذى يغشى عليه .

قال فى البحر : " كالذى " فى موضع الصفه لمصدر محذوف وهومصدر مشبه أى دورانا كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت ، فبعد الكاف محذوفان وهما دوران وعين.[٤] وهى تشبيه تمثيلى وذلك لأن وجه الشبه منتزع من متعدد .

---

(١) تفسير القرطبى : ١٤/١٥٢ .
(٢) تفسير القرطبى : ١٤/١٥٣ .
(٣) تفسير الالوسى : ٢١/١٦٥ .
(٤) تفسير البحر المحيط ٧/٢٢٠ .

فالآية تبين حالة المنافقين وتكشف عن حقائق نفوسهم فهم أشحة على المؤمنين بكل خير ، فنفوسهم تبطن كل شر وتبخل عن كل خير للمسلمين ومع ذلك تراهم اذا جاء الخوف بسبب اقبال الأحزاب — على المدينة — اذا بهم يشملهم الهلع ويلبسهم الذعر فاذا أفئدتهم هواء . فهم اذا ماأقبل العدو لقتالهم رأيتهم — أيها الرسول الكريم — ينظرون اليك في حيرة وخوف ، (تدور أعينهم) في رؤوسهم ، مثل دوران عين الذى يغشى عليه من الموت فهم جبناء تراهم ترتعد فرائصهم خوفا وجبنا . وهوكما قال الزمخشرى :

(ينظرون اليك) في تلك الحالة كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك .[1]

فالجملة الكريمة تصوير جبنهم وذعرهم عند بوادر القتال تصويرا بليغا معجزا .

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى — في سورة محمد صلى الله عليه وسلم — " ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم ".[2]

وقوله : " فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد "

تصوير لأحوالهم الذميمة بعد انتهاء القتال ، فهم عند القتال جبناء وعند ما ينتهى القتال اذا بهم يظهرون بمظهر الشجاعة والفصاحة كما قال القائل :

واذا ماخلا الجبان بأرضه ✻ طلب الطعن وحده والنزالا

---

(١) تفسير الكشاف ٣ / ٥٣٠ .

(٢) سورة محمد ، آية ٢٠ .

وأصل السلق : بسط العضو ومده للقهر سواء كان يدا أو لسانا . فسلق اللسان الطعن والذم[١]. يقال سلق فلان فلانا بلسانه : اذا اغلظ له القول مجاهرا[٢].

" وسلقوكم بالسنة حداد " استعارة مكنية شبه اللسان بالسيف المصلت وحذف ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو السلق بمعنى الضرب على طريق الاستعارة المكنية[٣].

وعبر بكلمة " حداد " أى لها تأثير فى الاذية كتأثير الحديد[٤].

وقال الالوسى : اى آذوكم بالكلام وخاصموكم بألسنة سلطة ذربه قاله الفراء .

وعن قتادة : بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنائم يقولون : أعطونا أعطونا فلستم بأحق بها منا .

وعن يزيد بن رومان : بسطوا ألسنتهم فى أذاكم وسبكم وتنقيص ماأنتم عليه من الدين[٥].

---

(١) تفسير الالوسى : ٢١/١٦٥ .
(٢) تفسير فتح القدير : ٣/٥٢٠ .
(٣) صفوة التفاسير : ٢/٥١٨ .
(٤) تفسير الجمل : ٣/٢٤٩ .
(٥) تفسير الالوسى : ٢١/١٦٥ .

والمراد : أن من صفات هؤلاء المنافقين أنهم اذا ماانتهى القتال وذهب الخوف ، بسطوا السنتهم بالسوء للمؤمنين .

وقال الزمخشرى عند تفسير هذه الآية : اذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة : نقلوا ذلك الشح الى الخير ، وهو المال أو الغنيمة — ونسوا تلك الحالة الأولى ، واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم فقالوا :

وفرؤا قسمتنا فانا شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه .(١)

وقوله " أشحة على الخير "

تأكيد لصفاتهم الذميمة — التى سبق الحديث عنها — أى :

ان من صفات هؤلاء المنافقين أنهم بخلاء بكل خير ، وأسخياء بكل شر فهم اذا أخذوا الغنائم شحوا بها عن كل طريق للخير واختصوا بها لأنفسهم .

قال القرطبى : (أشحة على الخير) أى على الغنيمة قاله يحى بن سلام ، وقيل : على المال أن ينفقوه فى سبيل الله قاله السدى .(٢)

وقوله " اولئك لم يؤمنوا باحبط الله اعمالهم "

أحبط : ابطل وافسد .

ومنه الحبط : وهو فساد يلحق المواشى فى بطونها من كثرة الكلأ فتنتفخ أجوافها ، وربما تموت بذلك .(٣)

هذا بيان لسوء عاقبتهم ولقبح مصيرهم . فان المنافقين لم يؤمنوا ايمانا ينفعهم فهم كافرون بالله ، فأبطل الله — تعالى — بسبب ذلك أعمالهم التى

---

(١) تفسير الكشاف : ٣ / ٥٣٠ بتصرف يسير .

(٢) تفسير القرطبى : ١٤ / ١٥٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٣ / ٤٦ .

عملوها .

قال الزمخشرى :

فان قلت هل يثبت للمنافق عمل يرد عليه الاحباط ؟

قلت : لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الايمان باللسان ايمان وان لم يوطئه القلب ، وان مايعمل المنافق من الاعمال يجدى عليه ، فتبين ان ايمانه ليس بأيمان ، وان كل عمل يوجد منه باطل . وفيه حث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على أن الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس ، وأنها مما يذهب عند الله هباءً منثورا .(1)

وقوله : " وكان ذلك على الله يسيرا "

تذييل قصد به بيان أن ذلك الاحباط كان هينا على الله فهم قوم يستحقونه جزاء نفاقهم وكفرهم .

ونستفيد من هذه الآية :

١ - عناية الله - سبحانه وتعالى - بالمؤمنين حيث كشف لهم أحوال المنافقين فى حالتى الحرب والأمن .

٢ - كما بينت لهم أن هؤلاء المنافقين لم يؤمنوا فلذلك عملوا ماعملوا من أفعال قبيحة .

٣ - كما بينت عقوبة الله التى نزلت بهم وهى احباط أعمالهم فلا يؤجرون عليها فهى هباء منثورا وبالتالى سيكون مصيرهم الى النار .

---

(١) تفسير الكشاف : ٣/٥٣٠ .

ثم واصلت السورة الكريمة فضحها للمنافقين فقال تعالى :

" يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وان يأتي الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلا (٢٠) " .

قوله " بادون فى الأعراب " يقال باد وبدى ، ومثل غاز وغزى . ويمد مثل صائم وصوام . وبدا فلان يبدو اذا خرج الى البادية . وهى البداوة والبداوة ، بالكسر والفتح ، واصل الكلمة من البدو وهو الظهور.(١)

وقوله تعالى " يحسبون الأحزاب لم يذهبوا "

كشف وتوضيح لجبن هؤلاء فهم من شدة الجزع والخوف يعتقدون أن الأحزاب لم يرحلوا عن المدينة ، مع أنهم فى الواقع قد رحلوا عنها .

وقوله تعالى " وان يأتي الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب "

تأكيد لما اشتملت عليه الجمل السابقة من ذم لهؤلاء المنافقين . أى : وان يأت الأحزاب على سبيل الفرض ويعودوا مرة ثانية الى المدينة تمنوا أن لو كانوا فى البادية بعيدين عن المدينة ، حتى لا ينالهم أذى ولا مكروه .

وقوله " يسألون عن أنبائكم "

تصوير لأحوالهم وهم خارج المدينة فهم يسألون كل قادم من جانب المدينة عن أخباركم أيها المؤمنون وعما يجرى عليكم من الأحزاب فيتعرفون على أحوالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة خوفا وجبنا .

---

(١) تفسير القرطبى ١٤/١٥٥ .

وقوله " ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلا "

بيان لما يترتب على وجودهم فى حالة قتال المؤمنين لاعدائهم .

أى : ولو كانوا موجودين بينكم أيها المؤمنون فى حالة قتالكم لاعدائكم لما قاتلوا معكم الا قتالا قليلا لا وزن له .

قال أبو حيان : ثم سلى الله نبيه عنهم وحقر شأنهم بأن أخبر انهم لو حضروا ماأغنوا وماقاتلوا الا قتالا قليلا.[1]

والذى يتدبر هذه الآيات الكريمة السابقة يراها :

اولا : قد كشفت عن صفات المنافقين الذميمة ، وبينت أن الله لا يخفى عليه شئ من أحوالهم : " قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون الباس الا قليلا * أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدورأعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم وكان ذلك على يسيرا * يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وان يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسألون عن أنبائكم ولوكانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلا " .

ثانيا : حذرت المؤمنين من مخالطة المنافقين عن طريق الكشف عن نواياهم الخبيثة وصفاتهم الذميمة فيبتعد حينئذ المؤمنون عنهم وعن الوقوع فى أعمالهم وصفاتهم .

---

(١) تفسير البحر المحيط ٧/٢٢١ .

ثالثا : تصوير ماجبل عليه المنافقون من جبن عند الحرب ، ومن سوء أدب عند السلم ومنه مطالبقبالا شتراك فى الغنائم .

وبذلك تكون الايات قد أطنبت فى شرح دور المنافقين فى غزوة الأحزاب ، يقول سيد قطب :

وبهذا الخط ينتهى رسم الصورة . صورة ذلك النموذج الذى كان عائشا فى الجماعة الاسلامية الناشئة فى المدينة ، والذى مايزال يتكرر فى كل جيل وكل قبيل . بنفس الملامح ، وذات السمات . . ، ينتهى رسم الصورة وقد تركت فى النفوس الاحتقار لهذا النموذج ، والسخرية منه ، والابتعاد عنه ، وهوانه على الله وعلى الناس .(١)

ثم دعا سبحانه المتخلفين عن القتال للتأسى بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال تعالى :

" لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (٢١) " .

و (اسوة) : الأسوة : القدوة

والاسوة بو مايتأسى به ويقتدى به ، وهى اسم وضع موضع المصدر وهو الأئتساء . يقال : ائتس فلان بفلان أى اقتدى به . وفيها قراءتان سبعيتان احداهما بكسر الالف والاخرى بضمها .(٢)

---

(١) فى ظلال القرآن ٥/٢٨٤١ .

(٢) تفسير القرطبى : ١٤/١٥٥ ، وتفسير الطبرى : ٢١/١٤٣ ، وتفسير الجمل ٣/٤٣٠ .

وقوله " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة "

اختلف في الخطاب لمن ؟ على أقوال :

القول الأول : أن الخطاب للمؤمنين . فتكون الآية بداية للحديث عن موقف المؤمنين في هذه الغزوة .

ومن القائلين به :

١ — أبو حيان ، فقد قال : والظاهر أن الخطاب في قوله " لقد كان لكم في رسول الله " للمؤمنين لقوله قبل " ولو كانوا فيكم ، وقوله بعد " لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ".(١)

٢ — وقال الامام الالوسي : الظاهر أن الخطاب للمؤمنين الخلص المخاطبين من قبل في قوله " عن انبائكم " وقوله سبحانه " ولو كانوا فيكم ".(٢)

القول الثاني : أن الخطاب للمنافقين فتكون الآية تابعة للآيات السابقة في الحديث عن موقف المنافقين من غزوة الأحزاب ومن القائلين به :

الطبرى والقرطبى وسليمان الجمل والشوكاني والمراغي : حيث قالوا : هذا عتاب من الله للمتخلفين عن القتال .(٣)

---

(١) تفسير البحر المحيط ٧/٢٢٢ .

(٢) تفسير الالوسي : ٢١/١٦٧ .

(٣) الطبرى : ٢١/١٤٣ ، والقرطبى ١٤/١٥٥ ، وتفسير الجمل ٣/٤٢٩ وتفسير فتح القدير ٤/٢٧١ ، والمراغي ٢١/١٤٦ .

القول الثالث : أن الخطاب ينصرف للمؤمن ولمن يظهر الايمان ، والقائلين به :

١ ـ الامام تاج الدين أبي محمد احمد القيسي تلميذ ابي حيان ، فقد قال : الظاهر من قوله " لكم " عموم الخطاب للمؤمن ولم يظهر الايمان .(١)

٢ ـ وظاهر كلام ابن كثير يؤيده حيث يقول :

ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب . . "

وقوله كذلك : " ولهذا قال الله تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا وأضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب " .(٢)

والذى تطمئن اليه النفس أن الآية الكريمة تأمر كل مسلم فى كل زمان ومكان أن يتأسى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى جهاده وأقواله وافعاله ،لأنه صلى الله عليه وسلم هو القدوة الطيبة فى كل قول طيب وعمل صالح .

ولا شك أن الآية هنا يدخل في الخطاب بها دخولا اوليا كل من حضر غزوة الاحزاب من المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ، وكل من يتظاهر بالاسلام ، لكى يقلع عن تظاهره ونفاقه ويتأسى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى اقواله وأفعاله .

---

(١) كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط (مطبوع فى حاشية البحر المحيط ٧/ ٢٢١) .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٧٤ .

والمعنى :

لقد كان لكم أيها الناس فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوة طيبة وأسوة حسنة فعليكم أن تلتفوا حوله ،وأن تطيعوه فى كل ما يأمركم به ، وفى كل ما ينهاكم عنه .

وأن تتأسوا به في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته فلقد شج وجهه الشريف وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزه وربط بطنه من الجوع ولم يكن الا صابرا محتسبا لله .

وقوله " لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا " بيان لمن هم أهل للتأسي والاقتداء .

أى هذه الاسوة الحسنة لمن كان يرجو ثواب الله يوم يلقاه فى الآخرة ولمن كان يكثر من مراقبته ـ سبحانه ـ وذكره .

قال سعيد بن جبير : لمن كان يرجو لقاء الله بايمانه ويصدق بالبعث الذى فيه جزاء الافعال .(1)

وقال الالوسي : وضع "اليوم الاخر" بمعنى يوم القيامة موضع الثواب لأن ثوابه تعالى يقع فيه . فهو على ما قال الطيبى : من اطلاق المحل على الحال .(2)

وقد جاءت الاحاديث الشريفة تحث على ذكر الله :

فقد أخرج الامام مسلم من حديث أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سبق المفردون) قالوا : وما المفردون يا رسول

---

(1) تفسير القرطبى ٢١/١٤٣ .

(2) تفسير الألوسى ٢١/١٦٨ .

الله ؟ قال : (الذاكرون الله كثيرا والذاكرات)[1].

وأخرج الأمام البخارى ومسلم من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال :

(يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه اذا ذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير منهم)[2].

قال ابن كثير : هذه الآية اصل كبير فى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وأحواله[3].

ثم بين — سبحانه — موقف المؤمنين حين لقاء الاحزاب واشتداد الكرب والخوف فقال تعالى : " ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم الا ايمانا وتسليما " (٢٢)

أى : وحين رأى المؤمنون جموع الاحزاب وقد قدموا لمهاجمة المدينة لم يهنوا بل قالوا على سبيل التصديق لوعد الله " هذا ماوعدنا الله ورسوله : وصدق الله ورسوله " أى : قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذى يعقبه النصر القريب .

فالمقصود بوعد الله ورسوله فى هذه الآية هو : الابتلاء والامتحان ينزل بالمؤمنين — اختبارا لهم وتمحيصا — فاذا ثبتوا وصبروا كان نصر الله قريبا منهم

---

(١) صحيح مسلم — كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٤ / ٢٠٦٢ ورقم الحديث ٢٦٧٦ .

(٢) صحيح البخارى — كتاب التوحيد — باب قول الله " ويحذركم الله نفسه " ٩ / ١٤٧ ، وانظر فتح البارى ١٢ / ٣٨٤ .
وصحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٤ / ٢٠٦١ ، ورقم الحديث ٢٦٧٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٧٤ .

قال ابن عباس وقتادة :

يعنون قوله تعالى فى " سورة البقرة " : " أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مسنهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب "(١) ، (٢)

وقوله " وصدق الله ورسوله "

حكاية لقول آخر من أقوالهم التى تدل على عظمة ايمانهم بصدق وعد الله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم فى كل مايخبرهم به .

أى : وصدق الله – تعالى – فيما وعدنا به من حسن العاقبة ، وصدق رسوله – صلى الله عليه وسلم – فى كل ماجاء به من عند ربه .

وقوله " ومازادهم الا ايمانا وتسليما "

شهادة من الله – تعالى – لهم بصدق الايمان . أى : ومازادهم هذا الابتلاء والشدة الا ايمانا بالله وتسليما لأوامره وقضائه وطاعة لرسوله – صلى الله عليه وسلم – .

قال ابن كثير : وقوله " ومازادهم الا ايمانا وتسليما دليل على زيادة الايمان وقوته بالنسبة للناس وأحوالهم ، كما قال جمهور الائمة انه يزيد وينقص (٣) .

ثم وصف سبحانه المؤمنين الذين صدقوا فى عهدهم لله – ومدحهم بقوله تعالى :

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٧٠ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢١٤ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٧٠ .

" من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا " (٢٣)

سبب النزول :

وقد ذكر العلماء في سبب نزول هذه الآية روايات : منها :

* أنها نزلت في انس بن النضر وأصحابه ،

روى ذلك الامام البخاري (١) ومسلم (٢) والامام أحمد (٣) والترمذي (٤) وغيرهم :—

عن أنس — رضي الله عنه — (واللفظ للبخاري) قال : " غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يارسول الله ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ماأصنع . فلما كان يوم احد وأنكشف المسلمون قال لهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء ، يعني أصحابه ، وأبرأ أليك مما صنع هؤلاء ، يعني المشركين .

ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال ياسعد بن معاذ ، الجنة ورب النضر ، انى اجد ريحها دون أحد .

قال سعد : مما أستطعت يارسول الله ماصنع . قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أوطعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد

---

(١) صحيح البخاري — كتاب فضل الجهاد والسير — باب قوله تعالى : " من المؤمنين رجال .. الآية " ٢٣/٤ ، وانظر فتح البارى ٦ / ٢١ .

(٢) صحيح مسلم — كتاب الامارة — باب ثبوت الجنة للشهيد ١٥١٢/٣ ورقم الحديث ١٩٠٣ .

(٣) مسند الامام أحمد ٢٥٣/٣ .

(٤) الجامع الصحيح للترمذي — كتاب التفسير — باب ومن سورة الاحزاب ٣٤٨/٥ .

قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد الا اخته ببنانه .

قال أنس : كنا نرى — أو نظن — أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه " من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه . . الآية " .

* ومنها أنها نزلت فى طلحة بن عبيد الله :

روى الترمذى من حديث موسى وعيسى ابنى طلحة عن أبيهما طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابى جاهل سله عمن قضى نحبه من هو ؟

وكانوا لا يجترئون على مسئلته يوقرونه ويهابونه ، فسأله الأعرابى فأعرض عنه ، ثم سأله فأعرض عنه ، ثم انى طلعت من باب المسجد وعلى ثياب خضر ، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اين السائل عمن قضى نحبه ؟ قال أنا يارسول الله ، قال هذا ممن قضى نحبه وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث يونس بن بكير.(١)

* ومنها أنها نزلت فى مصعب بن عمير واصحابه يوم أحد :

قال القرطبى : روى البيهقى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول فى طريقه ، فوقف عليه ودعا له ، ثم تلا هذه الآية : " من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا " .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم ..

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى — كتاب التفسير — باب ومن سورة الاحزاب ٥/٣٥٠ .

القيامة الا ردوا عليه .(١)

والذى أراه أن الآية الكريمة تصدق على كل من قتل فى سبيل الله ، بعد أن جاهد باخلاص وثبات ، اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والله أعلم .

وقوله سبحانه " من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه "

بيان لحال المؤمنين الصادقين في عهدهم . أى من المؤمنين بالله رجال صدقوا وأوفوا ماعاهدوا الله عليه من الصبر على البأساء والضراء والقتال فى سبيله .

والجار والمجرور " من المؤمنين " مبتدأ وجاز الابتداء بالنكره ، لان "صدقوا " فى موضع النعت .

وقوله " فمنهم من قضى نحبه " بيان وتفصيل لاحوال المؤمنين الصادقين فى عهدهم .

والنحب : يطلق على النذر والقتل والموت والنفس والخطر العظيم .

قال ابن قتيبة : قضى نحبه أى نذره وأصل النحب النذر .(٢) وقال الطبرى : والنحب النذر فى كلام العرب . وللنحب ايضا فى كلامهم وجوه غير ذلك : منها الموت ومنها الخطر العظيم ومنها النحيب ومنها التنحيب .(٣)

وقال ابن حجر : والنحب ايضا الخطر العظيم .(٤)

---

(١) تفسير القرطبى : ١٤/١٥٩ ، وانظر اسباب النزول للواحدى النيسابورى ص ٢٣٧ ، واسباب النزول للسيوطى ١٧٣ . والحديث صحيح رجاله ثقات (انظر مرويات غزوة احد ص ١٣٦) .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة " سورة الاحزاب " ص ٣٤٩ .

(٣) تفسير الطبرى ٢١/١٤٥ بتصرف يسير .

(٤) فتح البارى ٨/٥١٨ .

أى : من المؤمنين رجال أدركوا امنيتهم وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم فقاتلوا حتى قتلوا ، فاستشهد بعضهم فى بدر ، وبعضهم فى احد كحمزة رضى الله عنه ومصعب بن عمير وأنس بن النضررضى الله عنهم .

وبعضهم فى غير هذه المواطن .(١)

وقوله " ومنهم من ينتظر "

بيان لمن لم يقض نحبه أنه ينتظر الوفاء بعهده وينتظر الشهادة فى سبيل الله حتى يحضر أجله كعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير وامثالهم رضى الله عنهم أجمعين .

وقوله " مابدلوا تبديلا "

تأكيد وبيان أنهم يلتزمون بالوفاء بعهدهم . والجملة معطوفة على صدقوا : أى ماغيروا عهدهم الذى عاهدوا الله ورسوله عليه كما غير المنافقون عهدهم ، بل ثبتوا على عهدهم .

ثم بين ــ سبحانه ــ العلة والحكمة فى هذا الابتلاء والتمحيص ، فقال تعالى :

" ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما " (٢٤) .

قال الامام الشوكانى : اللام فى قوله " ليجزى الله الصادقين " يجوز أن يتعلق بصدقوا ، أو بزادهم ، أو بما بدلوا ، أو بمحذوف ، كأنه قيل وقع

---

(١) تفسير الطبرى ٢١ / ١٤٥ ، وتفسير فتح القدير ٤ / ٢٧٢ .

ليجزى الله الصادقين بصدقهم[1] .

فالآية توضح أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ يختبر عباده بالخوف والقتال ليميز الخبيث من الطيب فيثيب الصادقين المؤمنين بصدقهم ووفائهم بعهدهم له .

وقوله " ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم "

بيان لحكمة الله فى معاملة المنافقين فهم بين أمرين اما يعذبهم سبحانه أو يتوب عليهم .

أى : " ويعذب المنافقين " بسبب نفاقهم وشقاقهم " ان شاء " ، أى : أن شاء ان يعذبهم ولم يوفقهم للتوبة . (أو يتوب عليهم) ان لم يشأ ان يعذبهم تاب عليهم قبل الموت[2] .

ويؤخذ من الآية سعة رحمة الله فالباب مفتوح للمنافقين ان يعودوا الى الجاده ويتوبوا فباب التوبة مفتوح فهل من مقبل ؟ .

وقوله " ان الله كان غفورا رحيما " حث على التوبة والترغيب فيها ببيان ان الله غفور رحيم لمن تاب وصدق فى توبته .

قال الطبرى : ان قال قائل : ماوجه الشرط فى قوله " ويعذب المنافقين" بقوله (ان شاء) والمنافق كافر وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق ، فيقال ويعذبه ان شاء ؟

قيل : ان معنى ذلك على غير الوجه الذى توهمته وانما معنى ذلك : ويعذب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم

---

(١) تفسير فتح القدير ٤/٢٧٢ .

(٢) تفسير الطبرى ١٤/١٦٠ .

ان شاء ، فيستوجبوا بذلك العذاب ، فالاستثناء انما هو من التوفيق لا من العذاب ان ماتوا على نفاقهم [(١)].

ثم ذكر — سبحانه — بقية قصة غزوة الاحزاب مفصلا كيفية انتهاء المعركة . فقال تعالى ؛

" ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا " (٢٥)

والمراد بالذين كفروا هنا : هم قريش وغطفان

بغيظهم : بكربهم وغمهم . والغيظ هو أشد الغضب .

لم ينالوا خيرا : المراد بالخير : الظفر بالنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المال .

والاولى : أن يراد كل خير كانوا يأملون الحصول عليه من المؤمنين فالنكرة فى سياق النفى تعم .

<u>المعنى :</u>

ورد الله الذين كفروا من قريش وغطفان عن المدينة بأن أرسل عليهم ريحا وجنودا لم يروها ، فعادوا بكربهم وغمهم لم ينالوا ما كانوا يأملونه من المؤمنين .

وقوله " وكفى الله المؤمنين القتال "

بيان لفضل الله على المؤمنين حيث كف الأحزاب عنهم ، أى : وكفى الله المؤمنين القتال مع الأحزاب فلم يحتج المسلمون لمنازلتهم ومبارزتهم بل

---

(١) تفسير الطبرى : ٢١/١٤٨ .

صرفهم الله بالريح البارد ة والملائكة حتى رحلوا عن المد ينة .

وقوله " وكان الله قويا عزيزا " أى " وكان الله قويا " على احـــداث كل ما يريد ه سبحانه " عزيزا " أى غالبا على كل شئ .

وبهذ ه الآية الكريمة ينتهى الحد يث عن غزوة الأحزاب .

ثم ذكر ــ سبحانه ــ ما حل ببنى قريظة ــ الذ ين نقضوا العهد وعاونــوا الأحزاب[1] فقال تعالى :

" وانزل الذ ين ظاهروهم من أهل الكتاب من صيا صيهم وقذ ف فـــى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا " (٢٦)

ظاهروهــــم : أعانوهم وعاضد وهم .

والمظاهرة : المعاونة ، يقال : ظاهر فلان فلانا : عاونه .[2]

من أهل الكتاب : هم بنو قريظة .

من صيا صيهــم : حصونهم واحد ها صيصية .

وأصل " الصياصى " قرون البقر ، لأنها تمتنع بها ، وتد فع عن أنفسها .

فقيل للحصون صياصى : لانها تمنع .[3]

---

(١) راجع احداث غزوة بنى قريظة ص ٢٦٩ .

(٢) لسان العرب ــ لابن منظور ٤ / ٢٥٥ .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤٩ .

والمعنى :

وأنزل الله — عز وجل — بقدرته وأمره يهود بني قريظة الذين عاونوا الأحزاب ونقضوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم من حصونهم التي كانوا يتحصنون بها .

والقى في قلوبهم الرعب الشديد حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه الذى حكم فيهم قائلا :

آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم واني أحكم فيهم ان تقتل الرجال وتسبى الذرارى والنساء وتقسم الاموال .

و مكنكم — أيها المؤمنون — من رقاب أعدائكم ، حيث جعلكم تقتلون من يستحق القتل منهم وتأسرون من يستحق الأسر .

قال الشوكانى : ووجه تقديم مفعول الفعل الأول " تقتلون " وتأخير مفعول الثانى " تأسرون " ان الرجال لماكانوا أهل الشوكة ، وكان الوارد عليهم أشد الأمرين وهو القتل ، كان الاهتمام بتقديم ذكرهم أنسب بالمقام(١).

ثم ختم — سبحانه — الآيات التى تتحدث عن غزوة الاحزاب وبنى قريظة ببيان النعم الجليلة التى منّ بها على أوليائه المؤمنين بعد أن نصرهم على الأحزاب وبنى قريظة فقال تعالى :

" وأورثكم أرضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطئوها وكان الله على كل شئ قديرا " (٢٧) .

---

(١) تفسير فتح القدير : ٤ / ٢٧٤ .

الخطاب فى الآية الكريمة للمؤمنين :

والمراد بأرضهم : أرض يهود بني قريظة وتشمل العقار والنخيل وغيرها .

والمراد بديارهم : ماكانوا يملكونه من الحلى والاثاث والمواشى والسلاح والدراهم والدنانير .(١)

والمعنى :

وأورثكم الله — تعالى — أيها المؤمنون — فضلا منه وكرما — أرض أعدائكم من يهود بنى قريظة ، كما أورثكم ديارهم وأموالهم ، جزاء لكم على اخلاصكم فى جهادكم .

وقوله " وأرضا لم تطئوها "

بشارة من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بالأرض التى سيفتحها الله لهم ولمن سيأتى بعدهم من المسلمين .

وقد اختلف المفسرون فى تعيين هذه الأرض المذكورة على أقوال منها :

١ — انها خيبر : عن يزيد بن رومان وابن زيد ومقاتل : أنها خيبر ولم يكونوا اذ ذاك نالوها .(٢)

٢ — أنها حنين : جاء ذلك أيضا عن يزيد بن رومان وابن زيد ومقاتل .(٣)

٣ — أنها مكة : قال قتادة : كنا نتحدث أنها مكه .

---

(١) تفسير فتح القدير : ٤/ ٢٧٤ .

(٢) تفسير فتح القدير : ٤/ ٢٧٤ .

(٣) تفسير القرطبى : ١٤/ ١٦١ .

٤ — أنها فارس والروم : قال الحسن : هي فارس والروم .

٥ — أنها كل أرض تفتح الى يوم القيامة : قاله عكرمة .[١]

والذى نرجحه هو قول عكرمة رضى الله عنه لانه يشمل الأقوال كلها ، ويدخل فى ذلك دخولا أوليا ما فتحه الله على المؤمنين فى عهد نبيهم — صلى الله عليه وسلم — من أرض خيبر وحنين ومكة — .. الخ .

والمعنى :

أى وأورثكم — أيضا — بفضله وكرمه — أرضا لاعدائكم لم تطأها أقدامكم بعد .

فالجملة الكريمة بشارة من الله تعالى للمؤمنين ، بأنه سيورثهم خلاف أرض يهود بنى قريظة أرضا أخرى لأعدائهم ستأتى بعد ذلك .

ثم ختم — سبحانه — الآية الكريمة بما يؤكد كمال قدرته ونفاذ ارادته فقال تعالى " وكان الله على كل شئ قديرا " بحيث لا ترد قدرته ، ولا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء .

قال محمد عزة دروزه :

هذا والذى نرجحه أن الايتين نزلتا مع الآيات السابقة فى سياق واحد . وأن هذه وتلك قد نزلت بعد الوقعتين بسبيل ما احتوته من تعقيب وتذكير وتنويه وتنديد ومن بفضل الله ونصره .[٢]

ويقول سيد قطب : فى ختام الحديث عن غزوتى الأحزاب وبنى قريظة — فهذا التعقيب المنتزع من الواقع ، وهو التعقيب الذى يرد الأمر كله الى الله وقد مضى السياق فى عرض المعركة كلها يرد الأمر كله الى الله .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) التفسير الحديث ٨/٢٥٦ .

ويسند الافعال فيها الى الله مباشرة . تبينا لهذه الحقيقة الكبيرة التى يثبتها الله فى قلوب المسلمين بالأحداث الواقعة ، وبالقرآن بعد الأحداث، ليقوم عليها التصور الاسلامى فى النفوس وهكذا يتم استعراض ذلك الحادث الضخم .

وقد اشتمل على السنن والقيم والتوجيهات والقواعد التى جاء القرآن ليقيمها فى قلوب الجماعة المسلمة وفى حياتها على السواء . وهكذا تصبح الاحداث مادة " للتربية " ويصبح القرآن دليلا وترجمانا للحياة واحداثها ، ولاتجاهها وتصوراتها . وتستقر القيم ، وتطمئن القلوب بالابتلاء وبالقرآن سواء .(١)

والى هنا تكون الآيات الكريمة قد اختتمت حديثها عن غزوة الأحزاب وبنى قريظة .

والذى يتدبر هذه الآيات من أولها الى هنا يراها قد اهتمت ببيان أمور من أهمها مايلى :

١ — تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم كما قال تعالى " يا أيها الذين أمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا " .

٢ — التصوير البديع لما أصاب المسلمين من هم بسبب احاطة الأحزاب بالمدينة " اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا الى قوله زلزالا شديدا " .

---

(١) فى ظلال القرآن ٥/٢٨٤٩ .

٣ — الكشف عن نوايا المنافقين السيئة ، وأخلاقهم الذميمة ، وجبنهم الخالع ومعاذيرهم الباطلة ونقضهم للعهود ، وبخلهم بما في أيديهم وسوء أدبهم . ونرى ذلك في امثال قوله — تعالى — اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا" الى قوله تعالى : " ماقاتلوا الا قليلا " .

٤ — حض المؤمنين في كل زمان ومكان على التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وجهاده وكل أحواله استجابة لقوله — تعالى — : " لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا " .

٥ — مدح المؤمنين على مواقفهم النبيلة وهم يواجهون جيوش الأحزاب بايمان صادق ، ووفاء بعهد الله تعالى . قال تعالى " ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم الا ايمانا وتسليما — الى قوله ان الله كان غفورا رحيما " .

٦ — بيان سنة من سنن الله التي لا تتخلف وهو جعل العاقبة للمؤمنين والهزيمة لأعدائهم قال تعالى " ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا " .

٧ — امتنانه سبحانه على عباده المؤمنين حيث نصرهم على بني قريظة وهم في حصونهم المنيعة بدون قتال بذكر حيث القى — سبحانه — الرعب في قلوبهم فنزلوا على حكم الله ورسوله . قال تعالى " وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا (٢٦) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على شئ قديرا " (٢٧) .

الخاتمة

((الخاتمـــة))

وخاتمة القول ، ونحن نضع عصا الترحال فى بحثنا هذا نسأل اللــه العلى القدير القبول فهو غاية المطلوب .

وللقارئ حق على فى أن الخص له أهم ماجاء فى هذا البحث مــن نتائج فأقول :

١ ـ المتدبر فى القرآن الكريم يراه قد سجل بأسلوبه الحكيم وبطريقتــه البديعة أغلب الغزوات التى تمت فى العهد النبوى وقد اقتصــر بحثى هذا على ثلاث غزوات هى غزوة بنى النضير ، وغزوة بنــى المصطلق ، وغزوة الأحزاب .

٢ ـ القرآن الكريم فى تسجيله لهذه الغزوات اهتم بابراز التوجيهــات السامية والآداب الحكيمة ، والعظات النافعة ، كما اهتم بذكــر الأخطاء التى حدثت من بعض المسلمين وعالجها علاجا حكيما .

فمثلا : نشر بعض المؤمنين لحديث الافك ، بين اللــــه ـ سبحانه ـ خطأهم فى ذلك وأرشدهم الى الصواب قال تعالــى : " ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هــذا بهتان عظيم " .. سورة النور ، آية ١٦ .

٣ ـ تبين لى أن اجلاء اليهود عن المدينة فى العهد النبوى كان مــن أسبابه ، تطاولهم على المسلمين ، ونقضهم لعهودهم ، ومحاولتهم قتل النبى صلى الله عليه وسلم وخيانتهم للمسلمين فى ساعــــة العسرة ... الخ ....

ولو أن هؤلاء اليهود استجابوا لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم ، ووفوا بعهودهم لعاشوا فى المدينة مع المسلمين آمنين مطمئنين .

ولكنهم لم يفعلوا ، فعوقبوا بالعقاب العادل الذى يستحقونه .

٤ ـ تأكد لى من هذا البحث أن الفهم السليم لآيات القرآن الكريم ، انما يتم بعد الالمام التام بالسنة النبوية الصحيحة التى تشمل أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وغزواته وتقريراته .

٥ ـ ترجح لى بالتحقيق أن غزوة بنى النضير كانت فى ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة ، وأن غزوة بنى المصطلق كانت فى شعبان من السنة الخامسة من الهجرة ، وأن غزوة الأحزاب كانت فى شوال من السنة الخامسة ايضا .

٦ ـ أن سورة الحشر قد نزل معظمها فى شأن غزوة بنى النضير ، وقد بينت أحكام الفئ الذى أفاءه الله على المسلمين من أموال بنى النضير .

٧ ـ أن مانزل فى غزوة بنى المصطلق هو : آيات الافك التى بسورة النور وسورة " المنافقون " .

٨ ـ أن مانزل فى غزوة الأحزاب هو تلك الآيات الواردة فى سورة الأحزاب من قوله تعالى " ياأيها الذين أمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود . . . الآية الى قوله تعالى : وكان الله على كل شئ قديرا " .

٩ — ان المسلمين متى اتبعوا تلك التوجيهات والأرشادات القرآنية والنبوية التى وردت فى شأن تلك الغزوات لسعدوا فى دنياهم وآخرتهم ولكان النصر حليفهم فى كل معركة يخوضونها ضد أعدائهم ، وأسأل الله أن يوفق المسلمين لنصرة دينه والالتزام بشرعه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

*　*

*　*　*　*　*

المصادر

((مراجع البحث ومصـــادره))

* القرآن الكريم

* ابن الأثير علي بن محمد بن محمد الجزرى (ت ٦٣٠) .

١ ـ الكامل في التاريخ ، ادارة المطبعة المنيرية ، دمشق ١٣٤٩هـ .

* ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى (ت ٦٠٦ هـ) :

٢ ـ النهاية في غريب الحديث . تحقيق محمود محمد الطناحـــى ، وطاهر احمد الزاوى ، المكتبة الاسلامية ، ١٣٨٣ هـ ، الطبعـــة الأولى .

* أكرم ضياء العمرى :

٣ ـ المجتمع المدني في عهد النبوة ، المجلس العلمي بالجامعـــة الاسلامية ، المدينة المنورة ١٤٠٣ هـ ، الطبعة الأولى .

* الألوسى محمود الألوسى البغدادى (ت ١٢٧٠ هـ) .

٤ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانـــي ، ادارة الطباعة المصطفائية ، الهند ، بدون ذكر سنة الطبع .

* الأصبهاني أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت ٣٥٦هـ)

٥ ـ الأغاني بتحقيق ابراهيم الأبيارى ، دار الشعب ، القاهـــرة ١٣٩٤ .

* الأنصارى عبد القدوس :

٦ ـ آثار المدينة المنورة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ

* باشميل محمد احمد :

٧ ـ غزوة أحد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الرابعة .

٨ — غزوة الأحزاب ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الخامسة .

٩ — غزوة بني قريظة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩١ هـ ، الطبعة الثانية .

* الباكرى حسين احمد :

١٠— مرويات غزوة احد ، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الاسلامية اشراف د . أكرم ضياء العمرى ، مطبوعة بالآلة الكاتبة ، ١٣٩٩/١٤٠٠ هـ .

* البخارى أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) :

١١— الجامع الصحيح . بتحقيق احمد محمد شاكر ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

* البغوى أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت ٥١٦ هـ) :

١٢— معالم التنزيل في التفسير ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة " مطبوع بحاشية تفسير الخازن " .

* البوطى الدكتور محمد سعيد رمضان :

١٣— فقه السيرة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ ، الطبعة الرابعة .

* البيهقى أبو بكر أحمد بن الحسين بن على (ت ٤٥٨ هـ) :

١٤— دلائل النبوة . تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ١٣٨٩ هـ ، الطبعة الأولى .

* البلاذرى أحمد بن يحى بن جابر :

١٥— فتوح البلدان . تحقيق الدكتور صلاح المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

١٦— أنساب الاشراف . تحقيق الدكتور أحمد حميد الله ، دار المعارف القاهرة .

* الترمذى محمد بن عيسى بن سوره (ت ٢٧٩ هـ) :

١٧ — سنن الترمذى بتحقيق احمد محمد شاكر ، المكتبة الاسلامية .

* التوقادى محمد الشريف بن مصطفى :

١٨ — مفتاح الصحيحين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ ، الطبعة الثانية .

* ابن جزى ، محمد بن احمد الكلبى :

١٩ — التسهيل لعلوم التنزيل ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٣٩٣هـ الطبعة الثانية .

* الجمل سليمان :

٢٠ — حاشية الجمل على الجلالين المسمى الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

* ابن حجر ، احمد بن على بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) :

٢١ — فتح البارى بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب المطبعة السلفية ، ١٣٨٠ هـ ، القاهرة .

* حجازى محمد محمود :

٢٢ — التفسير الواضح ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، ١٩٦٣م ، القاهرة الطبعة الثالثة .

* ابن حزم ، على بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) :

٢٣ — جوامع السيرة تحقيق الدكتور احسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد ، ادارة احياء السنة ، باكستان .

* الحلبي على برهان الدين الحلبي :

٢٤ ـ السيرة الحلبية ، المكتبة الاسلامية ، بيروت .

* حميد الله الدكتور احمد :

٢٥ ـ الوثائق السياسية في العهد النبوي ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، الطبعة الرابعة .

* ابن حنبل ، ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) :

٢٦ ـ المسند ، دار صادر بيروت ، " تصوير عن المطبعة الميمنية بمصر " .

* ابن حيان ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن على (ت ٧٥٤ هـ) :

٢٧ ـ تفسير البحر المحيط ، مطابع النصر الحديثة ، الرياض .

* الخازن علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي المعروف بالخازن :

٢٨ ـ تفسير الخازن ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، بدون ذكر سنة الطبع .

* خطاب الزعيم الركن محمود شيث خطاب :

٢٩ ـ الرسول القائد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٠ م ، الطبعة الثانية .

* الخطراوي الدكتور محمد العيد :

٣٠ ـ المدينة في العصر الجاهلي ، مؤسسة دار القرآن ، دمشق ، ١٤٠٣ هـ ، الطبعة الأولى .

* ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) :

٣١ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر (المشهور بتاريخ ابن خلدون) ١٣٩١ هـ .

* الدامغاني حسين بن محمد :

٣٢ ـ اصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم . تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ،بيروت ، ١٩٨٠م ، الطبعة الثالثة .

* أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى (ت ٢٧٥ هـ) :

٣٣ ـ سنن ابى داود . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار احياء السنة المحمدية ، القاهرة .

* ابن الديبع ، عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٩٤٤ هـ) :

٣٤ ـ حدائق الأنوار ومطالع الأسرار . بتحقيق عبد الله ابراهيم الانصارى ، مطبعة محمد هاشم الكتبى ، دمشق ، طبع على نفقة أمير قطر .

* دروزه محمد عزة :

٣٥ ـ التفسير الحديث ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٣هـ.

* الذهبى شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبى (ت٧٤٨هـ)

٣٦ ـ تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مكتبة القدس ١٣٦٨هـ

٣٧ ـ التاريخ الكبير . تحقيق الدكتور محمد عبدالهادى شعيره ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٣م . (طبع منه الجزء الأول) .

٣٨ ـ العبر فى خبر من غبر . بتحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٠م .

* الراغب الأصفهانى ابو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ) :

٣٩ ـ المفردات فى غريب القرآن بتحقيق محمد سيد كيلانى ، دار المعرفة بيروت .

* الرازى أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشى الطبرستانى الأصـل (ت ٦٠٦ هـ) :

٤٠ ـ التفسير الكبير للرازى ، دار الكتب العلمية ، طهران ، الطبعـة الثانية .

* الرازى محمد بن ابى بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ) :

٤١ ـ مختار الصحاح ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٦٧م — الطبعة الأولى .

* الزبيدى محب الدين ابى الفيض مرتضى (ت ١٣٠٥ هـ) :

٤٢ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة ، بيـروت ، ١٣٠٦ هـ ، " مصور عن الطبعة الأولى " .

* الزمخشرى محمود بن عمر (ت ٥٢٨ هـ) :

٤٣ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجـوه التأويل المسمى بتفسير الكشاف ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٦٥ هـ ، الطبعة الأولى .

* أبو زهره محمد :

٤٤ ـ خاتم النبين ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ ، الطبعة الأولى .

* زيد ـ الدكتور مصطفى :

٤٥ ـ تفسير سورة الأحزاب ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ ، الطبعة الأولى .

* الساعاتى ـ احمد عبد الرحمن البنا :

٤٦ ـ الفتح الربانى بترتيب مسند احمد بن حنبل الشيبانى ، مطبعـة الفتح ، القاهرة ، ١٣٥٨ هـ ، الطبعة الأولى .

* السايس محمد علي :

٤٧ ـ تفسير آيات الأحكام ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ

* ابن سعد ابو عبد الله محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) :

٤٨ ـ الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت ، ١٣٨٨ هـ .

* أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي (ت ٩٨٢ هـ) :

٤٩ ـ أرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم " المعروف بتفسير ابي السعود " تحقيق عبد القادر احمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

* السمهودي نور الدين علي بن احمد (ت ٩١١ هـ) :

٥٠ ـ وفاء الوفا باخبار المصطفى ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ ، الطبعة الثانية .

* السندي اكرم حسين علي :

٥١ ـ مرويات تاريخ يهود المدينة . رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الاسلامية ، اشراف د . اكرم ضياء العمري ، مطبوعة بالآلة الكاتبة ، ١٣٩٩/١٤٠٠ هـ .

* السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ) :

٥٢ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، الناشر محمد أمين ، بيروت .

٥٣ ـ لباب النقول في أسباب النزول ، دار احياء العلوم ، بيروت ، ١٩٧٨م ، الطبعة الأولى .

* الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار :

٥٤ ـ اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ، مطبعة المدني ،القاهرة

* الشوكاني محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ) :

٥٥ ـ تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ ، الطبعة الثانية .

* أبو شهبة فضيلة الشيخ محمد محمد (ت ١٤٠٣ هـ) :

٥٦ ـ السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنه ، مطبعة القاهرة الحديثة القاهرة ١٩٧١م .

* شيبة الحمد عبد القادر :

٥٧ ـ فقه الاسلام شرح بلوغ المرام ، مطابع الرشيد ، المدينة المنورة ١٤٠٣ هـ ، الطبعة الأولى .

* الصاوي احمد بن محمد (ت ١٢٤١ هـ) :

٥٨ ـ حاشية الصاوي على الجلالين . مراجعة علي محمد الصباغ ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٦٠ هـ .

* الصابوني محمد علي :

٥٩ ـ صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٤٠١ هـ ،الطبعة الأولى .

٦٠ ـ روائع البيان تفسير آيات الاحكام ، مكتبة الغزالي ، ومؤسسة مناهل العرفان ، دمشق . بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الثالثة .

* الطبرى ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠ هـ) :

٦١ — جامع البيان عن تأويل القرآن ، مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ ، الطبعة الثالثة .

٦٢ — تاريخ الطبرى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٨م ، الطبعة الثانية .

* طنطاوى الدكتور محمد سيد عطية :

٦٣ — التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الأولى .

٦٤ — بنو اسرائيل فى الكتاب والسنه ، دار مكتبة الأندلس ، بنغازى ، ١٣٩٢ هـ ، الطبعة الثانية .

* عبد الباقى — محمد فؤاد :

٦٥ — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٤ هـ .

* ابن عبد البر ، الحافظ يوسف بن عبد البر النمرى (ت ٤٦٣ هـ) :

٦٦ — الدرر فى اختصار المغازى والسير . تحقيق الدكتور شوقى ضيف المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

* عبد الرزاق أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى (ت ٢١١ هـ) :

٦٧ — المصنف . تحقيق حبيب الرحمن الاعظمى ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ ، الطبعة الأولى .

* أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) :

٦٨ ــ الأموال . تحقيق محمد خليل الهراس ، مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر ، القاهرة ، ١٤٠١ هـ ، الطبعة الثالثة .

* ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣ هـ) :

٦٩ ــ أحكام القرآن . تحقيق علي محمد البجاوي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٩٤ هـ .

٧٠ ــ عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي ، دار العلم للجميع ، سوريا ، بدون ذكر سنة الطبع .

* علي ، الدكتور جواد :

٧١ ــ تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٦م .

* العمري ــ عواض بن هلال :

٧٢ ــ أحكام الغنيمة والفيء في الشريعة الاسلامية ، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الاسلامية ، اشراف د . احمد فراج حسين ، مطبوعة بالآلة الكاتبة ١٤٠١/١٤٠٢ هـ .

* الغزالي ــ محمد :

٧٣ ــ فقه السيرة بتخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مطابع علي بن علي ، قطر ، الطبعة العاشرة على نفقة أمير قطر .

* الغنيمان عبد الله بن محمد :

٧٤ ــ دليل القارئ الى مواضع الحديث في صحيح البخاري ، دار الاصفهاني جده ، توزيع الجامعة الاسلامية .

* الفيروز بادى مجد الدين محمد بن يعقوب :

٧٥ - القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، " مصور عن الطبعة الحسينية فى القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ " .

* القاسمى محمد جمال الدين (ت ١٣٣٢ هـ) :

٧٦ - تفسير القاسمى . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار احياء الكتب العربية ، مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ ، الطبعة الأولى .

* ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) :

٧٧ - تأويل مشكل القرآن . تحقيق السيد احمد صقر ، المكتبة العلمية بيروت ، ١٤٠١ هـ ، الطبعة الثالثة .

٧٨ - تفسير غريب القرآن . تحقيق السيد احمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ .

٧٩ - المعارف . تصحيح محمد اسماعيل عبد الله ، دار التراث العربى بيروت ، ١٣٩٠ هـ .

* ابن قدامه أبو محمد عبد الله بن احمد بن محمد (ت ٦٢٠ هـ) :

٨٠ - المغنى . تحقيق الدكتور طه محمد الزينى ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ .

* القرطبى أبو عبد الله محمد بن احمد الانصارى (ت ٦٧١ هـ) :

٨١ - الجامع لاحكام القرآن ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ الطبعة الثالثة .

* قريبى ابراهيم بن ابراهيم :

٨٢ — مرويات غزوة بنى المصطلق ، المجلس العلمى بالجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ، ١٤٠٢ هـ ، الطبعة الأولى .

* القسطلانى احمد بن محمد بن أبى بكر الخطيب (ت ٩٢٣ هـ) :

٨٣ — المواهب اللدنيه بالمنح المحمديه ، دار الكتب العلميه ، بيروت ،

* — قطب — الأستاذ سيد :

٨٤ — فى ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ المطبعة الشرعية الثامنة .

* ابن قيم الجوزيه أبو عبد الله محمد بن أبى بكر (ت ٧٥١ هـ) :

٨٥ — زاد المعاد فى هدى خير العباد تحقيق محمد حامد الفقـــى ، مطبعة الانوار المحمدية ، القاهرة .

* ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) :

٨٦ — تفسير القرآن العظيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة .

٨٧ — البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ومكتبة النصر ، بيروت ، ١٩٦٦م الطبعة الأولى .

٨٨ — السيرة النبوية تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفـــــــة ، بيروت ، ١٣٩٦ هـ .

* لفيف من المستشرقين :

٨٩ — المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى ، ليدن ، مكتبة بريل ، ثم طبعه ١٩٦٩م .

* ابن ماجه ابو عبد الله محمد بن يزيد الفزوينى (ت ٢٧٥ هـ) :

٩٠ — سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ، بدون ذكر سنه الطبع .

* مخلوف محمد حسنين :

٩١ — صفوة البيان لمعانى القرآن ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ ، الطبعة الأولى .

* المدخلى — أبراهيم عمير :

٩٢ — مرويات غزوة الخندق ، رسالة ماجستير نوقشت فى الجامعة الاسلامية ، اشراف الشيخ عبد المحسن العباد ، مطبوعة على الآلة الكاتبة ١٤٠١/١٤٠٢ هـ .

* المراغى احمد مصطفى :

٩٣ — تفسير المراغى ، مطبعة البابى الحلبى ،القاهرة ، ١٣٩٤هـ ، الطبعة الخامسة .

* المسعودى ابو الحسين على بن **الحسين** (ت ٣٤٦ هـ) :

٩٤ — مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الرجاء بغداد .

* مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشرى (ت ٢٦١ هـ) :

٩٥ — صحيح مسلم . بتحقيق وترقيم احمد فؤاد عبد الباقى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

* ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى (ت ٧١١هـ)

٩٦ — لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، بدون ذكر سنة الطبع .

* المودودى أبو الأعلى :

٩٧ — تفسير سورة النور ، تعريب محمد عاصم حداد ، دار الفكر ، بيروت .

* النسائى أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ) :

٩٨ — سنن النسائى (بشرح السيوطى وحاشية السندى) ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ ، الطبعة الأولى ، تصوير دار الكتاب العربى — بيروت .

* النيسابورى نظام الدين الحسين بن محمد بن الحسين القمى (ت ٧٢٨ هـ) :

٩٩ — غرائب القرآن ورغائب الفرقان : تحقيق ابراهيم عطوة عوض ، مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ ، الطبعة الأولى .

* ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى (ت ٢١٨ هـ)

١٠٠ — السيرة النبوية . بتحقيق محمد خليل الهراس ، مكتبة الجمهورية ، القاهرة .

* النووى أبو زكريا محى الدين بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) :

١٠١ — شرح صحيح مسلم ، المطبعة المصرية ، ومكتبتها ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .

* الواحدى ابو الحسين على بن احمد (ت ٤٦٨ هـ) :

١٠٢ — اسباب النزول ، دار الباز بمكة المكرمة ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ .

* الواقدى محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ) :

١٠٣ — مغازى الواقدى تحقيق الدكتور مارسون جونس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

الفهرست

((الفهرســـت))

الموضـــوع	صفحـــة
الأهـــداء	٣
شكر وتقدير	٤
المقدمـــة	٦
الباب الأول	
حديث القرآن عن غزوة بني النضـــير	١١
الفصل الأول : غزوة بني النضير من خلال كتب السيرة والتاريخ	١٢
تمهيـــد	١٤
أولا : يهود الحجاز	١٥
بيان كيفية وصولهم الى الحجاز	١٥
عدد قبائل اليهود	١٩
بيان مساكن اليهود في الحجاز	١٩
مساكن يهود بني قينقاع (١٩) مساكن يهود بني النضير (٢٠) مساكن يهود بني قريظة (٢٠) مساكن يهود خيبر (٢١) .	
علاقة اليهود مع الأوس والخزرج	٢١
ثانيا : عرض اجمالي لما سبق غزوة بني النضير من أحداث	٢٣
١ ـ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة	٢٣
٢ ـ المعاهدة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود	٢٣
٣ ـ غزوة بـــدر	٢٤

الموضـــــوع	الصفحـــة

غزوة بنى قينقاع ٢٤
تفسير قوله تعالى " قل للذين كفروا ستغلبون . الاية ٢٤
٤ ــ غزوة أحد ٢٥
سرية أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى ٢٧
سرية عبد الله بن أنيس ٢٧
حادثة الرجيـــع ٢٨
فاجعة بئر معونة ٢٨
المبحث الأول : أسباب غزوة بني النضير وتحديد زمانها ٣٠
أولا : أسباب غزوة بنى النضير ٣١
السبب الأول : نقضهم للعهود ٣١
السبب الثانى : رفضهم اعانة المسلمين فى غزوة
أحد ودعوتهم عبد الله ابن سلول ترك القتـــال
والانسحاب من الجيش ٣٢
السبب الثالث : محا وتهم اغتيال الرسول
صلى الله عليه وسلم ٣٣
تفسير قولة تعالى " ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمـة
الله عليكم " ٣٦
سبب نزولهـــا ٣٧
تفسير الآيـــة ٣٩
ثانيا : تحديد زمان غزوة بنى النضير ٤٠
المبحث الثانى : أحداث غزوة بنى النضير ٤٣
أرسال محمد بن سلمة اليهم ٤٤
محاصرة الرسول صلى الله عليه وسلم لبنى
النضير ٤٥

الموضـــــوع	الصفحـــة
تخريب بنى النضير بيوتهم بأيديهم	٤٦
موافقة النبى صلى الله عليه وسلم على اجلائهم ..	٤٦
خروج بنى النضير من المدينة	٤٧
تقسيم اموال بنى النضـير	٤٨
المبحث الثالث : نتائج غزوة بنى النضير	٥٠
الفصل الثانى : حديث القرآن عن غزوة بنى النضير وتفسير الآيات الواردة فى ذلك	٥٣
المبحث الأول : عرض اجمالى للسورة الحشر	٥٦
المبحث الثانى : تفسير السورة الكريمـــة	٦١

(يتبع ../٣٥٧)

الآيـــــه المفســــره		رقمهـــا الصفحـــة
سبح لله مافى السموات ومافى الأرض . . الآية	١	٦٢
هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم . . الاية	٢	٦٣
ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا	٣	٦٨
ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله . . الآية	٤	٦٩
ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها . . الايه	٥	٦٩
وما افاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه مـــــن خيل ولا ركاب . . الاية	٦	٧٣
ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى . . الاية . .	٧	٧٥
للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم	٨	٨١
والذين تبوأو الدار والايمان من قبلهم . . الايه . .	٩	٨٢
والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا . الايه	١٠	٨٧
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا	١١	٩٤
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم . . الايه	١٢	٩٤
لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله . . الايه . .	١٣	٩٧
لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة . . الايه . .	١٤	٩٧
كمثل الذين من قبلهم ذاقوا وبال أمرهم . . الايه	١٥	٩٩
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر . . الاية . .	١٦	١٠٠
فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها . . الاية	١٧	١٠٠
ياأيها الذين أمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد	١٨	١٠٢
ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم . . الايه	١٩	١٠٢
لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة اصحاب الجنـــة هم الفائزون	٢٠	١٠٣
لو أنزلنا هذا القرآن على جبل . . الاية	٢١	١٠٤
هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة	٢٢	١٠٥
هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس . . الايه	٢٣	١٠٧
هو الله الخالق البارئ المصور . . . الاية	٢٤	١٠٩
أهم ماحوته السورة من المقاصد والأغراض		١١٠

الموضــــــــــــوع	الصفحــــــة

الباب الثانــى

حديث القرآن عن غزوة بنى المصطلق ١١٣

الفصل الأول : غزوة بنى المصطلق من خلال كتب السيرة والتاريخ ١١٥

المبحث الأول : الأحداث التى سبقت هذه الغزوة ١١٦

غزوة ذات الرقاع ١١٧

غزوة بدر الآخرة ١١٨

غزوة دومة الجنـدل ١١٩

المبحث الثانى : من هم بنو المصطلق ومتى وقعت هذه الغزوة ١٢٠

من هم بنو المصطلق ١٢١

تحديد زمان هذه الغزوة ١٢٢

القائلون بأنها فى السنة الخامسة من الهجرة ١٢٢

القائلون بأنها فى السنة السادسة من الهجرة ١٢٣

القائلون بأنها فى السنة الرابعة من الهجرة ١٢٤

المبحث الثالث : اسباب هذه الغزوة وأحداثها ١٢٦

أهم أسباب هذه الغزوة ١٢٧

أحداث غزوة بنى المصطلق ١٢٨

تقسيم الغنائـــم ١٢٩

أهم الأحداث التى وقعت فى هذه الغزوة ١٣٠

محاولة عبد الله بن ابى بن سلول اثارة الفتنة
بين المسلمين ١٣١

المبحث الرابع : نتائج هذه الغزوة ١٣٥

الموضــــــوع	الصفحـــــة
الفصل الثانى : حديث القرآن عن غزوة بنى المصطلق	
وتفسير الآيات الواردة فى ذلك . . .	١٣٩
المبحث الأول : تفسير سورة المنافقون	١٤٠
عدد آياتها وترتيبها فى المصحف	١٤١
متى نزلت هذه السورة وسبب نزولها	١٤٢
عرض عام للســـــورة	١٤٥
تفســـير السورة الكريمـــة	١٤٧

(يتبع . . / ٣٦٠)

الآيـــــة المفســـره	رقمهـــا	الصفحــــة
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله . . الاية	١	١٤٧
اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله . . الايه	٢	١٤٨
ذلك بأنهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم . . الاية	٣	١٥٠
واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم . . الايه	٤	١٥٢
واذا قيل لهم تعالوا يستغفرلكم رسول الله . . الايه . . .	٥	١٥٥
سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم . . الايه . .	٦	١٥٥
هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله . . الايه	٧	١٥٩
يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل	٨	١٥٩
ياأيها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله	٩	١٦٧
وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي احدكم الموت . . الاية	١٠	١٦٧
ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بماتعملون	١١	١٦٨
المبحث الثاني : تفسير آيات الافك وآية الحجرات		١٧٠
حادثة الافك		١٧١
تفسير آيات الافك		١٨٣
سبب نزولهـــــا		١٨٤
ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم . . الاية	١١	١٨٥
لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا الايه	١٢	١٨٩
لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء . . الاية	١٣	١٩٢
ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة . . الاية	١٤	١٩٥
اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم . . الايه	١٥	١٩٦
ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا . . الايه	١٦	١٩٨
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين . . الاية	١٧	١٩٩
ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم	١٨	١٩٩
ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا . . الاية	١٩	٢٠١
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم . .	٢٠	٢٠٣

الآيـــة المفســره	رقمهـــا	الصفحـة
ياأيها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان . . الاية	٢١	٢٠٣
ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة . . الاية	٢٢	٢٠٥
ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات . . الاية	٢٣	٢٠٩
يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بماكانوا يعملون	٢٤	٢١٢
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين	٢٥	٢١٣
الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات . . الاية	٢٦	٢١٤
أهم الآداب والاحكام التى تؤخذ من آيات الافك		٢١٧
تفسير آية الحجرات وهى قوله تعالى " ياأيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . . الايه		٢٢٢
الباب الثالث		
حديث القرآن عن غزوة الأحزاب		٢٢٦
الفصل الأول : غزوة الأحزاب من خلال كتب السيرة والتاريخ		٢٢٧
المبحث الأول : متى وقعت هذه الغزوة وماأسبابها ؟ . . .		٢٢٩
القائلون بأنها سنة خمس من الهجرة . . .		٢٣٠
القائلون بأنها سنة أربع من الهجرة		٢٣١
المبحث الثانى : أحداث غزوة الأحزاب		٢٣٧
ماحدث قبل المعركة		٢٤٠
أولا : استعداد المسلمين لملاقاة الأحزاب		٢٤٠
ثانيا : بيان كيفية حفر الخندق وماصاحبه من احداث		٢٤١
ثالثا : وصول جيوش الأحزاب الى مشارف المدينة		٢٤٧
رابعا : مفاجأة الاحزاب بالخندق وضربهم الحصار على المدينة		٢٤٧

الموضـــــوع	الصفحـــــة
سير المعركة وأحداثهـــا	٢٤٩
المرحلة الأولى : أزدياد قوة الأحزاب وضعف موقف	٢٤٩
المسلمين	٢٤٩
أولا : نقض بنو قريظة للعهد ومحاولة ضرب المسلمين	
من الخلف	٢٤٩
ثانيا : تشديد الحصار على المسلمين	٢٥٢
ثالثا : انسحاب المنافقين من الجيش ونشرهم الآراجيف	
بين المسلمين	٢٥٢
رابعا : محاولة النبى صلى الله عليه وسلم تخفيف حدة	
الحصار بعقد صلح مع غطفان	٢٥٤
المرحلة الثانية : اقتحام بعض المشركين الخندق وتكرار	
محاولة العبور ، وتأزم الموقف بالنسبـــة	
للمسلمين	٢٥٦
أولا : الالتحام بكوكبة من الفرسان ومقتل فارس قريش	٢٥٦
ثانيا : تكرار محاولة عبور الخندق وتشديد الحصار على	
منزل الرسول صلى الله عليه وسلم . . .	٢٥٧
ثالثا : اشتداد الكرب ودعائه صلى الله عليه وسلم على	
الاحزاب	٢٦٠
المرحلة الثالثة : تغير الموقف لصالح المسلمين . .	٢٦٢
أولا : موقف نعيم بن مسعود	٢٦٢
ثانيا : وقوع الخلاف الشديد بين اليهود والأحزاب	٢٦٤
ثالثا : اشتداد الريح الباردة ونزول الملائكة . .	٢٦٥
نهاية المعركـــة	٢٦٦
كيفية فك الحصار وانسحاب الأحزاب	٢٦٦
سير النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة وذكر ماحدث	
فيها بايجاز	٢٦٩

الموضــــوع		الصفحــة
المبحث الثالث : نتائج هذه الغزوة		٢٧٧
الفصل الثاني : حديث القرآن عن غزوة الأحزاب وتفسير الايات الواردة في ذلك		٢٨٠
سبب نزول هذه الايات ...		٢٨٣
تفسير هذه الآيات		٢٨٥
يأيها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم .. الاية	٩	٢٨٥
اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم .. الاية	١٠	٢٩٠
هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا	١١	٢٩٣
واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض .. الاية ...	١٢	٢٩٤
واذ قالت طائفة منهم يأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا .. الايه	١٣	٢٩٦
ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة .. الاية	١٤	٢٩٩
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا .. الايه	١٥	٣٠١
قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل .. الايه	١٦	٣٠٢
قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة .. الاية	١٧	٣٠٣
قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا .. الايه	١٨	٣٠٤
أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك .. الايه	١٩	٣٠٨
يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وان يأتي الاحزاب يودوا لو أنهم بادون في الاعراب .. الاية	٢٠	٣١٤
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنه .. الاية	٢١	٣١٦
ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله .	٢٢	٣٢٠
من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه .. الايه ...	٢٣	٣٣٢

الآية المفسرة	رقمها	الصفحة
ليجزى الله الصادقين بصدقهم . . . الآية	٢٤	٣٢٥
ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا . . الآية	٢٥	٣٢٧
وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم . . الآية	٢٦	٣٢٨
وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها . . الآية	٢٧	٣٢٩
الخاتمة		٣٣٥
المصادر		٣٣٩
الفهرست		٣٥٤

تمت والحمد لله ، نسأل الله العلى القدير السميع الرحيم الغفور تقبلها والأجر عليها انه على كل شئ قدير . وقد كان تمام قراءتها على فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوى فى يوم الاثنين الموافق للسابع عشر من شهر صفر الخير ، كما كان تمام الطبع فى ليلة الأحد الموافق للحادى والعشرين من شهر ربيع الأول ، عام الف واربعمائة واربعة من الهجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم .

==============

((استدراك وتصويب))

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	١٩	مايسعد الناس فى دينهم ودنياهم .	مايسعد الناس فى دينهم ودنياهم واخراهم .
٩	١٥	ثلاثة غزوات	ثلاث غزوات
١٦	٢	ماعدا شخص واحد	ماعدا شخصا واحدا
١٦	١٦	لذلك نرى كثير	لذلك نرى كثيرا
٢٨	٣	الا أن فى صفر	الا أنه فى صفر
٣٤	١	أنى	آن
٣٤	٢٤	احد اللذان	احد اللذين
٤٨	٢٤	تحسيق	تحقيق
٥١	١٦	وكما نعلم أن للاقتصاد أثر كبير	وكما نعلم أن للاقتصاد أثرا كبيرا
٥٢	١٧	ص ٤٨	ص ٤٧
٥٨	٩	الأبصارى	الأبصار
٥٨	١٣	من أحكام	من مسائل
٥٨	١٥	لبنه	لينه
٥٨	١٩	وماءاتكم	وماءاتكم
٦٢	١٠	ويقال للعلم	وتقال للعلم
٦٤	٦	احداهما	احدها
٦٤	١٠	ثانيهما	ثانيها
٦٤	١٢	من ناحية الشام	الى ناحية الشام
٦٤	١٤	ثالثهما	ثالثها
٦٥	١٤	على القوة التى تقع بها الأبصار	على القوة التى يقع بها الأبصار
٦٧	١٥	وبهذه الأمة الكريمة	وبهذه الآية الكريمة
٦٨	١٤	لعدبهم	لعذبهم
٦٩	١	ثم علل سبحانه الأسباب	ثم ذكر سبحانه الأسباب

الصفحة	السطر	الخطـــــأ	الصـــــواب
٨٣	٣	العامرة	الغامرة
٨٣	٩	من مقام مفضل	من مقام وفضل
٨٥	٥	مثالا معبرا ملموسا	مثال معبر ملموس
٨٥	١٧	كأن الفائز شق طريقة وفلحة	كأن الفائز شق طريقه وفلحه
٨٩	١٠	أم هما مختلفين	أم هما مختلفان
٩٠	٩	يترجع	يترجح
٩٠	١٦	ثم عللت سبب هذا التقسيم	ثم عللت فذكرت سبب . . .
٩٤	٦	الكاذبون	لكاذبون
٩٤	٨	كالاخبار وأهل التواريخ	كالاحبار وأهل التواريخ
٩٥	٣	لحجره	لجحره
٩٥	٥	من احداهما	من احدهما
٩٦	١٠	فان نصرهم لن يضرهم شيئا	فان نصرهم لن يضـــــر المسلمين
٩٧	٥	وهم المؤمنين	وهم المؤمنون
٩٧	١٩	تفسيرالألوسى : ٥٧/١٨	٥٧/٢٨
١٠٠	٣	كمثل الشيطان اذا قال	كمثل الشيطان اذ قال
١٠٤	٢	متطوعا	متصدعا
١٠٧	٦	* * عما يليق	عما لا يليق
١٠٨	٨	* * عما يليق	عما لا يليق
١١٧	٨	ينجد	بنجد
١٣١	٢	اطرد	اطراد
١٣١	٥	ماءهم	مائهم
١٣٣	١٠	ذكر فيها المنافقين	ذكر فيها المنافقون
١٣٦	٧	غزو المدينة لوحدها	غزو المدينة بمفردها
١٤٢	٣	كان المسلمون راجعون الى المدينة	كان المسلمون راجعين الى المدينة
١٤٦	١٠	مارزقنكم	مارزقناكم
١٤٩	١٥	مايوجب	يوجب
١٥٢	١٢	دلق اللسان	ذَلِق اللسان

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
١٥٥	١٢	أمضى الى رسول الله	امض الى رسول الله
١٥٦	١	اللى فتل الحبل يقال لويته ألوية	اللَّيُّ فتلُ الحبل ، يقـال لويتهُ ألويهَ ليا
١٥٧	٣	سواء وسوى وسوى	سَواء وسوًى وسُوًى
١٦٣	١٢	مشرع	مشهر
١٦٣	١٣	مشرع	مشهر
١٧٢	١	فى ذلك المفسرين والمحدثين	فى ذلك المفسرون والمحدثون
١٧٤	٥	عبد الله بن ابى سلول	عبد الله بن ابى بن سلول
١٧٤	٨	قود منا	فقد منا
١٧٦	٥	ابواى	ابوى
١٧٦	١٢	استلبث	استلبث
١٧٩	٥	لبدنبه	بذنبه
١٧٩	١٧	اشيانى	اتيان
١٨٠	٩	من الغرق	من العرق
١٨٤	٧	ببراتى	ببراءتى
١٨٥	٧	بل هو خير لكل	بل هو خير لكم لكل
١٨٥	١٥	يتعصبون بعضهم لبعض	يتعصب بعضهم لبعض
١٨٥	١٦	وهو عبد الله	والذى تولى كبره هو عبد الله
١٨٦	٤	سقطت كلمة	المعنى الأجمالى
١٨٨	١٦	احداهما	احدهما
١٨٩	١٨	لولا جاءا	لولا جاءوا
١٩٥	٣	حرف امتناع وجود	حرف امتناع لوجود
١٩٨	١٢	بهته بهتا وبهتا وبهتانا	بَهتهُ بَهتا بَهَتا وبُهتانا
٢٠٣	٢	رءوف	رؤوف
٢٠٧	٤	يغناظ	يفتاظ
٢٠٩	١	قال قال	قال
٢٠٩	١٤	تزوجين	تزوجن
٢١٢	١٥	اليوم نختم على افواهم	اليوم نختم على افواههم
٢١٤	٩	رضى الله عنه	رضى الله عنهما

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـــواب
٢١٤	١٠	للخبيثين من القول	للخبيثات من القول
٢١٧	٢٣	وبين	ويبين
٢١٨	١٧	الآية . . الغافلات لعنوا	الغافلات المؤمنات لعنوا
٢٢٠	٣	هبن	هين
٢٢٢	٩	ولخروجه عما ألزمه العقل	لخروجه عما الزمه به العقل
٢٣٢	٣	الجمع هذه الاقوال	الجمع بين هذه الاقوال
٢٤١	١٥	الآية . . ان الذين يستئذنوك	ان الذين يستئذنونك
٢٤١	١٥	الآية . . اولئك يؤمنون	اولئك الذين يؤمنون
٢٤١	١٦	الآية . . واستغفر لهم	واستغفر لهم الله
٢٤١	٢١	المصدر السابق	المصدر نفسه
٢٤٢	١٧	عن طريقة حفر المسلمون	من ملابسات حفر المسلمين
٢٤٤	٣	الأتافى	الأثافى
٢٤٤	٢٤	الأتانى	الأثافى
٢٤٥	٥	الآية . . وتمت كلمات ربك	وتمت كلمة ربك
٢٤٦	٥	ماأنزلن سكينه	فاأنزلن سكينة
٢٤٧	١٤	اذا بهم يفاجأوا	اذا بهم يفاجأون
٢٤٨	٣	ولا ن المؤمنين مصرين	ولأن المؤمنين مصرون
٢٤٩	١٣	ياحى	ياحيى
٢٥٣	٤	وكان المسلمون ظنهم بالله قويا	وكان المسلمون ظنهم بالله قوى
٢٥٣	٥	الآية . . وصدقا الله ورسوله	وصدق الله ورسوله
٢٥٤	١٤	والله ماصنع ذلك	والله ماأصنع ذلك
٢٥٦	٧	يبحثون شغرة	يبحثون عن ثغرة
٢٥٧	٩	على عليه السلام	على رضى الله عنه
٢٦٢	١٦	صدقت لشئ عندنا بمتهم	صدقت لست عندنا بمتهم
٢٦٦	١٠	سقطت عبارات من الحديث الشريف من قوله (لأتذعرهم على)	

(قال فمضيت كأنما أمشى فى حمام حتى اتيتهم ، فاذا ابو سفيان يصلى ظهره بالنار ، فوصفت سهما فى كبد قوسى وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم =

لا تذعرهم علي ولو رميته لأصبته فرجعت كأنما امشى فى حمام — ولفظ الحديث منقول من السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢١٩)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٦٧	٤	لقد رأيتنا الليلة الأحزاب	لقد رأيتنا ليلة الأحزاب
٢٦٩	١٦	فلم يعنف واحد منهم	فلم يعنف واحدا منهم
٢٧٠	١٨	لمدة خمسه وعشرين —	لمدة خمس وعشرين
٢٧٤	١٤	يفد	يفد و
٢٧٦	١٧	انشاء الله	ان شاء الله
٢٧٨	٦	انتصار المسلمون	انتصار المسلمين
٢٨٣	٣	الآية . . وسليما	وتسليما
٢٨٣	٨	صياحيهم	صياصيهم
٢٨٣	٩	وأورتكم	وأورثكم
٢٨٤	١	عروة بن الزير	عروة بن الزبير
٢٨٥	٦	بندا	بنداء
٢٨٩	١٥	الذاريات (٤١)	الذاريات (٤١)
٢٨٩	١٧	الآية . . وأرسلنا الرياح لواقع	وأرسلنا الرياح لواقح
٢٨٩	١٧	فاسقينيا كموه	فاسقيناكموه
٢٩٠	٣	اذ جاءوكم من قوقكم	اذ جاءوكم من فوقكم
٢٩٠	١٢	فى بنى النضير	فى بنى النضر
٢٩١	٥	واذ واغت	واذ زاغت
٣٠١	٨	وهم بنو حارثه	وهم بعض بنى حارثه
٣٠٢	٨	الآية . . ان اجل الله اذ جاء	ان اجل الله اذا جاء
٣٠٦	٧	وخولا	د خولا
٣٠٩	٢	اشمة	أشحة
٣١٢	٦	وفرءوا	وفروا
٣١٢	١٥	الآية . . باحبط أعمالهم	فاحبط أعمالهم
٣١٤	٢	وان يأتى	وان يات
٣١٤	٣	يسألون عن ابنائكم	يسألون عن انبائكم

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
٣١٦	١٢	واليوم الأخر	واليوم الآخر
٣٢٤	٩	والجار والمجرور " من المؤمنين	من المؤمنين : خبر و"رجال" مبتدأ
٣٢٨	٢	احداث	ايجاد
٣٣٠	٤	والمراد بديارهم	والمراد بأموالهم
٣٣٠	١٠	وارضا لم تطئوها	وارضا لم تطأوها
٣٣٣	٣	الآية " اذ يقول	" واذ يقول ..
٣٣٣	٢٢	لم تطئوها	لم تطأوها
٣٥٧	١٧	سقطت كلمة قريبا من الآية	كمثل الذين من قبلهم قريبا
٣٦٠	٢	الآية " من كنتم مؤمنين	ان كنتم مؤمنين
٤٥	١٦	خطبه	خطه
١٠٤	١١	قوة	قسوة